مكتبة

أنا و أوغي

ثلاث قصص أعجوبة

فصل جوليان | بلوتو | شنغالنغ

آر. جي. بالاسيو

ترجمة: أحمد شافعي

مكتبة ٧٣٨

لقد وقع ملايين القراء في حب أوغي بولمان، صبي عادي بوجه غير عادي. تحكي لنا «أعجوبة» قصته من ٦ وجهات نظر مختلفة، لكن هناك بعض شخصيات تمتلك وجهات نظر فريدة لم تتشاركها بعد.

فالفصل جوليان يمنح القراء فرصة للتعرف على أكثر شخصيات «أعجوبة» إثارة للجدل. فمنذ اليوم الأول للقاء أوغي وجوليان، كان من الواضح أنهما لن يكونا صديقين أبدًا. ويكشف هذا الموقف عن جانب التنمر في القصة، فلماذا يبدو جوليان غير لطيف إلى حد كبير مع أوغي؟ وهل يمتلك فرصة للخلاص من ذلك؟

أما الفصل بلوتو -ويُروَى من وجهة نظر كريستوفر- فيقدم نظرة خاطفة على حياة أوغي قبل «أعجوبة». كان كريستوفر من أقدم أصدقاء أوغي، وذلك منذ أن كانا طفلين معًا حتى رحلت عائلة كريستوفر؛ وكانت له ذكريات مبكرة مع أوغي، بدءًا من العمليات الجراحية إلى ماراثونات حرب النجوم. كانت صداقتهما قصة صبيين ترعرعا معًا، وتعلما أن الصداقات الجيدة تستحق مزيدًا من الجهود الدؤوبة.

ويلقي الفصل شنغالنغ مزيدًا من الضوء على الحياة في الصف الخامس في مدرسة بيتشر الإعدادية، وذلك من خلال وجهة نظر شارلوت ورؤيتها؛ فهي تلك الفتاة المختارة لتكون ضمن المرحبين بأوغي. وسيعلم القراء المزيد عن شارلوت وصداقتها الناشئة مع فصل الصيف المفضل لديها، وكيف تفاعلت الفتيات في مدرسة بيتشر الإعدادية مع حضور أوغي إلى مدرستهم أول مرة، وكيف كتبت شارلوت المبدأ الذي استخدمته في نهاية «أعجوبة»: «لا يكفي أن تكون ودودًا. يجب أن تكون صديقًا». فهذه المجموعة تعد ذخيرة خاصة للقراء الحريصين على قضاء مزيد من الوقت في عالم أوغي.

مكتبة | 738
سُر مَن قرأ

أناو أوغي

ثلاث قصص

فصل جوليان - بلوتو - شنفالنغ

مكتبة | 738
سُر مَن قرأ

آر. جي. بالاسيو

ترجمة: أحمد شافعي

دار جامعة حمد بن خليفة للنشر
HAMAD BIN KHALIFA UNIVERSITY PRESS

الطبعة العربية الأولى عام 2019

دار جامعة حمد بن خليفة للنشر
صندوق بريد 5825
الدوحة، دولة قطر

www.hbkupress.com

Auggie & Me
three wonder stories

First published in the United States by Alfred A. Knopf, an imprint of Random House Children's Books, a division of Penguin Random House LLC, New York. *The Julian Chapter* was originally published as an ebook by Alfred A. Knopf, an imprint of Random House Children's Books. New York, in 2014. *Pluto* and *Shingaling* were originally published as an ebooks by Alfred A. Knopf, an imprint of Random House Children's Books. New York, in 2015.

The Julian Chapter Copyright © 2014 by R. J. Palacio
Pluto Copyright © 2015 by R. J. Palacio
Shingaling Copyright © 2015 by R. J. Palacio

حقوق الترجمة © أحمد شافعي، 2019
الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة.

جميع الحقوق محفوظة.
لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة دون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر باستثناء حالة الاقتباسات المختصرة التي تتجسد في الدراسات النقدية أو المراجعات.

الترقيم الدولي: 9789927137730

تمت الطباعة في بيروت-لبنان.

مكتبة قطر الوطنية بيانات الفهرسة – أثناء – النشر (فان)

بالاسيو، أر. جي، مؤلف.

[Auggie & Me]. Arabic

انا واوغي : ثلاث قصص أعجوبة / أر. جي. بالاسيو ؛ ترجمة أحمد شافعي. الطبعة العربية الأولى. – الدوحة : دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، 2019.

صفحة ؛ سم

تدمك: 978-992-713-773-0

فصل جوليان – باوتو – شنغالنغ.

ترجمة لكتاب: Auggie & Me: Three Wonder Stories.

1. قصص الناشئة العربية. أ. شافعي، احمد، رسام. ب. العنوان.

PZ10.731.P35 2019

892.737 – dc23

201927404328

المحتويات

مقدمة	7
فصل جوليان	15
بلوتو	135
شنغالنغ	251

«أتعرف معنى أن تكون طفلًا؟ ذلك أن تكون شيئًا شديد الاختلاف عن الرجل في عصرنا هذا، أن تسري فيك الروح السارية من مياه العماد، أن تؤمن بالمحبة، أن تؤمن بالجمال، أن تؤمن بالإيمان، أن تكون صغيرًا فلا يستعصي على الأقزام أن يهمسوا في أذنك، أن تُحيل اليقطين إلى مركبات، والفئران إلى خيول، والوضاعة إلى رفعة، واللاشيء إلى كل شيء، فلكل طفل في روحه أمٌّ روحية، أن تعيش في قشرة بندق وترى نفسك مَلكًا على الفضاء اللانهائي».

فرانسيس طومسن، «شيلي»

مقدمة

مكتبة
t.me/t_pdf

يسأل شخص من الجمهور:

- ألن يكون لـ«**أعجوبة**» جزءٌ ثانٍ؟

وأُجيب في شيء من الحرج:

- لا، آسفة. لا. أعتقد أنه ليس من الكتب التي تصدر في أجزاء. يروق لي أن أتصوَّر جماهير **أعجوبة** وهم يتخيلون بأنفسهم ما سيحدث لأوغي بولمان وبقية عالمه.

ذلك الحوار، وما يُشبهه، جرى تقريبًا في كل توقيع كتاب حضرته، أو كلمة ألقيتها، أو قراءة شاركت فيها منذ صدور **أعجوبة** في 14 فبراير 2012، ولعله أكثر الأسئلة التي طُرحت عليَّ تكرارًا، بجانب أسئلة أخرى مثل: «هل ستتحوَّل **أعجوبة** إلى فيلم؟»، و«ما الذي ألهمكِ أن تكتبي **أعجوبة**؟»

مع ذلك، هأنذا أكتب مقدمة لكتاب، يُمثِّل بكل نواياه وأغراضه رفيقًا لـ«**أعجوبة**»، فكيف ذلك؟

للإجابة عن هذا السؤال، لا بد أن أُناقش **أعجوبة** قليلًا. إذا كنتم قد اشتريتم تلك الرواية أو تلقيتموها هدية، فاحتمالٌ كبيرٌ أنكم قرأتم **أعجوبة** بالفعل، ومن ثَمَّ فلستُ في حاجة إلى الإكثار من الكلام عنها. يكفيني القول إن **أعجوبة** تحكي قصة صبي في العاشرة اسمه «أوغي بولمان» - وُلِد مُشوَّه الوجه - يخوض أفراحًا وأتراحًا كونه الولد الجديد في مدرسة بيتشر الإعدادية. نرى الرحلة عبر عينيه، وأعين شخصيات عديدة يتصادف أن حياتها تتقاطع مع حياته على

مدى تلك السنة المحورية، وتزيد رؤاها القارئ فهمًا للمسار الذي يسلكه أوغي، وصولًا إلى تَقبُّل نفسه. ونحن لا نسمع أصوات أي شخصيات لا تتماس حكاياتها مباشرة مع قصة أوغي في نطاق الفترة الزمنية التي يستغرقها الصف الدراسي الخامس، أو ممن يعجز فهمهم لأوغي عن إلقاء الضوء على شخصيته. فـ«**أعجوبة**» هي قصة أوغي في نهاية المطاف، من البداية إلى النهاية. وقد كنت شديدة الصرامة مع نفسي في حكي قصته بطريقة خطيَّة بسيطة. فإذا لم تدفع شخصيةٌ القصة إلى الأمام - أو حكت قصة تتوازى مع الأحداث، أو تسبقها، أو تليها - فليس لهذه الشخصية صوت في الرواية.

لا أقول بهذا إن بعض الشخصيات الأخرى لم تكن لديها قصص مثيرة يمكن أن تحكيها، بل هي قصص كان يمكن أن تُفسر قليلًا دوافع تلك الشخصيات، وإن لم يُؤثر الكشف عنها على أوغي تأثيرات مباشرة.

وفي هذه النقطة تحديدًا يظهر الكتاب الحالي.

للإيضاح أقول إن «أنا وأوغي» ليس جزءًا ثانيًا؛ فهو لا يستأنف **أعجوبة** من حيث توقفت، ولا يستمر في حكي قصة أوغي بولمان في مدرسته الإعدادية، بل واقع الأمر أن أوغي في هذه القصص ليس إلا شخصية ثانوية.

هذا الكتاب على وجه التحديد توسعة لعالم أوغي؛ فالقصص الثلاث في «أنا وأوغي» - وهي **فصل جوليان، وبلوتو، وشنغالنغ**، وقد نُشرت جميعها في كتب إلكترونية قصيرة - تُروَى من وجهات نظر جوليان وكريستوفر وتشارلوت على الترتيب، وهي ثلاث حكايات مختلفة تمامًا، تروي قصص شخصيات تظهر مصادفة - إن ظهرت

أساسًا - في قصص بعضها بعضًا. وبين الثلاثة عنصرٌ مشتركٌ واحد هو أوغي بولمان. وحضوره في حياة كلٍّ منهم أشبه بحافز يؤدي إلى تحول كل واحد منهم تحولًا طفيفًا أو أكثر قليلًا من الطفيف.

«أنا وأوغي» ليس جزءًا ثانيًا بالمعنى التقليدي للكلمة، فليس هناك استمرار لقصة أوغي، اللهم إلا بشكل عابر في فصل جوليان، إذ يرد ذكر الصيف التالي للصف الخامس، ويُمثل خاتمة رقيقة للخط القصصي الممتد بين جوليان وأوغي. وباستثناء ذلك، لا يعثر القُرَّاء على ما يجري لأوغي بولمان في الصف السادس، أو في المدرسة الثانوية، أو فيما بعد ذلك. وبوسعي أن أضمن لكم أن ذلك الكتاب، أي الجزء الثاني الفعلي، لن يُكتب أبدًا. وهذا أمر حسنٌ يا رفاق! فمن أجمل نتائج كتابة **أعجوبة** ذلك الكم المذهل من القصص التي كتبها القُرَّاء انطلاقًا من عالمها: فالمعلمون يستخدمون الرواية في الفصول، ويطلبون من التلاميذ أن يغوصوا في شخصية ويكتبوا فصولها الخاصة عن أوغي، أو سمر، أو جاك. وقد قرأت قصصًا مخصصة لفيا وجوستن وميرندا، وفصولًا مكتوبة من وجهات نظر أموس ومايلز وهنري، بل قرأت قصة قصيرة موجعة جدًّا كتبها طفل من وجهة نظر دايزي!

لكن لعل أكثر الكتابات القصصية تأثيرًا بين ما قرأته، هو الذي تناول أوغي، إذ يبدو أن إحساسًا قويًّا بالارتباط به تكوَّن لدى القُرَّاء. هناك أطفال أخبروني أنهم يعلمون علم اليقين أن أوغي سوف يكبر ويكون رائد فضاء، أو معلمًا، أو طبيبًا بيطريًّا. وهم بالمناسبة يخبرونني بتلك الأشياء من موقع سُلطة عظيمة، كأنها ناجمة عن رؤية ومشاهدة. فما من تردد، وما من تخمين. فمن أكون أنا حتى أخالفهم الرأي؟

ولماذا أكتب جزءًا ثانيًا فيحدُّ من كل تلك الخيارات؟ وفي حدود ما يعنيني أنا، فإن لأوغي مستقبلًا مشرقًا ومذهلًا مليئًا باحتمالات لا تنتهي، وكل احتمال منها هو في مثل رفعة الاحتمال السابق.

أشعر بالنعمة الكبيرة التي جعلت قُرَّاء **أعجوبة** يشعرون بهذا القرب منه، بحيث يرون بأنفسهم كيف ستمضي حياته. وأعرف أنهم يفهمون أن اختياري إنهاء **أعجوبة** بيوم سعيد في حياة أوغي لا يضمن له حياة سعيدة. فمن المؤكد أنه سيواجه أكثر من نصيبه العادل من التحديات مع تقدُّمه في العمر، والمزيد والجديد من الأفراح والأتراح، والأصدقاء الجُدد، ومنهم من سيكون جوليان، ومنهم من سيكون جاك، والكثيرات بالطبع من سمر. وإنني أرجو أن يخمن القُرَّاء من طريقة أوغي في التعامل مع نفسه على مدى سنته الأولى في مدرسة بيتشر الإعدادية، بكل ما شهدته من تجارب ومحن، أن لديه في نفسه ما يلزمه لينتصر على كل ما ترمي به الحياة في طريقه، ويقاوم التحديات حينما تظهر، ويبادل المحملقين حملقة بحملقة (أو حملقة بضحك)، وستكون معه دائمًا في أحلك الأوقات وأسعدها أسرته المذهلة، إيزابيل ونيت وفيا.

كتبت عالمة النَّفس الأمريكية السويسرية «إليزابث كوبلر روث» تقول «إن الشيء الوحيد الذي أعلم أنه يداوي الناس بحق هو الحب غير المشروط»، ولعل ذلك ما سيحمي أوغي من الاستسلام لأي جِراح تُلحقها به كلمات العابرين القاسية، أو اختيارات الأصدقاء؛ لأن لديه أيضًا - من أصدقائه المعروفين أو المجهولين - من سيقفون معه في المواقف الحالكة.

في النهاية، يعلم قُرَّاء **أعجوبة** أن الكتاب لم يتناول قَطُّ في حقيقته

ما جرى لأوغي بولمان، بل ما جرى للعالم بأثرٍ من أوغي بولمان.

يرجع بي ذلك إلى الكتاب الحالي، أو يرجع بي لمزيد من الدقة إلى القصص الثلاث الواردة في «أنا وأوغي».

حينما تلقيت للمرَّة الأولى اقتراحًا بكتابة هذه الكتب الإلكترونية القصيرة، أو هذه القصص من **أعجوبة**، تشبثت بالفرصة، وكنت في ذلك أنوب على وجه التحديد عن جوليان الذي جعله محبو **أعجوبة** شخصًا كريهًا ممقوتًا بينهم، بل صار بوسعكم الآن أن تجدوا في غوغول قولًا مثل: «تحلَّ بالهدوء ولا تكن جوليان»، بل لقد تكبَّد بعض الناس عناء تصميم ملصقات تحذيرية بهذا المعنى.

أفهم تمامًا سر كراهية جوليان؛ فنحن إلى الآن لم نره إلا عبر أعين أوغي وجاك وسمر وجوستن: وقح، ووضيع، ويُحملق في الناس، ويبتكر أسماء مُسيئة لأوغي، ويجتهد كي يتلاعب بزملائه، ويُؤلِّبهم على جاك بما يُعادل التنمُّر. ولكن أين يكمن جذر غضبه هذا كله على أوغي؟ ما أمر جوليان؟ ولماذا هو بهذه الوضاعة؟

حتى وأنا أكتب **أعجوبة**، كنت أعرف أن جوليان لديه قصة يحكيها، وأعرف أيضًا أن قصة تنمُّره، أو قصة السبب في تنمُّره، ليست ذات أثر كبير على أوغي، ولا أثر لها على الخط القصصي، ولذلك

لم تكن جزءًا من **أعجوبة**. فليس من المتوقَّع في نهاية المطاف أن نجد ضحايا التنمُّر يتعاطفون مع المعتدين عليهم. لكنني أحببت فكرة إيضاح شخصية جوليان في كتاب قصير يخصه، من دون تبرئة له من أفعاله؛ فأفعاله في **أعجوبة** تستوجب التوبيخ ولا يمكن الدفاع عنها، ولكنها محاولة لفهمه فهمًا أفضل. من المهم أن نتذكَّر أن جوليان لا يزال مجرد صبي صغير. صحيح أنه أساء التصرف، لكن هذا لا يعني أنه بالضرورة «ولد سيِّئ»؛ فأخطاؤنا ليست جوهر شخصياتنا، وأصعب ما في أخطائنا هو قدرتنا على تقبُّلها. هل سيُطهر جوليان نفسه؟ هل يستطيع؟ هل يريد؟ هذه أسئلة أطرحها وأُجيب عنها في **فصل جوليان** حتى في ثنايا إلقائي بعض الضوء على السبب الذي يجعل جوليان يتصرف مع أوغي على النحو الذي يتصرف به.

الكتاب القصير الثاني في **أنا وأوغي هو بلوتو**، ويُروَى من وجهة نظر كريستوفر؛ أقدم أصدقاء أوغي، الذي انتقل للسكن بعيدًا قبل سنوات عديدة من بدء أحداث **أعجوبة**. **بلوتو** نظرة فريدة على حياة أوغي قبل مدرسة بيتشر الإعدادية. كان كريستوفر حاضرًا مع أوغي في أول مصاعبه وحسراته - في أثناء العمليات الجراحية الرهيبة، ويوم جاء نيت بدايزي إلى البيت للمرَّة الأولى، وعندما بدا أن أصدقاء الحي القدامى تلاشوا من حياة أوغي. والآن يكافح كريستوفر - وقد كبر قليلًا - مع تحديات الحفاظ على صداقة أوغي - الحملقات، وردود الفعل الغريبة من الأصدقاء الجُدد. وهناك إغراء في الابتعاد عن الصداقة حينما تصبح صعبة، حتى في أفضل الظروف، وأوغي ليس الشخص الوحيد الذي يختبر ولاء كريستوفر، فهل يثبت أم يتزحزح؟

الكتاب القصير الثالث هو **شنغالنغ**، ويُروَى من وجهة نظر

تشارلوت؛ الفتاة الوحيدة التي اختارها السيد توشمان لتكون ضمن المرحبين بأوغي. على مدار **أعجوبة**، تبقى تشارلوت على علاقة مودة مع أوغي - وإن تكن على مسافة.

تُلوِّح له حينما تراه. لا تقف في صف الأولاد الذين يسيئون إليه. تحاول أن تساعد جاك، وإن بقي ذلك سرًّا لا يعلم به أحد. هي فتاة لطيفة لا شك في ذلك، لكنها لا تحيد عن طريقها، ولا تمضي قُدمًا إلى أن تكون أكثر من لطيفة. يغوص **شنغالنغ** في حياة تشارلوت كودي خلال الصف الخامس في مدرسة بيتشر الإعدادية ليُعلم القُرَّاء أن أمورًا كثيرة كانت تجري في ذلك العام ولم يعلم بها أوغي بولمان: عروض رقص، وفتيات لئيمات، وتحالفات قديمة، ومجموعات جديدة من الأصدقاء. في **شنغالنغ** تظهر مايا، وهيمينا، وسافانا، وسمر بصفة خاصة. وهذا الكتاب - شأن **بلوتو** و**فصل جوليان** - يستكشف حياة طفلة عادية في ظروف استثنائية.

وسواء هو عن أوغي وجوليان، أم أوغي وكريستوفر، أم أوغي وتشارلوت، فإن هذا الكتاب في قصصه الثلاث يستكشف تعقيدات الصداقة والولاء والمحبة، والأهم من كل ذلك أنه يستكشف ما تتركه الطِّيبة من آثار دائمة.

كُتب الكثير عن المدرسة الإعدادية، وسنوات ما قبل المراهقة، وكيف أنها السنوات التي يكاد يكون متوقعًا فيها أن يقسو بعض الأولاد على بعض، وهم يعيشون في مدارسهم الجديدة مواقف اجتماعية جديدة، ويعيشونها وحدهم، دونما إشراف من الآباء في أغلب الحالات. لكنني رأيت من الأولاد جانبًا آخر؛ رأيت فيهم ميلًا إلى النُّبل، وتوقًا إلى فعل الصواب. وأنا أؤمن بالأطفال وقدرتهم غير

المحدودة على الاهتمام والمحبة والرغبة في إنقاذ العالم، وما من شك لديَّ في أنهم سيقودوننا إلى مكان أكثر تسامحًا وقبولًا لكل ما في الكون من طيور، من أجل كل ما في الكون من ضعفاء ومشوهين، ومن أجل أوغي وأنا.

آر جي بي

فصل جوليان

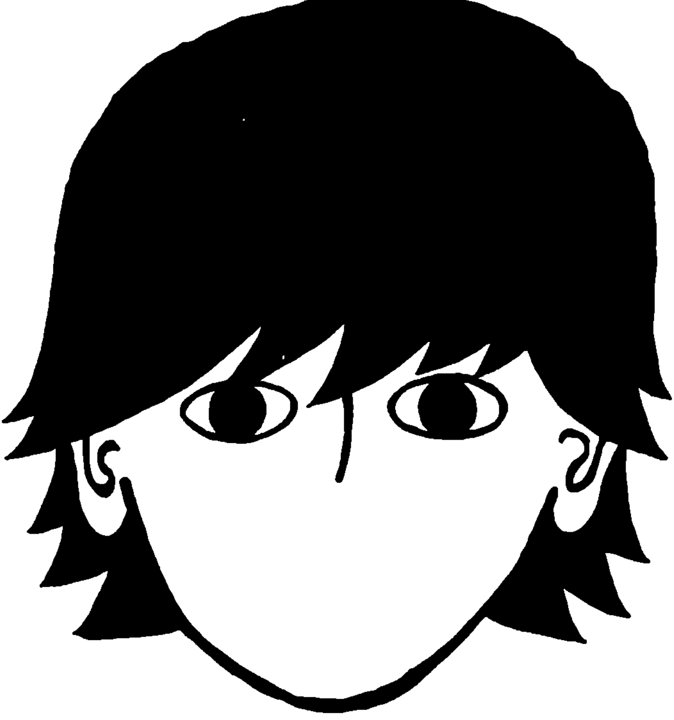

قصة من أعجوبة

«تحلَّ بالطيبة، فكلُّ شخصٍ تقابله إنما يخوض معركة عصيبة».

إيان مكلارين

قبل

«ربما أكون أنا مَن اخترعتُ النجوم والشمس وهذا البيت الهائل، لكنني لم أعد أتذكر».

خورخي لويس بورخيس، «بيت أستيريون»

***

«ليس لخوفٍ أن يُلحق بك أذى، يفوق أذى حلم».

وليم غولدنغ، «إله الذباب»

عادي

مكتبة
t.me/t_pdf

حسنًا، حسنًا، حسنًا.

أعرف، أعرف، أعرف.

لم أكن لطيفًا مع أوغي بولمان!

مشكلة كبيرة، لكنها ليست نهاية العالم يا جماعة، فكفانا من هذه الدراما، أليس كذلك؟ الدنيا كبيرة جدًّا من حولنا، وليس الجميع لُطفاء مع الآخرين. وهكذا الدنيا بكل بساطة. فهل يمكن من فضلكم أن تتجاوزوا الأمر؟ أعتقد أن الوقت حان للتحرُّك والمُضي في حياتكم، أم ماذا؟

أُف!

لا أفهم. بالفعل لا أفهم. في لحظة أكون أكثر الأولاد شعبيةً في الصف الخامس، وفي اللحظة التالية إذا بي... لا أعرف. مهما يكن. هذا مُوجع. السنة كلها مُوجعة! ليت أوغي بولمان لم يأتِ إلى مدرسة بيتشر من الأصل! ليته أبقى وجهه الضئيل المُرعب مخفيًّا بعيدًا مثل «شبح الأوبرا» أو ما يُشبهه! ارتدِ قناعًا يا أوغي! أبعدْ وجهك عن عينيَّ أرجوك! كان كل شيء سيُصبح أسهل لو اختفيتَ وحسب! بالنسبة إليَّ على الأقل!

بالمناسبة، أنا لا أقول إن الأمر نزهة بالنسبة إليه هو الآخر. أعرف أنه لا يمكن أن يكون سهلًا عليه أن ينظر في المرآة كل يوم، أو أن يمشي في الشارع، ولكن تلك ليست مشكلتي. مشكلتي أن كل شيء

اختلف منذ مجيئه إلى مدرستي: الأولاد اختلفوا، أنا اختلفت. وذلك بشعٌ وكريه.

ليت كل شيء بقي كما كان في الصف الرابع! وقتها كان لدينا الكثير والكثير والكثير من المرح. كنا نلعب لعبة **المطاردة واللمس** في الفناء، وبلا غرور، كان الجميع يريدون قطعة مني. أتفهمون؟ أقول الجميع! كان الجميع يريدون أن يكونوا شركائي في مشروعات الدراسات الاجتماعية، ويضحكون كلما قُلتُ شيئًا طريفًا.

في وقت الغداء، كنت أجلس مع مجموعتي، وكنا بالفعل كذلك: مجموعة. هنري، ومايلز، وأموس، وجاك. كنا مجموعة، بيننا نِكات سِرِّية، وإشارات صغيرة بالأيدي لكل شيء.

لا أعرف لماذا تحتَّم أن يتغيَّر ذلك! لا أعرف لماذا تحكَّم الغباء في الجميع!

الحقيقة أنني أعرف لماذا. كان السبب هو أوغي بولمان. اللحظة التي ظهر فيها، هي اللحظة التي لم يعد شيء فيها كما كان عليه. كان كل شيء عاديًّا تمامًا، ثم اختلطت الأشياء، والسبب هو، وكذلك السيد توشمان.

الحقيقة أن الأمر يمكن أن يكون خطأ السيد توشمان بالكامل.

الاتصال

أتذكَّر أن أمي أقامت الدنيا ولم تُقعدها بسبب اتصال تلقَّيناه من السيد توشمان. ظلَّت، على العشاء في تلك الليلة، تُعيد وتزيد قائلة إن ذلك شرف عظيم. مدير المدرسة الإعدادية اتصل ببيتنا ليسأل إن كان بوسعي أن أكون من المُرحِّبين بولد جديد في المدرسة. واو! خبر مذهل! تصرفت ماما وكأنني فُزت بأوسكار مثلًا. قالت إن ذلك أظهر لها أن المدرسة تعرف فعلًا مَن الأولاد «المميزون»، وبدا لها ذلك رائعًا. لم تكن أمي قد التقت بالسيد توشمان من قبل، حيث كان مدير المدرسة الإعدادية وكنت لم أزل في المدرسة الابتدائية، لكنها لم تستطع أن تتوقف عن الثرثرة حول مدى لُطفه في المكالمة.

كانت أمي دائمًا شخصية مهمة في المدرسة، فهي عضو في مجلس الأمناء الذي لا أعرف أصلًا ماذا يكون، لكن الظاهر أنه شيء مهم. فضلًا عن أنها تتطوَّع دائمًا لعمل أشياء؛ فقد كانت مثلًا الأمَّ الخاصة بالفصل في كل سنة دراسية لي في بيتشر، وكانت تفعل الكثير للمدرسة.

وهكذا، في اليوم الذي كان يجب أن أنضم فيه إلى المُرحِّبين، أوصلتني إلى المدرسة الإعدادية. وحينما أرادت أن تُدخلني، قلت لها:

- ماما، أنا في المدرسة الإعدادية!

ففهمتْ، وتحركتْ بالسيارة قبل أن أدخل إلى المدرسة.

كانت تشارلوت كودي، وجاك ويل، قد وصلا بالفعل إلى البهو الأمامي، فتبادلنا التحيات. وتصافحت أنا وجاك بالطريقة الخاصة

بمجموعتنا، وألقينا التحية على الحارس، ثم صعدنا إلى مكتب السيد توشمان. بدا شكل المدرسة غريبًا وهي خالية تمامًا من الأشخاص.

قلت لجاك:

- بوسعنا يا زميلي أن نتزلَّج هنا فلا يعرف أحد بأمرنا.

ومضيت أجري، ثم أنزلق على أرض الطُّرقة الملساء، حيث لا يستطيع الحارس أن يرانا.

قال جاك:

- نعم، فعلًا.

لكنني لاحظت أن جاك يزداد هدوءًا كلما اقتربنا من مكتب السيد توشمان. الحقيقة أنه بدا كمن يوشك أن يتقيأ!

عندما أوشكنا على الوصول إلى أعلى السلم توقَّف، وقال:

- لا أريد فعل هذا!

وقفت بجواره. وكانت تشارلوت قد وصلت بالفعل إلى البسطة العليا، فقالت:

- هيًا. اصعدا.

قلت:

- لستِ الزعيمة!

هزَّت رأسها، وقلبت عينيها لي، فضحكتُ ولكزتُ جاك بمرفقي. كان يروق لنا أن نستفز تشارلوت كودي، وكانت دائمًا **شخصية مثالية**.

قال جاك وهو يتحسس وجهه بيده:

- كل هذا خطأ!

قلت:

- لماذا؟

قال:

- أتعرف مَن يكون هذا الولد الجديد؟

هززت رأسي.

رفع جاك عينيه إلى تشارلوت وسألها:

- أنتِ تعرفين مَن يكون، أليس كذلك؟

نزلت تشارلوت السلم باتجاهنا، وقالت:

- أظن هذا.

وامتعض وجهها كمن تذوَّقت للتوِّ شيئًا كريه الطَّعم.

هزَّ جاك رأسه، ثم ضربه ثلاث ضربات براحة يده، وقال من وراء أسنانه:

- كنت أحمق حينما وافقت على هذا!

قلت وأنا أدفع جاك في كتفه لكي ينظر إليَّ:

- لحظة، مَن يكون هذا الولد؟

قال:

- إنه الولد المدعو «أوغست»! أتعرفه؟ الولد ذو الوجه؟

لم أكن أعرف عن أي شيء يتكلم.

قال جاك:

- لا بد أنك تمزح! ألم ترَ قَطُّ ذلك الولد؟ إنه يعيش في الحي، ويتنزه في الفناء في بعض الأحيان! لا بد أنك رأيته. الجميع رأوه!

قالت تشارلوت:

- إنه لا يعيش في هذا الحي.

قال جاك وقد نفد صبره:

- بل يعيش فيه.

أجابت وقد نفد صبرها هي الأخرى:

- لا. أقصد أن جوليان لا يعيش في هذا الحي.

قلت:

- ما علاقة هذا بالأمر؟

قال جاك:

- لا يهم. صدِّقني يا زميلي، أنت لم ترَ شيئًا كهذا من قبل.

قالت تشارلوت:

- لا تكن وضيعًا! هذا كلام غير لطيف!

قال جاك:

- لستُ وضيعًا! أنا فقط صريح.

قلت:

- كيف يبدو شكله بالضبط؟

لم يُجب جاك، واكتفى بالوقوف في مكانه وهزَّ رأسه.

نظرت إلى تشارلوت، فوجدت وجهها عابسًا.

قالت:

- سترى. هيَّا بنا نذهب، حسنًا؟

وتلفتت حولها، ثم صعدت السلم واختفت في القاعة المؤدية إلى مكتب السيد توشمان.

قلت مُقلدًا تشارلوت تقليدًا مُحكمًا:

- هيَّا بنا نذهب، حسنًا؟

ظننت أن ذلك سيُضحكه، لكنه لم يضحك.

قلت:

- جاك، هيَّا يا زميلي.

تظاهرتُ أنني أصفعه بقوة على وجهه، وذلك أضحكه بالفعل، إلا إنها ضحكة خافتة، فردَّ لي الصفعةَ لكمةً بالحركة البطيئة، وأدى ذلك إلى لعبة «الطحال» سريعًا، وفي هذه اللعبة يحاول كلٌّ منا أن يلكز الآخر في ضلوعه.

قالت تشارلوت آمرةً من أعلى السلم، وقد عادت لتنادينا:

- هيَّا يا شباب!

همستُ في أذن جاك:

- هيَّا يا شباب.

وهذه المرَّة ضحك ضحكة ما، لكننا لم نكد ننعطف في الطُّرقة ونصل إلى مكتب السيد توشمان حتى كست الجدية وجوهنا جميعًا.

عندما دخلنا، طلبت منا السيدة جارسيا أن ننتظر في مكتب الممرضة مولي، وهو عبارة عن غرفة صغيرة بجوار مكتب السيد توشمان. لم يقل أحدنا شيئًا أثناء الانتظار. قاومت إغراء عمل بالونة من أحد القفازات المطاطية الموضوعة في علبة بجوار جدول الامتحانات، على الرغم من أنني أعرف أن ذلك سيُضحك الجميع.

السيد توشمان

دخل السيد توشمان إلى المكتب. كان طويلًا، وأقرب إلى النحافة، وشعره رماديًّا مُشعثًا.

قال مبتسمًا:

- مرحبًا يا شباب. أنا السيد توشمان، لا بد أنكِ تشارلوت.

وصافح تشارلوت، ثم نظر ناحيتي:

- وأنت...؟

قلت:

- جوليان.

كرَّر مبتسمًا:

- جوليان.

وصافحني، ثم قال لجاك:

- وأنت جاك ويل.

وصافح جاك أيضًا.

جلس على كرسي بجوار طاولة الممرضة مولي، وقال:

- في البداية، أود أن أشكركم يا شباب شكرًا جزيلًا على مجيئكم اليوم إلى هنا. أعرف أنه يوم حار، ولا بد أن لديكم أمورًا أخرى تريدون إنجازها. كيف تمضي الإجازة معكم؟ جيدة؟

أومأنا جميعًا بطريقة أو بأخرى ونحن نتبادل النظرات، وسألته:

- وكيف هو الصيف مع حضرتك؟

قال:

- أوه، ظريف منك جدًّا يا جوليان أن تسأل. إنه صيف هائل، شكرًا لك. مع أنني مشتاق فعلًا إلى الخريف، فأنا أكره هذا الجو الحار!

وشد أطراف قميصه قائلًا:

- أنا متأهب تمامًا للشتاء.

بدأنا نحن الثلاثة في تلك اللحظة نحرك رؤوسنا إلى أعلى وإلى أسفل في بَلَه. أنا شخصيًا لا أعرف لماذا يبالي الكبار بالثرثرة مع الأولاد. لا أثر لهذا إلا أنه يُشعرنا بأن في الأمر بعض الغرابة. أنا بالطبع أعرف جيدًا كيف أتكلّم مع الكبار - ربما لأنني أسافر كثيرًا، وتكلّمت كثيرًا مع الكبار من قبل - لكن أغلب الأولاد لا يحبون أن يتكلّموا مع الكبار، وهذه هي المسألة بمنتهى البساطة. فمثلًا، إذا قابلت والد صديق لي ولم نكن في المدرسة، فإنني أتجنب أن تلتقي أعيننا لكي لا أضطر إلى الحديث معه، ويكون وضعًا شديد الغرابة، مثلما يكون غريبًا أيضًا حينما تُصادف مُعلِّمًا خارج المدرسة. فمثلًا، حدث مرّة في مطعم أن رأيت مُعلِّمتي في الصف الثالث مع صديقها، وشعرت بالتقزُّز، لأني لا أريد أن أرى مُعلِّمتي وهي تتسكّع مع صاحبها، أتفهمون؟

على أي حال، كنا هناك، أنا وتشارلوت وجاك، مُطرقين في بَلَه تام، بينما مضى السيد توشمان يُعيد ويزيد في الكلام عن الصيف. لكنه أخيرًا، أخيرًا، وصل إلى الهدف، فقال وهو يضرب بكفيه على فخذيه:

- حسنًا يا شباب، من اللطيف جدًّا أن تُضحوا بأُمسيتكم لتقوموا بهذا. خلال دقائق قليلة سأُعرفكم بالولد القادم إلى مكتبي،

وقد أردت فقط أن أُمهِّد لكم بكلمات عنه قبل ذلك. أقصد أنني بالطبع حكيت لأُمهاتكم قليلًا عنه، هل تكلَّمن معكم؟

أومأ كلٌّ من تشارلوت وجاك، أما أنا فهززت رأسي يمينًا ويسارًا، وقلت:

- أخبرتني ماما أنه أُجريت له مجموعة جراحات.

قال السيد توشمان:

- نعم، هذا صحيح. لكن هل كلَّمتك عن وجهه؟

يجب أن أقول إنني عند تلك النقطة بدأت أُفكِّر: **ما الذي أفعله هنا بحق الجحيم؟**

قلت وأنا أهرش رأسي:

- يعني، لا أعرف.

حاولت أن أرجع بذاكرتي إلى ما قالته لي أمي. لم أنتبه إليها انتباهًا حقيقيًّا. أعتقد أنها قضت أغلب الوقت تتكلَّم باستفاضة عن الشرف الذي نلته عندما وقع عليَّ الاختيار، ولم تُركز فعليًّا على أن الولد فيه مشكلة ما.

قلت:

- أخبرتني أن **حضرتك** قلت إن الولد لديه ندوب كثيرة وما إلى ذلك، كما لو أنه نجا من حريق.

قال السيد توشمان وقد رفع حاجبيه:

- لم أقل ذلك بالضبط. ما قلته تحديدًا لوالدتك إن هذا الصبي ذو وجه مُشوَّه.

قاطعته وقد تذكَّرتُ، قائلًا:

- أوه، نعم نعم نعم. استعملت والدتي تلك الكلمة. قالت إن الأمر أشبه بشفة مشقوقة أو شيء ما.

تجعَّد وجه السيد توشمان، وقال وهو يرفع كتفيه ويحرك رأسه يمينًا ويسارًا:

- يعني، المسألة أكبر من ذلك قليلًا.

ونهض فربت على كتفي، وقال:

- آسف لأنني لم أُوضِّح الأمر لوالدتك. على أي حال، لا أريد أن أجعل الأمر صعبًا عليكم. الحقيقة أن السبب الأساسي لحديثي معكم الآن هو أنني لا أريد أن يكون الأمر صعبًا عليكم. أريد أن أُمهِّد لكم، هذا الصبي يبدو مختلفًا أشد الاختلاف عن بقية الأطفال، وهذا ليس سرًّا. هو يعرف أن شكله مختلف، مختلف منذ الميلاد، وهو يفهم هذا. هو ولد ممتاز، شديد الذكاء، شديد اللطف، لم يذهب من قبل إلى مدرسة عادية لأنه كان يتعلَّم في البيت، وذلك كما تعرفون بسبب كل تلك الجراحات. لذلك أريد منكم يا شباب أن تأخذوه في جولة صغيرة، وأن تتعرفوا إليه، وأن تُرحبوا به. يمكنكم بالطبع أن تطرحوا عليه أسئلة إن شئتم. تكلَّموا معه بصورة طبيعية، فهو فعلًا طفل طبيعي تمامًا، لكن وجهه... كما تعرفون، غير طبيعي.

ونظر إلينا وهو يتنفَّس بعمق، وقال:

- يا إلهي! لقد زدتكم جميعًا توترًا، أليس كذلك؟

هززنا رؤوسنا. وفرك هو جبهته، وقال:

- من الأشياء التي ستتعلَّمونها حينما تكبرون مثلي، أنه في بعض الأحيان، قد يظهر موقف جديد، ولا تكون لديكم أدنى فكرة عن طريقة التصرُّف فيه. لا يوجد كتاب قواعد يُنبئكم بكيفية التصرُّف في أي موقف تواجهونه في الحياة. أتفهمون؟ ما أقوله دائمًا، إنه

خيرٌ لك أن تميل إلى جانب الطِّيبة. هذا هو السر. إذا لم تعرف كيف تتصرَّف، فعليك فقط أن تكون طيبًا، ولا يمكن في هذه الحالة أن تخطئ. ولهذا السبب طلبت من ثلاثتكم أن تساعدوني في هذا الأمر، لأنني سمعت من مُعلِّميكم في المدرسة الابتدائية أنكم أولاد لُطفاء فعلًا.

لم ندرِ ماذا نقول في هذا، فاكتفينا بالابتسام كالحمقى.

قال:

- تعاملوا معه فقط كما تُعاملون ولدًا تلتقون به للمرَّة الأولى. هذا هو كل ما أحاول قوله. حسنًا يا شباب؟

أطرقنا جميعًا في وقت واحد، والبَلَه يسيطر علينا.

قال:

- أنتم رائعون يا شباب. الآن اهدأوا، وانتظروا هنا قليلًا، وستأتي السيدة جارسيا لتصطحبكم خلال دقائق قليلة.

وفتح الباب مستدركًا:

- يا شباب، أشكركم جدًّا مرَّة أخرى على قيامكم بهذا. من جمال الكارما أن نفعل الخير. هذه هي الميتزفاه. أتفهمونني؟

وابتسم إثر ذلك وهو يغمز لنا، ثم غادر الغرفة.

زفرنا جميعًا في نَفَس واحد، وتبادلنا النظرات وقد اتسعت أعيننا.

قال جاك:

- حسنًا، أنا لا أعرف ماذا تكون الكارما، ولا أعرف ماذا تكون الميتزفاه!

ضحكنا جميعًا لقوله، لكنه ضحك عابر، ومتوتر بعض الشيء.

النظرة الأولى

لن أخوض في تفاصيل بقية ما جرى في ذلك اليوم. أقول فقط إن جاك للمرَّة الأولى في حياته لم يكن يبالغ، بل إن ما فعله في الحقيقة هو العكس. هل هناك كلمة تعني عَكسَ «يبالغ»؟ كلمة تعني «لا يبالغ»؟ لا أعرف. لكن جاك لم يبالغ مُطلقًا فيما قاله عن وجه ذلك الولد.

أول نظرة ألقيتها على وجه أوغست، جعلتني أرغب حقًّا في تغطية عينيَّ بيدي والهرب صارخًا. بوم!! أعرف أن هذا يبدو وضيعًا، وأنا أعتذر، لكنه الحقيقة، وكل من يقول إن ذلك ليس رد فعله حينما يرى أوغي للمرَّة الأولى فهو غير صادق.

لولا أنني أعرف أن ذلك سيُعرِّضني لمشكلات، لخرجت من الغرفة بعد أن رأيته. اكتفيت بالنظر إلى السيد توشمان، محاولًا الإنصات إلى كلامه، فلم أسمع غير ياكْ ياكْ ياكْ ياكْ، لأن أذنيَّ كانتا تحترقان. كان في رأسي ما يُشبه زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل!

أعتقد أنني نطقت تلك الكلمة ألف مرَّة في نفسي، ولا أعرف لهذا سببًا. وعند نقطة معينة، قدَّمنا لأوغي. آاه. أعتقد أنني صافحته بالفعل. آاه وألف آه. أردت أن أنقشع من ذلك المكان بسرعة، وأن أغسل يديَّ. لكن قبل أن أعرف ما الذي يجري، كنا مُتجهين إلى الباب، وعبر الطُّرقة، ثم صاعدين السلم.

زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل! زميل!

لمحتُ جاك ونحن نصعد السلم في اتجاهنا إلى الفصل الأساسي.

فتحت عينيَّ على اتساعهما، على أقصى اتساع لهما بالفعل، وحرَّكت فمي قائلًا له بلا صوت:

- لا يمكن!

فرد جاك بمثل طريقتي:

- قلتُ لك!

مذعور

أتذكَّر حينما كنت في الخامسة من عمري تقريبًا، أنني شاهدت ذات ليلة حلقة من سبونج بوب، عُرض خلالها إعلان أفزعني تمامًا. كان ذلك قبل أيام قليلة من الهالوين، وكانت إعلانات كثيرة ومخيفة إلى حدٍّ ما تُعرض في ذلك الوقت من السنة، لكن ذلك الإعلان كان عن فيلم إثارة جديد للمراهقين لم أسمع عنه من قبل. وفجأة، بينما أشاهد الإعلان، ظهر وجه زومبي في لقطة قريبة، مما أصابني تمامًا بالرُّعب، وأقصد بالرُّعب ذلك الذي يحدث عندما تجد نفسك مندفعًا خارجًا من الغرفة صارخًا وذراعاك في الهواء: **م ررررع وووو ب.**

بعد ذلك تمكَّن مني الرُّعب من احتمال أن أرى وجه ذلك الزومبي مرَّة أخرى، لدرجة أنني امتنعت عن مشاهدة التلفزيون إلى أن انتهى الهالوين وتوقَّف عرض ذلك الفيلم في دور السينما. امتنعت تمامًا عن مشاهدة التلفزيون، فإلى هذه الدرجة كنت مرعوبًا.

لم يمضِ وقت طويل بعد ذلك حتى كنت في موعد لعب مُرتَّب مع ولد لم أَعد أتذكَّر اسمه أصلًا. وكان هذا الولد مُغرمًا كثيرًا بهاري بوتر، فأخذنا نشاهد أحد أفلام هاري بوتر (لم أكن شاهدت أيًّا منها من قبل)، وحينما رأيت وجه فولدمورت للمرَّة الأولى، حدث لي مثل ما حدث لي حينما شاهدت إعلان الهالوين. انطلقت في صراخ هِستيري ونحيب وبكاء، كأنما لا فارق إطلاقًا بيني وبين طفل صغير. كان الأمر سيئًا جدًّا، ولم تستطع والدة الولد أن تهدئني، فاضطرت إلى الاتصال بأمي لتأتي وتأخذني. استاءت أمي كثيرًا لأن والدة

الولد سمحت لي بمشاهدة الفيلم، وانتهى الأمر بمشاجرة بينهما. وباختصار، لم أذهب للَعب هناك مرَّة أخرى. لكنني على الرغم من ذلك، فيما بين إعلان الزومبي في الهالوين ووجه فولدمورت عديم الأنف، كنت في حالة تشوُّش.

ثم حدث، لسوء الحظ، أن اصطحبني أبي إلى السينما في ذلك الوقت تقريبًا. وأُكرر أنني كنت في الخامسة تقريبًا، أو ربما كنت بلغت السادسة بحلول ذلك الوقت. ما كان يجب أن يكون ذلك أمرًا كبيرًا، فالفيلم الذي ذهبنا لمشاهدته كان مصنفًا للجمهور العام، أي أنه آمن تمامًا، وغير مُخيف على الإطلاق. ولكن أحد إعلانات الأفلام التي عُرضت على الشاشة كان لفيلم «الجِنيَّة المخيفة»، وهو فيلم عن الجِنيّات الشريرات. أعلم، الجِنيّات من أبأس ما يكون، وحينما أستعيد الواقعة لا أُصدِّق أنني شعرت بكل ذلك الخوف من شيء كهذا، لكن ذلك الإعلان أصابني بالرُّعب، واضطر أبي إلى أن يُخرجني من القاعة، نعم، مرَّة ثانية، ولم يكن بوسعي أن أقاوم البكاء. كان الأمر مُحرجًا جدًّا. أقصد، من هذا الذي يخاف من الجِنيّات؟ من أي شيء آخر أخاف بعد هذا؟ الخيول الطائرة؟ العرائس الدُّمى؟ ندف الثلج؟ كان أمرًا جنونيًّا. ولكن هذا ما كان من أمري، كنت أرتعش وأصرخ وأنا أغادر قاعة السينما، مخبئًا وجهي في معطف أبي. أثق أن أطفالًا في الثالثة كانوا وسط الجمهور، ينظرون إليَّ كمن ينظرون إلى أتفه التافهين.

هكذا يكون حال المذعورين. لا يمكن السيطرة على الذعر، فحينما يُصيبك يتمكَّن منك، ويبدو كل شيء مخيفًا أكثر مما يكون عليه في الحالة العادية، حتى الأشياء غير المخيفة أصلًا. كأن كل

الأشياء التي تُصيبك بالذعر تندمج معًا لتتحول إلى ذلك الإحساس المرعب الهائل. يبدو وكأن بطانية الرُّعب هذه تلتف من حولك، وأنها مصنوعة من شظايا زجاج وروث كلاب وصديد مخاطي وبثور زومبي متقيحة!

بدأت الكوابيس المريعة تنتابني، فأصحو كل ليلة صارخًا. وصل الأمر إلى حدٍّ أنني صرت أخاف أن أنام حتى لا أرى كابوسا آخر، فبدأت أنام في سرير والديَّ. وليت هذا استمر لبضع ليالٍ، ولكن الأمر مضى على تلك الحال لستة أسابيع. لم أكن أتركهما يطفئان المصابيح، وكانت تصيبني نوبة ذعر كلما أوشك النوم أن يغلبني. أعني أن راحتيَّ كانتا تبدآن في التعرُّق، وقلبي يبدأ في الخفقان بسرعة، وأنطلق في البكاء والصياح قبل أن أدخل إلى السرير.

اصطحبني والداي إلى طبيبة «مشاعر»، لم أعرف إلا في وقت لاحق أنها طبيبة نفسية للأطفال. وساعدتني الدكتورة بيتل قليلًا. قالت إن ما أعاني منه يُعرف بـ«مخاوف الليل»، ونفعني الكلام معها عن تلك المخاوف. لكنني أعتقد أن ما ساعدني فعلًا في التغلُّب على الكوابيس هو أفلام الطبيعة في قناة ديسكفري التي جاءت بها أمي إلى البيت في أحد الأيام. تحيا أفلام الطبيعة هذه. كنا نضع كل ليلة واحدًا منها في جهاز الـ«دي في دي» لأنام على صوت رجل يتكلم بلكنة بريطانية عن حيوانات كالنمس أو دب الكوال الأسترالي أو قنديل البحر.

أخيرًا تغلَّبت على الكوابيس، وعادت الأمور إلى طبيعتها، لكنني ظللت بين الحين والآخر أمرُّ بما تسميه أمي «انتكاسة صغيرة». مثلًا - مع أنني الآن أحب أفلام حرب النجوم - عندما شاهدت الجزء

الثاني من حرب النجوم للمرَّة الأولى، وكان ذلك حينما ذهبت لأقضي الليلة في بيت صديق بمناسبة عيد ميلاده وكان عمري ثماني سنوات، اضطررت إلى إرسال رسالة نصية إلى أمي لتأتي وتأخذني في الثانية صباحًا لأنني لم أستطع النوم؛ فكلما أغمضت عينيَّ تخيَّلت وجه دارث سيديوس. استغرقت نحو ثلاثة أسابيع في مشاهدة أفلام الطبيعة، لأتغلب على تلك الانتكاسة (إضافةً إلى أني امتنعت عن الذهاب للمبيت عند الأصدقاء لسنة بعد ذلك). وعندما بلغت التاسعة شاهدت فيلم «ملك الخواتم: البرجان» للمرَّة الأولى، وتكرَّر الأمر نفسه من جديد، لكنني في هذه المرَّة لم أستغرق إلا أسبوعًا للتغلُّب على غولوم.

عندما بلغت العاشرة، انتهت تلك الكوابيس إلى حدٍّ كبير. حتى الخوف من مجيء الكوابيس لم يعد له وجود هو الآخر. فمثلًا لو كنت في بيت هنري وقال «هيَّا بنا نشاهد فيلم رعب»، لم يعد رد فعلي الأول هو «لا، قد ينتابني كابوس» (ذلك ما كنت أفعله من قبل)، بل صار رد فعلي أقرب إلى «حسنًا، هذا لطيف، أين الفشار؟».

أخيرًا صار بوسعي مرَّة أخرى أن أُشاهد جميع أنواع الأفلام، بل صرت مُغرمًا بأفلام زومبي نهاية العالم، ولم تعد تضايقني على الإطلاق. أما مسألة الكوابيس تلك فصارت كلها ماضيًا، أو ذلك على الأقل ما كنت أحسبه.

في الليلة التالية لمقابلتي أوغي بولمان، بدأت أرى الكوابيس من جديد. لم أُصدِّق نفسي! لم تكن مجرد أحلام سيِّئة، بل الأمر كله في خفقان القلب المتسارع، والاستيقاظ صارخًا بالليل بسبب الكوابيس التي كانت تنتابني وأنا طفل، باستثناء أني لم أعد طفلًا.

كنت في الصف الخامس! وعمري إحدى عشرة سنة! ما كان يجب أن يحدث شيء كهذا!

عُدت من جديد، أُشاهد أفلام الطبيعة عسى أن تساعدني على النوم!

صورة الصَّف

حاولت أن أصف لأمي كيف يكون شكل أوغي، فلم تستوعب ذلك، إلى أن وصلت صور الصف الجماعية في البريد. حتى ذلك الحين لم تره فعليًّا؛ فقد كانت مسافرة في رحلة عمل خلال مهرجان **عطاء عيد الشكر** ولم تتمكَّن من رؤيته، وفي يوم **المتحف المصري** كان وجه أوغي ملفوفًا بضمادات المومياوات، ولم يكن قد أُقيم أي حفل مُوسيقي من حفلات ما بعد المدرسة. وهكذا كانت المرَّة الأولى التي رأت فيها أمي **أخيرًا** أوغي، فبدأت تفهم وضعي الكابوسي في اليوم الذي فتحت فيه الظرف الكبير المحتوي على صورة الصف.

الحقيقة أن الأمر لم يخلُ من طرافة. وبوسعي أن أُخبركم بالضبط كيف كان رد فعلها، لأنني كنت أراقبها حين فتحت الظرف. في البداية، فتحت الظرف في جذل من أعلاه بفتاحة الأظرف، ثم جذبت صورتي الفردية، ووضعت يدها على صدرها قائلة:

- يااه يا جوليان، كم أنت وسيم! أنا سعيدة جدًّا لأنك ارتديت ربطة العنق التي أرسلتها لك جدتك.

كنت أتناول بعض الآيس كريم على مائدة المطبخ، فاكتفيت بالابتسام مُومئًا لها، ثم شاهدتها وهي تستخرج صورة الصف من الظرف. في المدرسة الابتدائية، كان مُعلِّم كل فصل هو الذي يلتقط الصورة السنوية. أما في المدرسة الإعدادية، فهي مجرد صورة جماعية واحدة للصف الخامس كله، يقف فيها نحو ستين تلميذًا أمام مدخل

المدرسة: أربعة صفوف، وفي كل صف خمسة عشر تلميذًا. كنت في الصف الأخير، بين أموس وهنري.

نظرت أمي إلى الصورة وعلى وجهها ابتسامة، وحينما وقعت عيناها عليَّ قالت:

- أوه، هذا أنت.

واصلت النظر إلى الصورة والابتسامة على وجهها، ثم قالت:

- انظر كم كبر مايلز. وهل هذا هنري؟ يبدو أن شاربه ينبت. ومن يكون...؟

في تلك اللحظة توقَّفتْ عن الكلام. تجمَّدت الابتسامة على وجهها لثانية أو اثنتين، ثم أخذ وجهها يتحول ببطء إلى حالة الصدمة.

تركت الصورة، وحملقت في الفراغ، ثم عاودت النظر إلى الصورة، ثم نظرت إليَّ والابتسامة قد غادرت وجهها.

سألتني وقد تغيَّر صوتها تمامًا ولم يعد له الوقع الذي كان له قبل لحظات:

- هذا هو الطفل الذي كنت تتكلم عنه؟

أجبتها:

- قلتُ لكِ.

نظرت مرَّة أخرى إلى الصورة وقالت:

- إنها ليست مجرد شفة مشقوقة!

قلت لها:

- لم يقل أحد قَطُّ إن الأمر مجرد شفة مشقوقة! السيد توشمان لم يقل ذلك قَطُّ!

- بل قال، في المكالمة، في تلك المرَّة!

قلت لها:

- لا يا ماما، ما قاله هو «تشوُّه في الوجه»، وأنتِ تصوَّرت أن المسألة مجرد شفة مشقوقة، لكنه لم يقل قَطُّ إنها شفة مشقوقة!
- بل أُقسم أنه قال إن الولد لديه شفة مشقوقة، لكن ما أراه أسوأ كثيرًا من ذلك!

أصابها الذهول تمامًا. لم تستطع أن ترفع عينيها عن الصورة.

- ما مشكلته بالضبط؟ هل هذا تأخُّر في النمو؟ يبدو أن الأمر كذلك.

قلت وأنا أهزُّ كتفي:

- لا أظن.
- هل يتكلم بطريقة جيدة؟
- أقرب إلى الهمهمة. في بعض الأحيان يصعب فهمه.

وضعت أمي الصورة على المائدة وجلست، وبدأت تنقر بأصابعها على المائدة، ثم قالت وهي تهزُّ رأسها:

- أحاول أن أُفكِّر فيمن تكون والدته. هناك الكثير جدًّا من أولياء الأمور الجُدد في المدرسة، لا يمكنني أن أُخمِّن من تكون بينهم. أهي شقراء؟
- لا. شعرها داكن. أراها أحيانًا عند ساحة انتظار السيارات.
- هل شكلها... مثل الولد؟
- لا، لا. إطلاقًا.

جلست بجانبها، متناولًا الصورة، مُضيِّقًا عينيَّ لكي لا أراها بوضوح. كان أوغي في الصف الأول، في بدايته من اليسار.

- قلتُ لكِ يا أمي. قلتُ لكِ ولم تُصدِّقيني!

قالت مُدافعةً عن نفسها:

- ليس الأمر أنني لم أُصدِّقك، بل إنني فقط... مندهشة. لم أكن أُدرك أن الأمر بهذه الجسامة! أوه، أعتقد أنني أعرف من هي والدته. هل هي جميلة، وتبدو كالأجانب، بشعرها الداكن المتماوج؟

قلت وأنا أهزُّ كتفي:

- ماذا؟ لا أعرف. هي أُم وحسب.

قالت أمي كمن تُحدِّث نفسها:

- أظن أنني أعرفها. رأيتها في ليلة أولياء الأمور. زوجها وسيم أيضًا.

قلت وأنا أهزُّ رأسي:

- ليست لديَّ أيُّ فكرة.

وضعت يدها على قلبها قائلة:

- يا للمساكين!

سألتها:

- الآن عرفتِ لماذا عاودتني الكوابيس؟

تخللت شعري بيديها، وسألتني:

- ألا تزال ترى الكوابيس؟

قلت وأنا أرمي الصورة على المائدة:

- ليس في كل ليلة مثلما حدث في الشهر الأول من الدراسة. لكن نعم. لماذا تحتم أن يأتي إلى مدرسة بيتشر أصلًا؟!

نظرتُ إلى أمي، ولم تكن تعرف ماذا تقول. وبدأت تُعيد الصورة إلى داخل الظرف.

قلت لها بصوت مرتفع:

- بالمناسبة، أنا لا أُفكِّر أساسًا في ضم هذه الصورة إلى ألبوم صوري المدرسية. يُمكنكِ أن تحرقيها أو تفعلي فيها ما تشائين!
- جوليان!

انخرطتُ في البكاء فجأة، فاندهشت أمي وعانقتني قائلة:

- ياه يا حبيبي!

قلتُ وأنا أبكي:

- لم أستطع مقاومة البكاء يا أمي! أكره أنني أراه كل يوم!

في تلك الليلة، رأيت الكابوس نفسه الذي كنت أراه منذ بداية الدراسة: أرى فيه نفسي سائرًا في الطُّرقة الرئيسية، وجميع الأولاد واقفين أمام خِزاناتهم، ينظرون نحوي بعيون مُحملقة، متهامسين بكلام عني بينما أسير عابرًا إياهم. أصعد الدَّرج إلى أن أصل إلى الحمَّام، ثم أنظر في المرآة، وحين أرى نفسي، لا يكون ما أراه أنا، بل أوغي، ثم أصرخ!

فوتوشوب

في الصباح التالي وصلني صوت والديَّ وهما يتكلمان في أثناء استعدادهما للخروج إلى العمل. كنت أرتدي ملابسي للخروج إلى المدرسة.

قالت أمي لأبي:

- كان يجب أن يُهيِّئوا الأولاد بشكل أكبر مما فعلوا. كان يجب أن تُرسل المدرسة رسائل أو أي شيء إلى البيوت. لا أعرف!

قال أبي:

- لا يمكن. ماذا يقولون فيها؟ ما الذي يمكن أن يكتبوه؟ في فصلكم ولد دميم؟ لا يمكن.
- الأمر أكبر من ذلك كثيرًا.
- لا يجب أن نُضخِّم الأمر يا ميليسا.
- أنت لم تره يا جول. الأمر شديد الجسامة. كان يجب أن تُخبر المدرسة أولياء الأمور. كان يجب أن يُخبروني، خصوصًا مع ما يعانيه جوليان من اضطرابات وقلق!

صِحتُ من غرفتي مُندفعًا نحو غرفة نومهما:

- اضطرابات وقلق! تظنان أنني أُعاني من اضطرابات وقلق؟!

قال أبي:

- لا يا جوليان، لم يقُل أحد هذا.

قلتُ مشيرًا إلى أمي:

- أمي قالت هذا حالًا! سمعتها للتوِّ تقول «اضطرابات وقلق»! ما هذا؟ تظنان أنني أُعاني مشكلات عقلية؟!

قالا معًا:

- لا.

- لمجرد أنني أرى كوابيس؟!

صاحا معًا:

- لا.

صحتُ:

- ليس ذنبي أنه يذهب إلى المدرسة! ليس ذنبي أن وجهه يُصيبني بالذعر!

قالت أمي:

- بالطبع ليس ذنبك يا حبيبي. لم يقل أحد هذا. كل ما أقصده أنه بسبب تاريخك مع الكوابيس، كان يجب أن تُنذرنا المدرسة، وكان بوسعي في هذه الحالة أن أفهم كوابيسك الأخيرة بشكل أفضل. كنت سأعلم سببها.

جلستُ على طرف سريرهما. كان أبي ممسكًا بصورة الصف، وبدا أنه يراها للمرَّة الأولى.

قلتُ ولم أكن أمزح:

- ليتك تنوي حرقها!

قالت أمي وهي تجلس على الطرف المقابل لي:

- لا يا حبيبي. لسنا مضطرين إلى حرق أي شيء. انظر ماذا فعلتُ.

تناولتْ صورة مختلفة من فوق المنضدة المجاورة للسرير

وأعطتها لي كي أنظر إليها. في البداية ظننتُ أنها مجرد نسخة أخرى من صورة الصف، فقد كان حجمها مماثلًا تمامًا لحجم الصورة التي يحملها أبي، وكان كل ما فيهما متشابهًا تمامًا، فأبعدت عينيَّ عنها في تقزُّز، لكن أمي أشارت إلى الموضع الذي كان أوغي فيه! لم يكن له وجود في الصورة!

لم أُصدِّق عينيَّ! لم يكن له أثر!

رفعتُ عينيَّ إلى أمي، وكان وجهها مُشرقًا.

قالت وهي تصفق في سعادة:

- سحر الفوتوشوب. الآن يُمكنك أن تنظر إلى الصورة من دون أن تضطر إلى تلويث ذكرياتك عن الصف الخامس.

قلت:

- هذا رائع! كيف فعلتِ ذلك؟

أجابت:

- أصبحتُ شديدة البراعة في الفوتوشوب. أتتذكر السنة الماضية، وكيف جعلتُ السماء زرقاء في جميع صور هاواي؟

قال أبي وهو يهزُّ رأسه:

- لا يمكن أن تعرف حين تراها أن السماء كانت تمطر كل يوم.

قالت أمي:

- اضحك كيفما تشاء. لكن الآن، حينما أنظر إلى تلك الصور، لا أكون مُرغمةً على تذكُّر الجو السيِّئ الذي أوشك أن يُدمِّر رحلتنا. أتذكَّر فقط كم كانت إجازة جميلة! وذلك بالضبط ما أريدك أن تتذكَّره عن السنة الخامسة في مدرسة بيتشر. اتفقنا يا جوليان؟ ذكريات جيدة، لا ذكريات سيِّئة.

قلت وأنا أُعانقها بقوة:

- شكرًا يا أمي.

لم أقل لها بالطبع إنه على الرغم من تغيير السماء إلى الأزرق الفاتح في الصور، فإن كل ما أتذكَّره بحق من رحلة هاواي هو أنها كانت باردة جدًّا ومليئة بالمطر، على الرغم من سحر الفوتوشوب!

الوضيع

مكتبة
t.me/t_pdf

لتعلموا، لم أكن وضيعًا منذ البداية. أعني أنني لست ولدًا وضيعًا بطبيعتي! من المؤكد أنني في بعض الأحيان أُلقي بالنِّكات، لكنها ليست نِكاتًا وضيعة، هي فقط مزاح، والناس في حاجة إلى أن يخففوا عن أنفسهم قليلًا. في بعض الأحيان بالطبع تكون نِكاتي وضيعة بعض الشيء، لكنني لا أُلقي تلك النِّكات إلا من وراء ظهر الشخص. لا أقول أبدًا في وجه أحد ما يمكن أن يؤذيه. أنا لا أتنمَّر بتلك الطريقة، ولستُ كارهًا لأحد يا جماعة.

انتبهوا يا جماعة. كفاكم حساسية.

هناك من تفهموا موضوع الفوتوشوب تمامًا، وهناك من لم يتفهموه. رآه هنري ومايلز لطيفًا جدًّا وأرادا أن تُرسل أمي الصورة في البريد الإلكتروني إلى والدتيهما، ورآه أموس أمرًا «غريبًا»، ورفضته تشارلوت تمامًا. لم أعرف رأي جاك، لأنه في ذلك الوقت كان قد انسحب إلى الظل. بدا كأنه هجر جميع أصدقائه في هذه السنة ولم يعد يتحرك إلا بصحبة أوغي. وذلك ضايقني، فقد كان يعني أنه لم يعد بوسعي أن أتحرك معه كما كنا نفعل. لم أكن لأسمح مُطلقًا بأن يُصيبني ذلك المسخ بعدوى «الطاعون»، وذلك هو اسم اللعبة التي اخترعتها: **الطاعون**. لعبة بسيطة. إذا مسست أوغي ولم تغسل يدك وتُخلِّصها من التلوث فقد مت. شارك كل تلاميذ الصف الخامس فيها، إلا جاك، وسمر.

إليكم هذا الأمر الغريب: أعرف سمر منذ أن كنا في الصف الثالث، ولم ألتفت إليها قَطُّ، ولكن في هذه السنة بدأ هنري يُبدي إعجابه بسافانا، وبدا كأنهما، يعني، «يخرجان معًا». ولا أقصد بخروجهما معًا شيئًا كالذي يحدث في المدرسة الثانوية، وإلا لكان شيئًا مُقرفًا أكثر من القيء. كل ما يعنيه «الخروج معًا» أن يتحرك اثنان معًا ويقابل أحدهما الآخر عند الخِزانات ويذهبا بعد المدرسة في بعض الأحيان إلى محل آيس كريم في شارع أمسفورت. إذن، بدأ هنري بالخروج مع سافانا، ثم بدأ مايلز يخرج مع هيمينا. وبدأت أقول لنفسي: وماذا عني أنا؟ ثم قال أموس: «سأطلب من سمر أن نخرج معًا»، فشعرت أنني يجب أن أقول «لا يمكن، أنا الذي سأطلب منها الخروج معي». وعند ذلك بدأت أشعر بإعجاب تجاه سمر.

لكن المؤسف تمامًا أن سمر - مثل جاك - كانت في فريق أوغي، وكان معنى هذا أنني لا يمكن أن أخرج معها نهائيًّا. لم يكن بوسعي حتى أن أقول لها «كيف الحال؟»، خشية أن يتصوَّر المسخ أنني أُكلمه هو أو شيء من هذا القبيل. طلبت من هنري أن يجعل سافانا تدعو سمر إلى حفل الهالوين في بيتها. فكرت أنني قد أتحرك معها في أثناء الحفل، وقد أطلب منها أن تخرج معي. ولم ينجح ذلك، لأنها في النهاية تركت الحفل مبكرًا، ومنذ ذلك الحين أخذت تقضي الوقت كله مع المسخ.

حسنًا، حسنًا. أعرف أنه ليس لطيفًا أن أُسميه «المسخ»، لكن كما قلتُ من قبل، على الناس أن تكون أقل حساسية في هذه المسألة. إنها مجرد مزحة يا ناس. لا تأخذوني بهذه الجدية الشديدة. لستُ وضيعًا. أنا فقط أمزح.

ذلك كل ما كنت أفعله، أبحث عن المزاح فقط. في اليوم الذي لكمني فيه جاك ويل، كنت أمزح فقط وتمامًا، أعبث لا أكثر.

لم أتوقَّع ما حدث **مُطلقًا**.

كنا - حسبما أتذكَّر - نلعب معًا، وفجأة، لكمني في فمي بلا أي سبب. بوم.

وإذا بي أصيح قائلًا:

- أووووووووه! أيها المجنون الأحمق! ألكمتَني؟ ألكمتَني فعلًا؟

ما أعرفه بعد ذلك أنني وجدت نفسي في غرفة الممرضة مولي ممسكًا إحدى أسناني، والسيد توشمان موجود، وأسمعه يتكلم في الهاتف مع أمي قائلًا إنهم سينقلونني إلى المستشفى. كنت أسمع صراخ أمي عبر الهاتف. وبعد ذلك تقودني السيدة روبين، عميد المدرسة، إلى عربة إسعاف، وإذا بنا في الطريق إلى المستشفى! جنون!

سألتني السيدة روبين ونحن في الإسعاف إن كنتُ أعرف لماذا ضربني جاك. فقلت: «**اللعنة! لأنه مجنون تمامًا**». لا أقول إنني كنت أستطيع أن أتكلم كثيرًا، فقد كانت شفتاي متورمتين والدم يملأ فمي.

بقيت السيدة روبين معي في المستشفى إلى أن حضرت أمي. يمكنكم أن تتخيَّلوا أن أمي بدت في غاية الجنون. كانت تبكي بانفعال كلما نظرت إلى وجهي. ولا بد أن أعترف أنني كنت أشعر بشيء من الحرج.

بعد ذلك جاء أبي، فكان أول ما قاله، وهو يصيح في السيدة روبين:

- مَن فعل هذا؟

قالت السيدة روبين بهدوء:

- جاك ويل. وهو مع السيد توشمان الآن.

صاحت أمي مصدومة:

- جاك ويل؟! نحن نعرف عائلة ويل! كيف حدث ذلك؟!

قالت السيدة روبين:

- سنُجري تحقيقًا دقيقًا. المهم الآن أن جوليان سيكون بخير.

صاحت أمي:

- بخير؟! انظري إلى وجهه. هل ترين أنه بخير؟ لا أعتقد أنه هكذا بخير. هذا أمر مُشين. أيُّ مدرسة هذه؟! لم أكن أحسب أن الأولاد يلكمون بعضهم بعضًا في مدرسة مثل بيتشر الإعدادية! كنت أحسب أننا ندفع من أجل هذا أربعين ألف دولار في السنة، من أجل ألَّا يتعرض أبناؤنا للأذى!

قالت السيدة روبين:

- أُقدِّر غضبكِ تمامًا يا سيدة ألبانز.

قال أبي:

- أفترض أن الولد سيُفصل.

صحتُ:

- أبي!

قالت السيدة روبين مُحاولةً أن تكون هادئة الصوت:

- سنتعامل بلا شك مع هذه المسألة بالطريقة المناسبة، أعد بهذا. والآن، إذا لم يكن لديكم مانع، أعتقد أنني سأترككم قليلًا يا جماعة. سيعود الطبيب، ويمكنكم أن تطمئنوا منه، لكنه قال إنه لا وجود لكسور. جوليان بخير. فقد ضرسًا سفليًّا، لكنه كان

سيفقده على أي حال. سيعطيه مُسكنًا للآلام، ويجب أن تضعوا الثلج على الموضع. ولنتكلم أكثر في الصباح.

انتبهت في تلك اللحظة فقط إلى أن قميص السيدة روبين المسكينة وجِيبتها كانا غارقين في دمي. الأفواه يا جماعة تنزف كثيرًا.

في وقت لاحق من تلك الليلة، عندما أمكنني أخيرًا أن أتكلم من دون أن يؤلمني الكلام، أرادت أمي وأبي أن يعرفا كل تفصيلة عما جرى، بدءًا بما كنت أنا وجاك نتكلم فيه قبل أن يضربني.

- كان جاك مثتاء لأنه يثاحب الثبي المثوه، فقلت له لمَ لا يتبادل معه الأب والأم إن ثاء، وثاعتها لكمني!

هزَّت أمي رأسها. ليس أكثر من ذلك. كان غضبها أكبر من أي غضب رأيته منها من قبل (صدِّقوني، لقد سبق أن رأيتها كثيرًا قبل ذلك وهي غاضبة).

عقدت ذراعيها، وقالت لأبي وهي تومئ برأسها بسرعة:

- هذا كل ما جرى يا جول. وهذا ما يحدث عند تعريض أولاد صغار لأمور ليسوا مؤهلين لها. هم ببساطة أصغر من أن يتعرَّضوا لأمور كتلك. ذلك التوشمان شخص أحمق!

وقالت أشياء أخرى كثيرة، لكنها تدخل ضمن ما لا يليق كثيرًا أن أُكرره (إن كنتم تفهمون ما أقصده).

قلتُ في وقت تالٍ من تلك الليلة:

- لكن يا أبي أنا لا أريد أن يُفثَل جاك من المدرثة.

كان يضع الثلج على فمي بعد أن بدأ مفعول المُسكِّن الذي أعطوه لي في المستشفى ينتهي.

قال:

- هذا ليس قرارنا. لكن لو كنتُ مكانك ما شغلتُ نفسي بالموضوع. مهما يكن، سيلقى جاك ما يستحقه بسبب هذا.

أعترف أنني بدأت أستاء من أجل جاك. بالطبع كان غباءً مُطبقًا منه أن يلكمني، وكنت أريد أن يلقى جزاءه، لكنني بالفعل لم أكن أريد أن يُطرد من المدرسة أو أي شيء من هذا القبيل.

أما أمي، فكنتُ أشعر أنها في إحدى بعثاتها (على حدِّ تعبير أبي). وذلك يحدث لها في بعض الأحيان، حينما تستاء بشدة من أمر ما فلا يمكن إيقافها. رأيتها في تلك الحالة قبل سنوات قليلة حينما صدمت سيارة ولدًا على بُعد بضعة شوارع من بيتشر الإعدادية، فجعلت مليون شخص مثلًا يُوقِّعون التماسًا لتركيب إشارة مرور. تلك كانت لحظة السوبر ماما. ورأيتها في تلك الحالة أيضًا في الشهر السابق، حينما قام مطعمنا المفضَّل بتغيير قائمة طعامه، فلم يعد يُقدِّم وجبتي المفضَّلة بالطريقة التي كان يُقدِّمها بها. وتلك كانت لحظة أخرى للسوبر ماما، لأن مالك المطعم وافق بعد أن كلَّمتْه من أجل تقديم هذه الوجبة بصفة خاصة، من أجلي وحدي. لكن أمي تصل إلى تلك الحالة أيضًا بسبب أمور غير لطيفة تمامًا، كأن يخطئ نادل في تدوين الطلبات. هنا لا تكون لحظة سوبر ماما حقيقية، لأنه، كما تعلمون، يكون غريبًا في بعض الأحيان أن تبدأ والدة أحدكم في الحديث إلى النادل وكأنه ولد عمره خمس سنين. **غريب فعلًا**. فليس من مصلحة أحد - كما يقول أبي - أن يُغضب نادلًا؛ ذلك أن الطعام الذي ستأكله يكون أصلًا بين يديه. يععع!

هكذا، لم أعرف بالضبط طبيعة شعوري حينما علمتُ أن أمي أعلنت الحرب على السيد توشمان، وأوغي بولمان، ومدرسة بيتشر الإعدادية. هل كانت تنتظرنا لحظة السوبر ماما، أم لحظة ماما غير السوبر؟ أعني، هل سينتهي الأمر بانتقال أوغي إلى مدرسة أخرى - هييه - أم ينتهي بأن يتمخَّط السيد توشمان في طعامي بالمطعم. يععععع!

حفل

استغرق الورم نحو أسبوعين إلى أن زال تمامًا. وبسبب ذلك لم نستطع السفر إلى باريس في إجازة الشتاء، حيث لم ترغب أمي في أن يراني أقاربنا وأنا أبدو كمن خاض «مصارعة الرهانات». فضلًا عن أنها لم تلتقط لي أي صورة في أثناء الإجازة، وقالت إنها لا تريد أن تتذكَّرني وأنا بذلك الشكل. وفي بطاقتنا التي نُعدُّها سنويًّا في الكريسماس، استعملنا صورة من الصور التي استبعدناها في الكريسماس السابق.

على الرغم من أنه لم يعد ينتابني الكثير من الكوابيس، فقد قلقت أمي كثيرًا لمجرد أن الكوابيس عاودتني. ورأيت مدى توترها البالغ من جراء ذلك. وقبل يوم من الحفلة التي أقمناها في الكريسماس، اكتشفت أمي من خلال إحدى الأُمهات أن أوغي لم يمر باختبارات القبول التي مر بها بقيتنا. إذ يُفترض بكل تلميذ يتقدَّم إلى بيتشر الإعدادية أن يُجري مقابلة ويخوض امتحانًا في المدرسة، لكنهم بطريقة ما استثنوا أوغي، فلم يحضر إلى المدرسة لإجراء المقابلة، وخاض امتحان القبول في البيت. ورأت أمي أن ذلك يفتقر فعليًّا إلى العدالة.

سمعتها تقول لمجموعة من الأُمهات في الحفل:

- إن هذا الولد، ما كان يجب أن يلتحق بالمدرسة؛ فالمدرسة ببساطة غير مُجهَّزة للتعامل مع وضع كهذا. لسنا مدرسة احتواء لذوي الحالات الخاصة. ليس لدينا الأطباء النفسيون اللازمون

للتعامل مع تأثيرات ذلك على الأولاد الآخرين. المسكين جوليان عانى من الكوابيس لمدة شهر!

أوه يا أمي! أكره أن تحكي للناس عن كوابيسي!

قالت والدة هنري:

- استاء هنري هو الآخر.

وأطرقت بقية الأُمهات، فواصلت أمي:

- بل إنهم لم يؤهلونا للأمر مُسبقًا، وذلك أكثر ما يسوؤني. فإن كانوا لا ينوون توفير مزيد من الدعم النفسي، فعليهم أن ينذروا أولياء الأمور على الأقل.

قالت والدة مايلز:

- بالقطع.

ومرَّة أخرى أطرقت بقية الأُمهات، فقالت أمي وهي تُقلِّب عينيها:

- من البديهي أن يخضع جاك للعلاج النفسي.

قالت والدة مايلز:

- أنا شخصيًّا اندهشت لأنهم لم يطردوه!

قالت أمي:

- أوه، كانوا يعتزمون طرده، لكننا طلبنا منهم ألَّا يفعلوا ذلك. نحن نعرف عائلة ويل منذ الحضانة، وهم أناس طيبون. نحن في الحقيقة لا نلوم جاك. أعتقد أنه ببساطة لم يحتمل ضغط تحمُّله مسؤولية رعاية هذا الولد. هذا ما يحدث حينما يُوضع أولاد صغار في هذا النوع من المواقف. الحقيقة أنا لا أعرف ما الذي كان يفكر فيه توشمان.

قالت أُم أخرى (أظن أنها كانت والدة تشارلوت، فقد كان لها مثل شعرها الأشقر الناصع وعينيها الكبيرتين الزرقاوين):

- أنا آسفة، يجب أن أتدخل هنا، هذا الولد ليست لديه أي مشكلة يا ميليسا. هو ولد ممتاز يتصادف أن شكله مختلف...

قالت أمي:

- أوه، أعرف.

ووضعت يدها على قلبها قائلة:

- أوه بريجيت، لا أحد يقول إنه ليس ولدًا ممتازًا، صدِّقيني. أثق أنه كذلك، وأسمع أن والديه شخصان لطيفان. هذا ليس الموضوع. بالنسبة إليَّ في نهاية المطاف، المسألة ببساطة هي أن توشمان لم يتَّبع القواعد. تجاهل إجراءات التقديم تجاهلًا سافرًا بعدم استدعائه الولد إلى المدرسة لإجراء المقابلة، أو خوض الامتحان، مثل كل الأولاد في المدرسة. كسر القواعد. والقواعد قواعد. هذا هو الأمر.

ونظرت أمي إلى بريجيت بوجه حزين قائلة:

- أوه يا عزيزتي بريجيت. أرى على وجهكِ أنكِ مختلفة معي تمامًا!

قالت والدة تشارلوت وهي تهزُّ رأسها:

- لا يا ميليسا. الوضع صعب على الجميع. الحقيقة أن ابنكِ تلقَّى لكمة في وجهه. لكِ كل الحق في أن تشعري بالغضب وتطالبي ببعض الإجابات.

أطرقت أمي وعقدت ذراعيها قائلة:

- شكرًا لكِ. أنا فقط أرى أن الأمر كله عُولج بطريقة بشعة، هذا كل ما في الأمر. وأنا أُلقي اللوم في ذلك على توشمان، بالكامل.

قالت والدة هنري:

- بالتأكيد.

وقالت والدة مايلز:

- لا بد أن يذهب.

نظرتُ إلى أمي، وهي محاطة بالأُمهات وقد وافقنها الرأي، وخطر لي أنه، حسنًا، **ربما تكون هذه من لحظات السوبر ماما الحقيقية**. ربما ينتهي كل ما كانت تفعله بذهاب أوغي إلى مدرسة أخرى، وترجع الأمور بعدها إلى ما كانت عليه في بيتشر الإعدادية، ويكون ذلك أمرًا عظيمًا.

لكن جزءًا مني كان يُفكِّر في أن **هذا قد ينتهي إلى لحظة ماما غير السوبر**. أعني أن بعض كلامها كان يبدو... لا أعرف. يمكن أن أصفه بالقاسي، أشبه بأن تُثير غضب نادل، فتنتهي وقد شعرت بالأسف من أجل النادل. الأمر أنني أعرف أنها ليست في هذه المهمة ضد توشمان إلا بسببي. لو لم تكن الكوابيس عاودتني مرَّة أخرى، ولو لم يكن جاك لكمَني، لما حدث شيء من هذا كله، لما أثارت كل تلك الجلبة حول أوغي أو توشمان، ولركزت وقتها كله وطاقتها كلها على الأمور الطَّيبة، كتوفير المال للمدرسة، والتطوع في ملجأ المشردين، فأمي تمارس هذه الأعمال الخيرية طوال الوقت.

إذن لا أعرف. من ناحية، أنا سعيد لأنها تحاول مساعدتي. ومن ناحية أخرى، أحب أن تتوقف.

فريق جوليان

أكثر ما أثار ضيقي حينما انتهت الإجازة الشتوية ورجعنا إلى المدرسة، أن جاك عاد صديقًا لأوغي مرَّة أخرى. كانا قد تشاجرا على أمر ما بعد الهالوين، فرجعتُ أنا وجاك مُقرَّبَين مرَّة أخرى. ولكن بعد انتهاء الإجازة الشتوية، عادا من جديد صديقين مُقرَّبَين.

سخف حقيقي!

قلت للجميع إن علينا أن نعتزل جاك، وهذا لمصلحته. ليختار اختيارًا قاطعًا، إما أن يكون في فريق أوغي، وإما في فريق جوليان وبقية العالم. فبدأنا نتجاهل جاك تمامًا: لا نُكلِّمه، ولا نُجيب عن أسئلته. كأنه غير موجود.

هكذا سيفهم.

في ذلك الوقت بدأت أبعث رسائلي الصغيرة. في أحد الأيام ترك شخص رسالة مكتوبة على الورق الصغير اللاصق في أحد مقاعد الفناء، ومن هنا خطرت لي الفكرة.

كتبتُ بخط قاتل متسلسل فعلي:

لم يعد أحدٌ يُحبك.

وانتهزت لحظة لا ينظر فيها أحد، فأدخلت الورقة من الشقوق في خِزانة جاك. وكنت أرقبه بطرف عيني حين عثر عليها. تلفت حوله ورأى هنري على مقربة منه يفتح خِزانته.

سأل:

- جوليان هو الذي كتب هذا؟

لكن هنري كان من رفاقي. تفهمون بالطبع. فتجاهل جاك، وكأنه لم يكن يُكلِّمه أصلًا. قبض جاك يده على الورقة ثم رماها في خِزانته وصفع بابها فأغلقه.

بعد أن خرج جاك ذهبت إلى هنري.

صحتُ قائلًا:

- هولاه.

ورفعت له يدي بعلامة الشيطان، فأضحكه ذلك.

على مدى اليومين التاليين، تركت رسائل قليلة أخرى في خِزانة جاك، ثم بدأت أترك بعضها في خِزانة أوغي.

لم تكن، أُكرر، **لم**، تكن، بالشيء الخطير. كانت في الغالب أشياء غبية. لم أتصوَّر أن يأخذها أحدٌ مأخذ الجد. أعني أنها كانت في حقيقتها مزاحًا، أو هي قريبة من ذلك. بعضها، على الأقل، كان كذلك.

أنت مُنتن يا قالب الجبن.

مسخ.

ارحل عن مدرستنا يا دميم.

لم يعلم أحد عدا هنري ومايلز أنني مَن أكتب تلك الرسائل، وكانا قد أقسما على الكتمان.

مكتب الدكتور جانسن

لا أعرف من أيِّ مصيبة عرف السيد توشمان بأمر الرسائل. لا أتصوَّر أن تصل الحماقة بجاك أو أوغي إلى أن يشيا بي، فهما أيضًا شرعا في ترك رسائل في خِزانتي. أقصد أنه من الغباء فعلًا أن تشي بشخص لفعله شيئًا أنت نفسك تفعله.

على أي حال، هذا ما حدث. قبل أيام قليلة من «مخيم العودة إلى الطبيعة» لتلاميذ الصف الخامس الذي كنت أنتظره بشغف، تلقَّت أمي اتصالًا هاتفيًّا من الدكتور جانسن، مدير بيتشر. قال إنه يريد أن يناقش أمرًا معها ومع أبي، وطلب مقابلتهما.

افترضت أمي أن الأمر يتعلَّق بالسيد توشمان، فلعلهم كانوا في طريقهم إلى طرده. فشعرت بشيء من الإثارة الحقيقية بسبب اللقاء.

ذهبا إلى اللقاء في العاشرة صباحًا، وكانا جالسين في انتظار الدكتور جانسن، حين حدث فجأة، وعلى غير توقُّع، أن رأياني أدخل المكتب أيضًا. أخرجتني السيدة روبين من الفصل وطلبت مني أن أتبعها، وجاءت بي إلى هناك. لم أكن أعرف ما الأمر. لم أذهب من قبل إلى مكتب المدير. وعندما رأيت أمي وأبي هناك، بدا عليَّ مثل ما بدا عليهما من الارتباك.

قالت أمي للسيدة روبين:

- ما الأمر؟

وقبل أن تقول السيدة روبين شيئًا، دخل السيد توشمان والدكتور جانسن المكتب.

تصافح الجميع، وابتسموا بعضهم لبعض وهم يتبادلون التحيات. وقالت السيدة روبين إنها لا بد أن تعود إلى الفصل، لكنها ستتصل بأمي وأبي لاحقًا لتطمئن. اندهشت أمي. وأحسستُ أنها بدأت تُفكِّر أن الأمر ربما لا تكون له علاقة بطرد السيد توشمان من المدرسة.

طلب منا الدكتور جانسن الجلوس على الأريكة المقابلة لمكتبه، وجلس السيد توشمان على مقعد مجاور لنا، وجلس الدكتور جانسن إلى كرسي مكتبه.

قال الدكتور جانسن لوالديَّ:

- شكرًا جزيلًا على مجيئكما يا ميليسا ويا جول.

بدا لي غريبًا أن أسمعه يخاطبهما من دون تكليف. كنت أعرف أنهم جميعًا يعرفون بعضهم بعضًا بسبب عضوية مجلس الإدارة، لكن ذلك بدا غريبًا.

قال:

- أعرف كم أنتما مشغولان، وأنا متأكد أنكما تتساءلان عن سبب هذا كله.

قالت أمي بصوت خافت:

- الحقيقة، نعم.

أما أبي فسعل.

واصل الدكتور جانسن:

- السبب الذي استدعيناكما من أجله هنا اليوم، هو أن لدينا لسوء الحظ مسألة خطيرة، ونريد أن نبحث عن أفضل طريقة لحلها.

ونظر إليَّ قائلًا:

- جوليان، هل لديك أي تصوُّر محتمل عما أتكلَّم عنه؟

اتسعت عيناي، وتراجعت برأسي وقد بدا الاندهاش على وجهي:

- أنا؟ لا.

ابتسم الدكتور جانسن وتنهَّد في وقت واحد. خلع نظارته، ثم قال وهو ينظر إليَّ:

- تفهم بالطبع أننا نتعامل مع التنمُّر بمنتهى الجدية في مدرسة بيتشر الإعدادية، فلا تسامح معه في أي شكل كان. ونشعر أن لكل تلميذ من تلاميذنا جميعًا الحق في التعلُّم في مناخ محترم...

قاطعته أمي وهي تنظر إليه بنفاد صبر:

- اسمح لي، لكن هل يمكن أن يخبرني أحدٌ ما الذي يجري هنا؟ نحن بالتأكيد نعرف بيان رسالة مدرسة بيتشر، بل نحن عمليًّا الذين كتبناه. فلنتغاضَ عن المقدمات وندخل إلى صلب الموضوع! ما الأمر؟

الدليل

نظر الدكتور جانسن إلى السيد توشمان وقال:

- لمَ لا تشرح الأمر؟

قدَّم السيد توشمان ظرفًا إلى والديَّ. فتحته أمي، وأخرجتْ منه آخر ثلاث رسائل كتبتُها على الورق اللاصق ووضعتُها في خِزانة أوغي. عرفتُها على الفور، لأن هذه الثلاث بالتحديد كانت مكتوبة على ورق وردي وليس أصفر شأن الرسائل السابقة.

قلت لنفسي: **آآه، أوغي إذن هو الذي أبلغ السيد توشمان بأمر رسائل الورق اللاصق، يا له من بغيض!**

قرأت أمي الرسائل بسرعة رافعةً حاجبيها، وأعطتها لأبي فقرأها ونظر إليَّ، ثم سألني وهو يمد إليَّ الرسائل:

- أنت كتبت هذه يا جوليان؟

بلعتُ ريقي، ونظرت إليه جامد الوجه وهو يعطيني الرسائل لأُحملق فيها، ثم أجبته:

- إمممم، يعني، نعم، أظن ذلك. لكنهما يا أبي كتبا رسائل أيضًا!

سأل أبي:

- مَن الذي كان يكتب الرسائل؟

قلت:

- جاك وأوغي. كانا يبعثان إليَّ برسائل أيضًا. لم أكن وحدي!

سأل السيد توشمان:

- لكنك كنت البادئ بكتابة الرسائل، أليس كذلك؟

تدخَّلت أمي في غضب:

- معذرةً، لا يجب أن ننسى أن جاك هو الذي لكم جوليان في فمه، وليس العكس. وطبيعي أن يبقى بعض الغضب...

قاطعها أبي وهو ينقر على الرسائل التي كنتُ أمسكها:

- كم رسالة كتبتَ من هذه يا جوليان؟

قلت وقد بات صعبًا عليَّ أن أعثر على الكلمات:

- لا أعرف. ستًّا تقريبًا. ولكن الرسائل الأخرى لم تكن بهذا الـ... يعني، هذا السوء. هذه الرسائل أسوأ من بقية الرسائل التي كتبتها. الأخرى لم تكن شديدة الـ...

غاض صوتي وأنا أستدعي ما كتبته في الرسائل:

أنت، يا دارث سيديوس.

أنت شديد الدمامة، عليك أن ترتدي قناعًا كل يوم. وأكرهك أيها المسخ!

والأخيرة:

أُراهن أن أُمك تتمنى لو أنها لم تلدك.

عليك أن تُحسن إلى كل مَن حولك بأن... تموت.

بالطبع، بالنظر إليها في تلك اللحظة، كانت هذه الرسالة تبدو أسوأ كثيرًا مما كانت عليه حينما كتبتُها. لكنني كنت غاضبًا، غاضبًا جدًّا، حينما كتبتُها. كنت قد تلقيت للتوِّ واحدة من رسائلهما، و...

قلت:

- لحظة واحدة.

ومددت يدي في جيبي، فعثرت على آخر رسالة تركها لي أوغي وجاك في خِزانتي، في اليوم السابق فقط. كانت قد تجعَّدت، لكنني أعطيتها للسيد توشمان ليقرأها:

- انظر، كانا يكتبان أشياء وضيعة لي أيضًا.

تناول السيد توشمان الرسالة، وقرأها بسرعة، وأعطاها لوالديَّ. قرأتها أمي، ثم نظرت إلى الأرض. وقرأها أبي، ثم هزَّ رأسه في ارتباك. وناولني الرسالة فقرأتها من جديد:

أنت نار يا جوليان، وسمر لا تُحبك، أما أنا فأموت فيك.

تعالَ تشمَّم إبطي!

محبتي

بيولا

سأل أبي:

- مَن بيولا بحق الجحيم؟

قلت:

- لا يهم. لا يمكنني أن أشرح.

أعدت الرسالة إلى السيد توشمان، فأعطاها للدكتور جانسن ليقرأها. ولاحظت أنه حاول فعليًّا إخفاء ابتسامة.

قال السيد توشمان:

- جوليان، الرسائل الثلاث التي كتبتَها لا تُقارن في محتواها بهذه الرسالة!

قالت أمي:

- أعتقد أنه ليس لأيِّ شخصٍ الحق في الحكم على معنى رسالة.

ليس مُهمًّا إذا كنت أنت ترى هذه الرسالة أسوأ من تلك، المهم هنا هو فهم الشخص الذي يقرأها. الحقيقة أن جوليان مُعجبٌ بهذه البنت سمر منذ بداية السنة، وربما يؤلم مشاعره أن...

- ماما!

هكذا صحتُ وأنا أخفي وجهي، وقلتُ:

- هذا كلام مُحرج جدًّا!

قالت أمي للسيد توشمان:

- كل ما أقوله هو أن رسالة قد تكون مؤذية لطفل، سواء رأيت **أنت** الأذى أم لم تره.

قال السيد توشمان وهو يهزُّ رأسه وقد بدا في صوته غضب لم أسمعه من قبل:

- هل تمزحين؟! هل تقولين إنكِ لا ترين أن الرسائل التي كتبها ابنكِ مُرعبة حقًّا، لأنني أراها هكذا؟

قالت أمي:

- أنا لا أُدافع عن الرسائل، إنما أُذكِّرك فقط أن الأمر كان متبادلًا، كان شارعًا باتجاهين. عليك أن تُدرك أن جوليان كان يكتب هذه الرسائل كردِّ فعلٍ على شيء آخر، وهذا واضح.

رفع الدكتور جانسن يده أمامه كما لو أنه شرطي مرور قائلًا:

- لحظة! لا شك أن لهذه المسألة تاريخًا.

قلت بلامبالاة لأنني بدوتُ مُوشكًا على البكاء:

- هذه الرسائل جرحت مشاعري!

قال الدكتور جانسن:

- لا شك لديَّ في أن رسائلهما جرحت مشاعرك يا جوليان، وأنك

كنت تحاول جرح مشاعرهما. وهذه هي المشكلة في مثل هذه الأمور؛ فكل شخص يحاول أن يزيد على الآخر، إلى أن يتفاقم الأمر ويخرج عن السيطرة.

قالت أمي بصوت بدا كما لو أنها تصرخ:

- بالضبط.

رفع الدكتور جانسن إصبعه وواصل كلامه:

- لكن الحقيقة أن هناك حدًّا يا جوليان. هناك حد. ورسائلك تجاوزت هذا الحد؛ فهي غير مقبولة على الإطلاق. لو كان أوغي قرأ هذه الرسائل، فبمَ كان سيشعر في رأيك؟

كان ينظر إليَّ نظرة حادة أشعرتني كأنني أختفي تحت الأريكة.

سألتُه:

- هل تقصد أنه لم يقرأها؟

قال الدكتور جانسن:

- لا، الحمد لله أن شخصًا أبلغ السيد توشمان عنها بالأمس، ففتح خِزانة أوغي وأخذها قبل أن يراها أوغي.

أطرقتُ مطأطئًا رأسي. عليَّ أن أعترف أنني فرحت أن أوغي لم يقرأها. أظن أنني أعرف ماذا كان الدكتور جانسن يقصد بـ«تجاوز الحد». ثم فكرت: **إذا لم يكن أوغي هو الذي وشى بي، فمن فعلها؟**

سكتنا جميعًا لدقيقة أو اثنتين. كان الموقف أسخف مما قد يُصدِّقه عقل.

القرار

- حسنًا...

قالها أبي أخيرًا وهو يمسح وجهه براحتيه، ثم واصل:

- من الواضح أننا نفهم خطورة الموقف الآن، وســ... نفعل شيئًا حياله.

أعتقد أنني لم أرَ أبي في مثل هذا الارتباك من قبل. أنا آسف يا بابا!

قال الدكتور جانسن:

- حسنًا، نحن أيضًا لدينا بعض التوصيات. وواضح أننا نريد أن نساعد جميع الأطراف...

قالت أمي وهي تتناول حقيبتها كمن تستعد للنهوض:

- شكرًا لتفهُّمك.

قال السيد توشمان وهو ينظر إلى أمي:

- لكن الأمر له عواقبه!

بادلتْه النظر بحدة وهي تقول:

- آسفة؟

تدخَّل الدكتور جانسن:

- مثلما قلتُ في البداية، المدرسة لديها سياسة شديدة الصرامة ضد التنمُّر.

- جدًّا! ورأينا بأنفسنا مدى صرامتها عندما لم تطردوا جاك بعد أن لَكَمَ جوليان في فمه!

هكذا ردَّت أمي بسرعة. إليك هذا يا سيد توشمان!

قال السيد توشمان باستهانة:

- لا لا، تلك كانت حالة مختلفة تمامًا.

ردَّت ماما:

- فعلًا؟ لَكمُ شخص في الوجه ليس تنمُّرًا في رأيك؟

قال أبي وهو يرفع يده ليمنع السيد توشمان من الرد:

- حسنًا، حسنًا. فلنصل إلى صلب الموضوع. أخبرنا بتوصياتك بالضبط يا هال.

نظر إليه الدكتور جانسن، وقال:

- جوليان موقوف عن الدراسة لمدة أسبوعين.

صاحت أمي وهي تنظر إلى أبي:

- ماذا؟

لكن أبي لم يبادلها النظر.

قال الدكتور جانسن:

- بالإضافة إلى ذلك نوصي بجلسات استشارة. الممرضة مولي لديها أسماء العديد من المعالجين الذين نرى أن على جوليان أن يقابل أحدهم...

قاطعته أمي وهي تغلي:

- هذا فظيع!

قلت:

- لحظة، هل تقصد أنه ليس بوسعي الحضور إلى المدرسة؟

قال السيد توشمان:

- لمدة أسبوعين يبدآن من هذه اللحظة.

سألت:

- لكن ماذا عن الرحلة إلى مخيم العودة إلى الطبيعة؟

قال في برود:

- لا يمكنك الذهاب.

قلت وقد أوشكت على البكاء بالفعل:

- لا، أنا أريد الذهاب إلى مخيم العودة إلى الطبيعة!

قال الدكتور جانسن برقة:

- أنا آسف يا جوليان!

قالت أمي وهي تنظر إلى الدكتور جانسن:

- هذا منتهى السخف! ألا ترى أنك تبالغ قليلًا؟ ذلك الولد لم يقرأ الرسائل أساسًا!

قال السيد توشمان:

- ليس هذا هو الأمر.

قالت له أمي:

- أنا أقول لك رأيي. كل هذا سببه **أنك** سمحت بالتحاق ولد بالمدرسة لم يكن يجب أن يلتحق بها في المقام الأول، وكسرت القواعد لكي تفعل ذلك. وأنت لا تفعل ما تفعله الآن بابني إلا لأنني الوحيدة التي كانت لديها من الشجاعة ما جعلها تُحمِّلك هذه المسؤولية!

قال الدكتور جانسن محاولًا تهدئتها:

- ميليسا.

لكن ماما استمرت في مخاطبتها للسيد توشمان:

- هؤلاء الأولاد أصغر من أن يتعاملوا مع أمر كهذا الـ... تشوُّه الوجهي. هذا القبح. لا بد أنك تفهم هذا! جوليان كانت تنتابه

الكوابيس بسبب ذلك الولد! هل كنت تعرف هذا؟ جوليان عانى من اضطرابات وقلق!

قلت من بين أسناني:

- ماما!

أكملت أمي:

- كان لا بد من الرجوع إلى مجلس الإدارة لتحديد ما إذا كانت بيتشر الإعدادية هي المكان المناسب لولد كهذا أم لا. ذلك كل ما أقوله. نحن ببساطة غير مُجهَّزين لحالته. هناك مدارس أخرى من أجل ذلك، لكن ليس نحن!

قال السيد توشمان وهو لا ينظر إليها:

- يمكن أن يكون هذا رأيكِ إن شئتِ.

قلبت أمي عينيها، وغمغمت بسرعة بينما تنظر من النافذة وأدخنة الغضب تتصاعد منها:

- هذه محاكمة ساحرات!

لم أدرِ عن أي شيء تتكلم. ساحرات؟! أي ساحرات؟!

قال أبي للدكتور جانسن وقد بدت في صوته الصرامة:

- حسنًا يا هال. قلتَ إن لديك بعض التوصيات. أهذه هي؟ إيقاف لأسبوعين من المدرسة واستشارة نفسية؟

قال السيد توشمان:

- نود أيضًا أن يكتب جوليان رسالة اعتذار لأوغست بولمان.

قالت ماما:

- اعتذار عن أي شيء بالضبط؟ لقد كتب الولد رسائل غبية. ومؤكد أنه ليس الولد الوحيد في العالم الذي كتب رسالة غبية.

قال السيد توشمان:

- ليست مجرد رسالة غبية، إنما نمط سلوكي.

وبدأ يعد على أصابعه قائلًا:

- تعبيرات سخرية بالوجه من وراء ظهر الولد، ولعبة اخترعها تقوم على أن كل من يلمس أوغي عليه أن يغسل يديه...

لم أكن أتصوَّر أن يعرف السيد توشمان لعبة **الطاعون** أيضًا. كيف يعرف الأساتذة كل هذا؟

واصل السيد توشمان:

- إنه عزل اجتماعي، وخلق جوٍّ عدائي.

سأل أبي:

- وهل أنت على يقين من أن جوليان هو الذي بدأ ذلك كله؟ العزل الاجتماعي؟ الجو العدائي؟ هل تقول إن جوليان هو الولد الوحيد الذي لم يكن لطيفًا مع هذا الولد، أم إنك ستحرم من الدراسة كل ولد أخرج لسانه لهذا الصبي؟

حلوة يا أبي! نقطة لعائلة ألبانز!

قال السيد توشمان وهو يُركِّز نظره على أبي:

- ألا يُزعجك إطلاقًا أن جوليان لا يُبدي أقل قدر من الندم؟

قال أبي بهدوء مشيرًا بإصبعه إلى وجه السيد توشمان:

- حسنًا، فلنتوقف عند هذا الحد!

قال الدكتور جانسن:

- أرجو منكم جميعًا الهدوء قليلًا. واضح تمامًا أن الأمر صعب.

قالت ماما وهي تهزُّ رأسها:

- بعد كل ما فعلناه من أجل هذه المدرسة، بعد كل النقود والوقت

اللذين وفرناهما لهذه المدرسة، ربما يجب أن تُفكِّرا في شيء من الاعتبار لنا.

ووضعت إبهامها على سبابتها مضيفة:

- مجرد شيء قليل.

أطرق أبي. كان لا يزال ينظر بغضب إلى السيد توشمان، لكنه نقل عينيه إلى الدكتور جانسن قائلًا:

- ميليسا مُحقَّة. أعتقد أننا كنا نستحق خيرًا من هذا قليلًا يا هال. تحذير ودود لطيف كان يكفي. ولكنكم بدلًا من هذا تتصلون، وتستدعوننا إلى هنا كالأطفال!

ووقف قائلًا:

- كنا نستحق خيرًا من هذا!

وقف الدكتور جانسن بدوره قائلًا:

- أنا آسف أنك ترى الأمر هكذا!

وقفت أمي هي الأخرى وقالت:

- مجلس الأمناء سيعرف بهذا كله!

قال الدكتور جانسن وهو يعقد ذراعيه مُطرقًا:

- أنا متأكد من ذلك.

كان السيد توشمان هو الوحيد الجالس من الكبار. قال بهدوء:

- مسألة الإيقاف عن الدراسة ليست عقابية. نحن نحاول أن نساعد جوليان أيضًا. وهو لن يفهم كل عواقب أفعاله إذا واصلتما تبريرها له. نريده أن يشعر بالتعاطف...

رفعت أمي يدها أمام السيد توشمان وقالت:

- أتعرف؟ لقد سمعتُ ما فيه الكفاية، ولستُ في حاجة إلى نصائح

تربوية، ومن شخص ليس لديه أولاد أساسًا! أنت لا تعرف إحساس أن ترى ابنك يعاني نوبة ذعر كلما أغمض عينيه لينام، مفهوم؟ لا تعرف هذا الإحساس!

وتهدَّج صوتها كما لو كانت توشك على البكاء، ونظرت إلى الدكتور جانسن:

- لقد ترك هذا أثرًا عميقًا في جوليان يا هال! أنا آسفة إذا كان غير لائق أن أقول هذا، لكنه الحقيقة، وأنا أحاول أن أفعل الأفضل من أجل ابني. هذا كل ما في الأمر. هل تفهم؟

أجاب الدكتور جانسن برقة:

- أفهم يا ميليسا.

أطرقت أمي، وذقنها ترتعش:

- هل انتهينا؟ هل يُمكننا الانصراف؟

قال:

- بالتأكيد.

قالت:

- هيا يا جوليان.

وخرجتْ من المكتب. ووقفتُ أنا. وأعترف أنني لم أكن أعلم بالضبط ما الذي سيحدث.

قلت:

- لحظة. هل انتهى الأمر؟ وماذا عن أغراضي؟ جميع أغراضي في الخِزانة.

قال الدكتور جانسن:

- السيدة روبين ستُجهِّز كل أغراضك، وستُحضرها إليك خلال هذا الأسبوع.

ونظر إلى أبي:

- أنا آسف فعلًا لأن الأمر وصل إلى هذه الدرجة يا جول!

ومد يده ليصافح أبي، فنظر أبي إلى يده ولم يصافحها، ثم نظر إلى الدكتور جانسن قائلًا بهدوء:

- شيء واحد فقط أريده منك يا هال. أريد كل هذا، كل هذا، أن يبقى سرًّا. هل هذا واضح؟ ألَّا يتجاوز هذه الغرفة. لا أريد أن تُحوِّل المدرسة جوليان إلى ملصق للدعاية ضد التنمُّر. ألَّا يعلم أحد بإيقافه عن الدراسة. سنختلق أي عذر لعدم وجوده في المدرسة، ويبقى الأمر عند هذا الحد. هل هذا واضح يا هال؟ لا أريده أن يتحوَّل إلى مثال، فلن أقف ساكنًا وأنا أرى هذه المدرسة تُلوِّث سُمعة أسرتي في الوحل!

أوه، بالمناسبة، إذا كنتُ لم أقل هذا من قبل، فهأنا أقوله، أبي يعمل محاميًا.

تبادل الدكتور جانسن والسيد توشمان النظرات، وقال الدكتور جانسن:

- نحن لا نجعل من أيِّ تلميذ لدينا مثالًا! هذا الحرمان بالفعل ليس إلا ردًّا معقولًا على سلوك غير معقول!

قال أبي ناظرًا في ساعته:

- تمهَّل علينا قليلًا! هذا ردُّ فعلٍ مُغالى فيه تمامًا!

نظر الدكتور جانسن إلى أبي، ثم إليَّ، جاعلًا عينيه في عينيَّ مباشرة، وقال:

- جوليان، هل يمكن أن أطرح عليك سؤالًا مباشرًا؟

نظرت إلى أبي فأطرق. هززت كتفي. فسألني:

- هل تشعر بأيٍّ ندم من أيٍّ نوع على ما فعلت؟

فكَّرتُ لثانية. كنتُ أشعر أن الكبار جميعًا يراقبونني، منتظرين أن أُجيب بشيء سحري يُخفف من وقع ذلك الموقف كله.

قلت بهدوء:

- نعم، أنا آسف فعلًا أنني كتبت تلك الرسائل الأخيرة!

أطرق الدكتور جانسن، ثم سألني:

- هل هناك أيُّ شيء آخر تشعر بالندم عليه؟

نظرت إلى أبي مرَّة ثانية. لستُ أحمق. أعرف ما كان يتمنى أن أقوله. لكنني لم أكن لأقوله مُطلقًا. نظرت في الأرض وهززت كتفي.

قال الدكتور جانسن:

- هل يمكن أن أطرح عليك هذا السؤال إذن؟ هل ستُفكر في كتابة رسالة اعتذار لأوغست؟

هززت كتفي مرَّة أخرى، ولم أجد ما أقوله إلا هذا:

- كم كلمة يجب أن أكتبها في هذه الرسالة؟

عرفت لحظة قلت ذلك أنني ربما لم يكن يجب أن أقوله.

نظر الدكتور جانسن إلى أبي الذي قال:

- جوليان، اذهب إلى ماما، وانتظراني عند الاستقبال، سأخرج بعد ثوانٍ.

وبينما أُغلق الباب بعد خروجي، بدأ أبي يهمس بشيء للدكتور جانسن والسيد توشمان. كان همسًا مكتومًا غاضبًا.

عندما وصلت إلى الاستقبال وجدت أمي جالسة على كرسي مرتدية نظارتها الشمسية. جلست بجوارها. فركت ظهري من دون أن تقول شيئًا. أعتقد أنها كانت تبكي.

نظرتُ في الساعة، العاشرة والثلث صباحًا. في هذا الوقت تقريبًا يجب أن تكون السيدة روبين مشغولة باستعراض نتائج اختبار الأمس في صف العلوم. فيما كنت أنظر في البهو، برقت في رأسي ذكرى ذلك اليوم السابق على بداية الدراسة، عندما التقيت أنا وجاك ويل وتشارلوت في هذا المكان، قبل مقابلة «الترحيب بالزميل» للمرَّة الأولى. أتذكر كم كان جاك متوترًا في ذلك اليوم، وأنني لم أكن أعرف أساسًا من يكون أوغست.

ما أكثر ما حدث منذ ذلك الحين.

خارج المدرسة

لم يقل أبي شيئًا حينما التقى بنا في البهو. فقط اجتزنا الأبواب من دون أن نُودِّع أحدًا، بمن في ذلك رجل الأمن عند طاولة الاستقبال. كان إحساسًا غريبًا أن أخرج من المدرسة والجميع لا يزالون في الداخل. لم أدرِ فيمَ فكَّر مايلز وهنري حين لم أعد إلى الفصل، ولم أطق فكرة أن تضيع عليَّ حصة الرياضة في عصر ذلك اليوم.

ظل والداي صامتين طوال طريق الرجوع إلى البيت. نحن نقيم في شمال الجانب الغربي، أي على بُعد قرابة نصف ساعة بالسيارة من بيتشر الإعدادية، لكنني شعرت كأن الطريق إلى البيت استغرق الأبد كله.

قلت ونحن نتوقف في ساحة سيارات العمارة:

- لا أُصدِّق أنني حُرمت من المدرسة!

قالت أمي:

- ليس ذنبك يا حبيبي. هم يقصدوننا نحن.

صاح أبي:

- ميليسا!

اعترى أمي شيء من الدهشة.

وقال أبي:

- بل ذنبه بالطبعِ! هذا الموقف كله ذنبه هو! جوليان، ما العبث الذي كنتَ تُفكِر فيه حينما كتبتَ رسائل كتلك؟

قالت ماما:

- استفزوه فكتبها!

كنا قد توقفنا داخل ساحة انتظار السيارات، وانتظر عامل الساحة أن نغادر السيارة، لكننا لم نغادرها.

التفت أبي ناظرًا إليَّ:

- أنا لا أقول إن المدرسة تعاملت مع الموقف بشكل صحيح. الإيقاف لأسبوعين سخف. لكن أنت يا جوليان كان يجب أن تكون أذكى من ذلك.
- أعرف. كانت غلطة يا أبي!

قالت ماما:

- وكلنا نخطئ.

التفت أبي إلى أمي هذه المرَّة وقال:

- جانسن مُحقٌّ يا ميليسا. لو ظللتِ تُبرِّرين أفعاله...
- أنا لا أُبرِّر يا جول!

لم يرد أبي على الفور، بل تمهَّل قليلًا ثم قال:

- قلت لجانسن إننا سنُخرج جوليان من بيتشر الإعدادية في العام المُقبل.

لم تنطق أمي. ومرَّت ثانية قبل أن يلطمني ما قاله.

- ماذا؟!

قالت أمي ببطء:

- جول!

واصل أبي بهدوء:

- قلت لجانسن إننا سنُكمل هذه السنة في بيتشر الإعدادية، لكن في السنة المُقبلة سوف ينتقل جوليان إلى مدرسة أخرى.

صحتُ:

- لا أُصدِّق هذا! أنا أُحب بيتشر الإعدادية يا أبي! لي أصدقاء فيها يا أمي!

قال أبي في حزم:

- لن أُعيدك مرَّة أخرى إلى هذه المدرسة يا جوليان، ويستحيل أن أُنفق دولارًا آخر في تلك المدرسة. هناك الكثير من المدارس الخاصة الممتازة في مدينة نيويورك.

قلت:

- ماما!

مسحت أمي وجهها بكلتا يديها، وهزَّت رأسها، ثم قالت لأبي:

- ألا تظن أننا كان يجب أن نتكلم في هذا الأمر أولًا؟

رد قائلًا:

- ألا توافقين؟

فركت جبهتها بأصابعها، وقالت وهي مُطرقة:

- بل أوافق.

صحتُ:

- ماما!

استدارت من مقعدها:

- والدك مُحقٌّ يا حبيبي.

صحت وأنا ألكم مقعد السيارة:

- لا أُصدِّق ما تقولان!

قالت:

- هم الآن يقصدوننا. يضمرون لنا شكوانا من الوضع مع هذا الطفل...

قلت وأنا أكز على أسناني:

- لكن هذه غلطتكِ! أنا لم أطلب منكِ أن تحاولي إخراج أوغي من المدرسة. لم أطلب منكِ أن تعملي على طرد توشمان. وإنما أنتِ!

قالت في صبر:

- أنا آسفة على ذلك يا حبيبي!

قال أبي:

- جوليان! ماما فعلت كل ما في وسعها من أجل حمايتك. ليست غلطتها أنك كتبت تلك الرسائل، أليس كذلك؟

قلت:

- بلى، ولكن لو لم تُثر كل تلك الضوضاء حول كل شيء...

قال أبي:

- جوليان! أتعرف ماذا تقول؟ أنت الآن تلوم أمك! ومن قبل كنت تلوم الولدين الآخرين على كتابتك للرسائل! سأبدأ في الظن بأن ما كانا يقولانه عنك صحيح. ألا تشعر بأي ندم على ما فعلت؟

قالت ماما:

- يشعر بالطبع.

رفع أبي صوته قائلًا:

- ميليسا! دعيه يتكلَّم!

صحتُ:

- لا أشعر بأي ندم، انتهينا؟ لستُ آسفًا! أعرف أن الجميع يتصورون أنني آسف، **آسف أنني كنت وضيعًا مع أوغي، آسف أنني تكلمت**

عنه بالسوء، آسف أنني احتقرته، لكنني لست كذلك. اسجنوني إذن!

قبل أن يتمكَّن أبي من الرد، طرق عامل الساحة على نافذة السيارة. كانت سيارة أخرى قد دخلت ساحة انتظار السيارات وتحتاج إلى خروجنا نحن.

ربيع

لم أُخبر أحدًا قَطُّ بأمر الإيقاف. وحين أرسل إليَّ هنري بعد بضعة أيام رسالة نصية يسألني فيها لماذا لم أحضر إلى المدرسة، قلت له إن لديَّ احتقانًا في الحلق. وذلك ما قلناه للجميع.

بالمناسبة، اتضح أن الإيقاف لمدة أسبوعين ليس أمرًا بالغ السوء، فقد قضيت أغلب الوقت في البيت أشاهد إعادات سبونج بوب، وألعب «فرسان الجمهورية القديمة». مع ذلك، كان لم يزل يُفترض بي أن أُتابع مذاكرتي، فلم يكن الأمر إذن وكأنني في إجازة كاملة.

مرَّت السيدة روبين بالشقة في عصر أحد الأيام، وأحضرت جميع محتويات خِزانتي: الكتب المدرسية، وكتاب التمارين، وجميع الواجبات التي كنت مُكلفًا بها، وكانت كثيرة!

سارت الأمور بخير تمامًا في الدراسات الاجتماعية واللغة الإنجليزية، لكنني واجهت مشقة كبيرة في واجب الرياضيات، لدرجة أن أمي جاءتني بمدرس رياضيات خصوصي.

على الرغم من طول الوقت الذي قضيته بعيدًا، فقد كنت أتلهَّف إلى الرجوع، أو ظننت أنني كذلك على الأقل. وفي الليلة السابقة على اليوم الأول لرجوعي، انتابني أحد كوابيسي مرَّة أخرى. الفارق الوحيد أن الشبيه بأوغي لم يكن أنا فقط، بل كان الجميع بلا استثناء!

كان يجب أن يكون ذلك الكابوس نذيرًا لي، فحينما عُدت إلى المدرسة، وبمجرد وصولي، أحسست أن أمرًا وقع. شيء ما كان

مختلفًا. أول ما لاحظته أنه لم يفرح أحد حقًّا برؤيتي. بالطبع قالوا لي أهلًا وسألوني عن حالي، ولكن أحدًا لم يقل «أهلًا يا زميل، افتقدناك».

كنت أنتظر ذلك من مايلز وهنري، ولم أجده. بل إنهما في الحقيقة عندما حان موعد الغداء لم يجلسا إلى مائدتنا المعتادة، وجلسا مع أموس. فكان عليَّ أن آخذ طبقي وأجد مكانًا أنحشر فيه على مائدة أموس، وكان في ذلك إذلال. وسمعت الثلاثة يتكلمون عن الخروج للعب كرة السلة في الفناء بعد المدرسة، من دون أن يدعوني أحد.

أغرب الأمور على الإطلاق، أن الجميع كانوا لُطفاء فعلًا مع أوغي. لُطفاء بسخافة. شعرت كأنني اجتزت مدخلًا إلى عالم في بُعد آخر، إلى كونٍ بديل، تبادلنا فيه الأماكن أنا وأوغي. فجأةً صار هو المحبوب صاحب الشعبية، وصرتُ أنا الغريب!

بعد الحصة الأخيرة، انتحيت بهنري جانبًا لأتكلم معه، وسألته:

- مرحبًا يا زميل، لماذا أصبح الجميع لُطفاء مع المسخ فجأةً هكذا؟

أخذ هنري يتلفت حوله في شيء من التوتر:

- أوه، إمممم، نعم، انظر، لم يعد أحد يقول عنه هذا الآن.

ثم حكى لي كل ما جرى في مخيم العودة إلى الطبيعة. وخلاصة ما جرى أن أوغي وجاك تعرَّضا للتنمُّر من بعض طلبة الصف السابع في مدرسة أخرى، وأنقذهما هنري ومايلز وأموس، وتشاجروا مع المتنمِّرين، بلكمات حقيقية وعِراك فِعلي، ثم هربوا جميعًا عبر متاهة من حقول الذرة. بدا الأمر مثيرًا جدًّا. وبينما كان يحكي لي، انتابني الغضب مُجددًا من السيد توشمان الذي فاتني ذلك كله بسببه.

قلت في حماس:

- ياه يا رجل! ليتني كنت هناك. كنت عجنت أولئك الحمقى.
- لحظة. أيُّ حمقى؟
- حمقى الصف السابع.
- فعلًا؟

بدت على هنري الدهشة، ولو أنه يبدو مندهشًا بعض الشيء طوال الوقت.

- لا أعرف يا جوليان. أظن لو أنك كنت هناك لما كنا أنقذناهم أصلًا، وربما كنت ستُشجع طلبة الصف السابع.

نظرت إليه نظرتي إلى أحمق، وقلت:

- لا بالطبع.

قال وهو ينظر غير مُصدِّق:

- فعلًا؟

قلت:

- بالطبع.

قال هازًّا كتفيه:

- حسنًا.

ونادى أموس من آخر الطُّرقة:

- أموس، هل ستأتي؟

قال لي هنري:

- حسنًا، لا بد أن أذهب.

قلت:

- لحظة.

قال:

- لا بد أن أذهب.
- هل تريد الخروج غدًا بعد المدرسة؟

قال وهو يتراجع مبتعدًا:

- لا أعرف. أرسل إليَّ رسالة الليلة وسأرى.

وبينما أراه يهرول مبتعدًا، انتابني ذلك الإحساس الرهيب في قاع بطني. هل كان فعلًا يظن أنني بَشعٌ لدرجة أن أُشجِّع طلبة من الصف السابع وهم يُوسعون أوغي ضربًا؟ هل هذا ما يتصوره الآخرون؟ أنني قذر إلى ذلك الحد؟

انظروا، أنا أول من قال إنني لا أُحب أوغي بولمان، لكنني لم أرغب قَطُّ في رؤيته يتعرَّض للضرب أو شيء مثل ذلك. بالفعل يا جماعة. لستُ مريضًا نفسيًّا. لقد انتابني ضيق حقيقي حين علمت أن هذا تصوُّر الناس عني.

أرسلت رسالة إلى هنري، قلتُ له فيها:

> مرحبًا،
>
> بالمناسبة، ما كنتُ مُطلقًا لأقف مُتفرجًا، بينما أولئك الحمقى يضربون أوغي وجاك.

لكنه لم يرد على رسالتي قَطُّ!

السيد توشمان

كان الشهر الأخير في المدرسة بشعًا. لا أقول إن الجميع كانوا في غاية الوضاعة السافرة معي، لكنني شعرت أنني معزول من أموس وهنري ومايلز. لم أعد أشعر أنني محبوب مثلما كنت. لم يعد أحد يضحك لِنكاتي قَطُّ، أو يرغب في الخروج معي. شعرت أنني يمكن أن أختفي من المدرسة فلا يفتقدني أحد. في الوقت نفسه، كان أوغي يسير في طرقات المدرسة كأنه الزميل الرائع، يصافحه جميع نجوم الرياضة في الصفوف العليا بالأيدي المرفوعة.

ليكن.

ذات يوم استدعاني السيد توشمان إلى مكتبه، وسألني:

- كيف الحال يا جوليان؟
- بخير.
- هل كتبتَ رسالة الاعتذار التي طلبتُ منك كتابتها؟

قلت:

- أبي يقول إنني سوف أنتقل من المدرسة، لذلك لستُ مُضطرًّا لكتابتها.

قال مُطرقًا:

- أوه، ظننتُ أنك ربما ترغب في كتابتها من تلقاء نفسك.

رددت:

- لماذا؟ الجميع الآن يظنون أنني ذلك الشخص القذر الوضيع على أي حال. فما الذي يمكن فعلًا أن تُغيره كتابة رسالة؟

- جوليان.
- أعرف أن الجميع يظنون أنني ولد عديم الإحساس لا يشعر بـ«الندم».

وأشرت بيدي في الهواء علامة على الأقواس الصغيرة.

قال السيد توشمان:

- جوليان، لا أحد...

شعرت فجأة أنني أُوشك على الانفجار في البكاء فقاطعته:

- لقد تأخرتُ بالفعل على الحصة، ولا أريد أن أتعرَّض لمشكلات، فهل يمكنني أن أذهب من فضلك؟

بدا الحزن على وجه السيد توشمان، وأومأ لي، فغادرت مكتبه من دون أن أنظر ورائي.

بعد أيام قليلة، تلقَّينا رسالة رسمية من المدرسة تُخبرنا أنهم يسحبون دعوتهم لتجديد التحاقي بالمدرسة في الخريف التالي.

لم أرَ الأمر مُهمًّا بعدما قال لهم أبي إنني لن أرجع على أي حال. لكننا لم نكن قد تلقَّينا ردودًا من المدارس الأخرى التي تقدَّمتُ إليها، وكنا نُخطط في حال عدم تلقِّينا ردًّا من أيٍّ منها أن أرجع إلى بيتشر الإعدادية، فبات ذلك مستحيلًا.

انتاب والديَّ غضب شديد على المدرسة، غضب جنوني، لأنهم كانوا قد دفعوا بالفعل مصروفات السنة المُقبلة مُسبقًا، ولم تكن المدرسة تُخطط لرد النقود. وهكذا هي المدارس الخاصة: ترميك في الخارج لأي سبب!

لحسن الحظ، عرفنا بعد أيام قليلة أنني قُبلت في مدرسة خاصة كانت اختياري الأول، وهي غير بعيدة عن مكان إقامتي. سيكون عليَّ

أن أرتدي زيًّا موحدًا، لكن لا بأس بذلك، هذا أفضل من الذهاب إلى بيتشر الإعدادية كل يوم.

وبديهي أننا لم نحضر حفل التخرُّج في نهاية السنة.

بعد

«قال باغيرا:
ليست تلك إلا دموع كدموع الرجال.
أعرف الآن أنك رجل لا شبل رجل.
وأن دونك الأدغال بدءًا من الآن.
دعها تنهمر يا ماوغلي، إن هي إلا دموع».
روديارد كبلنغ، «كتاب الأدغال»

***

«ها هي الريح، تعصف، تعصف،
عبر المقابر تعصف الريح،
وعما قريب تهل الحرية،
ونخرج جميعًا من أسر الظلام».
ليونارد كوهين، «النصير»

إجازة الصيف

ذهبتُ أنا ووالداي إلى باريس في يونيو. كانت الخطة الأصلية هي أن نرجع إلى نيويورك في يوليو، إذ كان مُفترضًا أن أذهب إلى معسكر للروك آند رول أنا وهنري ومايلز. لكن بعد أن جرى ما جرى، لم أعد أرغب في ذلك. قرر والداي أن يسمحا لي بالإقامة مع جدتي بقية الصيف.

كنتُ في العادة أكره الإقامة عند جدتي، لكنني تقبَّلت الأمر في تلك المرَّة. عرفت بعد أن رجع والداي أن بوسعي أن أقضي اليوم كله بثياب النوم ألعب **هالو** فلا تبالي جدتي بذلك على الإطلاق. كان بوسعي أن أفعل كل ما أريده.

لم تكن جدتي كالجدات الأمريكيات النمطيات، اللاتي يخبزن البسكويت، أو يغزلن الكنزات. كانت كما دأب أبي على القول، ذات «شخصية» فريدة. ومع أنها كانت في الثمانينيات من العمر، فإنها كانت تلبس مثل عارضة أزياء، بمنتهى التأنق. وتتجمَّل فتغالي في التجمُّل والتعطُّر. وترتدي أحذية عالية الكعوب. ولم تكن تستيقظ قَطُّ قبل الثانية ظهرًا، وبعدها تقضي ما لا يقل عن ساعتين في ارتداء ثيابها. ولا تكاد تنتهي حتى تخرج بي للتسوق أو للذهاب إلى متحف أو إلى مطعم رائع. لم تكن مُغرمة بأنشطة الأطفال، لو أنكم تفهمون قصدي. فهي مثلًا، لم تشاهد معي قَطُّ فيلمًا للأطفال من الأفلام التي تشترط إشراف الأبوين، وهكذا شاهدت الكثير من الأفلام غير اللائقة عُمريًّا. كنت أعرف أن أمي ستنفجر غاضبة لو علمت ببعض الأفلام

التي اصطحبتني جدتي لمشاهدتها. لكن جدتي كانت فرنسية، ودائمًا كانت تقول إن والديَّ «أمريكيان» أكثر مما يجب.

لم تكن جدتي أيضًا تُكلِّمني على أنني طفل صغير. حتى حينما كنت أصغر سنًّا، لم تكن تُكلِّمني بكلمات الرُّضَّع أو تُكلِّمني مثلما يُكلِّم الكبار الصغار في العادة. كانت تستعمل كلمات عادية لكل شيء. فلو قلتُ مثلًا «جو فو فير بيبي» (أي «أريد أن أعمل بيبي») تقول «تريد أن تتبول؟ اذهب إلى الحمَّام».

وفي بعض الأحيان كانت تشتم أيضًا. بصدق يا جماعة، تشتم فعلًا! وإذا لم أعلم معنى بعض سبابها، فكل ما كان عليَّ فعله هو أن أسألها فتشرح لي، وبالتفصيل. لدرجة أنني لا أستطيع أن أُخبركم ببعض الكلمات التي شرحتها لي.

على أي حال، كنت مسرورًا ببُعدي عن نيويورك طوال الصيف. كنت أريد أن أُخرج كل أولئك الأولاد من رأسي. أوغي، جاك، سمر، هنري، مايلز، كلهم. فلو لم أرَ أحدًا منهم مرَّة ثانية، سأكون بصدق أسعد ولد في باريس.

السيد براون

الشيء الوحيد الذي كنت أشعر ببعض الاستياء بسببه، هو أنني لم أُودِّع أحدًا من أساتذتي في بيتشر الإعدادية. لقد كنت أُحب بعضهم بالفعل. لعل السيد براون، مُعلِّم اللغة الإنجليزية، كان الأحب عندي طوال جميع السنوات. كان بالفعل لطيفًا معي. كنت أُحب الكتابة، وكان يثني على كتابتي كثيرًا. ولم أخبره قَطُّ أنني لن أرجع إلى بيتشر الإعدادية.

كان السيد براون قد قال لنا جميعًا في بداية السنة إنه يريدنا أن نرسل إليه في الصيف وصايانا الخاصة. وهكذا في عصر أحد الأيام، كانت جدتي نائمة، حين بدأت أُفكِّر في أن أُرسل إليه وصية من باريس. ذهبت إلى أحد المتاجر السياحية في آخر الشارع، واشتريت بطاقة بريدية عليها صورة شيطان، من تماثيل الشياطين التي تعلو كنيسة نوتردام، أول ما فكرت فيه حينما رأيته أنه يُذكِّرني بأوغي. ثم قلت لنفسي: **أوه، لماذا لم أزل أُفكِّر فيه؟ لماذا لم أزل أرى وجهه أينما أذهب؟ لا أستطيع أن أبدأ صفحة جديدة.**

وعند ذلك خطرت لي، أعني الوصية، فكتبتها بسرعة شديدة:

أحيانًا يكون خيرًا لك أن تبدأ من جديد.

رائع. ممتاز. أحببتها. جئت بعنوان السيد براون من صفحته في موقع بيتشر الإعدادية، وأرسلتها بالبريد في اليوم نفسه.

بعدما أرسلتها، أدركت أنه لن يفهم ماذا تعني. صعب، فهو لا يعرف الخلفية الكاملة للقصة التي جرت فجعلتني سعيدًا برحيلي عن

بيتشر الإعدادية والبدء من جديد في مكان جديد. فقررت أن أبعث إليه رسالة إلكترونية أحكي له فيها كل ما جرى في ذلك العام. أقصد، ليس كل شيء بالطبع. فأبي طلب مني تحديدًا ألّا أحكي لأحد في المدرسة شيئًا من الأشياء الوضيعة التي فعلتها لأوغي، لأسباب قانونية. لكنني أردت أن يعرف السيد براون ما يكفي ليفهم وصيتي. أردته أيضًا أن يعلم أنني أراه مُعلِّمًا عظيمًا. كانت أمي قد أخبرت الجميع أننا لن نرجع إلى بيتشر الإعدادية لعدم رضانا عن المستوى الأكاديمي والمُعلِّمين. واستأتُ من ذلك، لأنني لم أُرد مُطلقًا أن يتصوَّر السيد براون يومًا أنني لم أكن راضيًا عنه.

على أي حال، قررت أن أُرسل رسالة إلكترونية إلى السيد براون.

To: tbrowne@beecherschool.edu

Fr: julianalbans@ezmail.com

Subject: وصيتي

أهلًا سيد براون. أرسلتُ إليك حالًا وصيتي عبر البريد: «أحيانًا يكون خيرًا لك أن تبدأ من جديد». كتبتُها على بطاقة بريدية لتمثال شيطان. كتبتُ هذه الوصية لأنني سألتحق بمدرسة جديدة في سبتمبر. لقد انتهت بي الحال إلى كراهية مدرسة بيتشر. لم أعد أُحب التلاميذ، لكنني أحببت المُعلِّمين جدًّا. وفي رأيي أن حصتك كانت عظيمة. فلا تأخذ عدم رجوعي إلى المدرسة على محمل شخصي. لا أعرف إن كنتَ على علم بالقصة الطويلة الكاملة، لكن سبب عدم رجوعي إلى بيتشر

الإعدادية في جوهره هو... يعني، تجنبًا لذكر الأسماء، كان في المدرسة تلميذٌ لم أستطع قَطُّ أن أتقبَّله، بل هما تلميذان (ربما يمكنك أن تخمِّن من يكونان، لأن أحدهما لكمَني في فمي). على أي حال، هذان التلميذان لم يكونا أحب الناس إليَّ في الدنيا. بدأنا نتبادل فيما بيننا رسائل وضيعة. أُكرر: كلنا أرسلناها، وكانت متبادلة. لكنني وحدي الذي عُوقبت بسببها. أنا وحدي! كان ظلمًا سافرًا. الحقيقة أن السيد توشمان كان يُضمر لي أمرًا، لأن أمي كانت تسعى إلى طرده. على أي حال، وباختصار، جرى إيقافي عن الدراسة لمدة أسبوعين بسبب كتابتي الرسائل (لكن هذا أمر لا يعرفه أحد. الأمر سِرٌّ فأرجوك لا تُخبر أحدًا). قالت المدرسة إنها تتبع سياسة «عدم التسامح» مع التنمُّر، لكنني لا أعتقد أن ما فعلته تنمُّر. غضب والداي غضبًا شديدًا على المدرسة، وقررا إلحاقي بمدرسة أخرى في السنة المُقبلة. وهذه، إذن، هي القصة.

كنتُ أتمنى أَلَّا يلتحق ذلك «التلميذ» ببيتشر الإعدادية. كانت سنتي الدراسية كلها ستصبح أفضل كثيرًا. كرهتُ وجودي معه في فصل واحد. تسبَّب لي في كوابيس. كنتُ سأستمر في بيتشر الإعدادية لو لم يكن فيها. يا له من أمر محبط!

على الرغم من ذلك، فقد أحببتُ حصصك كثيرًا.
كنتَ مُعلِّمًا عظيمًا، وأردتُ أن أُخبرك بهذا.

بدا لي أنني أحسنت صُنعًا بعدم ذكر «الأسماء». لكنني خمَّنت أنه سيعرف عمَّن أتكلم. والحقيقة أنني لم أتوقَّع أن يصلني ردٌّ منه، لكن في اليوم التالي مباشرة، حينما نظرت في صندوق الوارد، وجدت رسالة من السيد براون، وكانت لحظة إثارة كبيرة.

To: julianalbans@ezmail.com
Fr: tbrowne@beecherschool.edu
Subject: Re: وصيتي

أهلًا جوليان. شكرًا جزيلًا لك على رسالتك. أنا مُتلهِّف إلى تلقِّي بطاقتك البريدية ذات الشيطان.
لقد أسفت حينما عرفت أنك لن تعود إلى بيتشر الإعدادية، فقد كنتُ دائمًا أرى فيك تلميذًا ممتازًا وكاتبًا موهوبًا.
بالمناسبة، أحببتُ وصيتك، وأوافقك الرأي، «أحيانًا يكون خيرًا لك أن تبدأ من جديد»، فالبداية الجديدة تُعطينا الفرصة لتأمل الماضي، وتقييم أفعالنا فيه، وتطبيق الدروس التي تعلَّمناها على أفعال المستقبل. ونحن إذا لم ندرس الماضي، فإننا لن نتعلَّم دروسه.
أما عن «التلميذين» اللذين لم تُحبهما، فأنا أظن أنني على علم تام بمن تتكلَّم عنهما. أنا آسف أن السنة الدراسية الماضية لم تكن سنة سعيدة

بالنسبة إليك، لكنني أرجو أن تُخصِّص بعض الوقت لتسأل نفسك عن السبب. فما يحدث لنا، ولو كان سيئًا، يمكن في حالات كثيرة أن يُعلِّمنا شيئًا عن أنفسنا. هل تساءلت يومًا لماذا كان الوقت عصيبًا عليك فيما يتعلَّق بالتلميذين؟ هل ضايقك مثلًا ما بينهما من صداقة؟ هل استأت من مظهر أوغي الجسماني؟ قلتَ إنك بدأت ترى كوابيس، هل فكَّرت مثلًا يا جوليان أنك ربما كنتَ تخاف بعض الشيء من أوغي؟ الخوف في بعض الأحيان قد يجعل ألطف الأولاد يفعلون أشياء أو يقولون أشياء غير متوقَّعة منهم في العادة. ربما يجب عليك أن تُفكِّر أكثر في هذه المشاعر! على أي حال، أتمنى لك كل الخير في مدرستك الجديدة يا جوليان. أنت ولد طيب. زعيم بالفطرة. فقط تذكَّر ألَّا تستعمل زعامتك إلا في الخير. اتفقنا؟ ولا تنس أبدًا: كُن دائمًا في جانب الخير.

لا أعرف السبب، لكنني سعدت، جدًّا جدًّا جدًّا، بتلقِّي تلك الرسالة من السيد براون. كنت أعلم أنه سيفهم ويُقدِّر. كنتُ قد تعبت من تصوُّر الجميع أنني ولد لعين. أتفهمون؟ كان واضحًا أن السيد براون يعرف أنني لستُ كذلك. قرأت رسالته عشر مرَّات، وعلى وجهي ابتسامة من الأذن إلى الأذن.

سألتني جدتي:

- ما الأمر؟

كانت قد استيقظت للتوِّ، وأخذت تتناول إفطارها: كرواسان وقهوة بالحليب من مطعم أسفل العمارة.

قالت:

- لم أرك سعيدًا هكذا طوال الصيف! ما هذا الذي تقرأه يا **عزيزي**؟

قلت:

- تلقيتُ رسالة من أحد أساتذتي. السيد براون.

سألتْ:

- من مدرستك القديمة؟ كنت أظنهم جميعًا سيئين، أولئك المُعلِّمين. كنتُ أحسب أنك ارتحتَ بخلاصك منهم جميعًا.

كانت جدتي تنطق الإنجليزية بلكنة فرنسية ثقيلة فيصعب فهمها أحيانًا.

- ماذا؟

كرَّرت:

- ارتحتَ بخلاصك منهم. لا عليك. كنتُ أتصوَّر أن كل أولئك المُعلِّمين أغبياء.

بدت طريقتها في نطق «أغبياء» مضحكة جدًّا.

قلت:

- ليسوا جميعًا. ليس السيد براون.
- فما الذي كتبه وأسعدك هكذا؟
- أبدًا، ليس بالشيء الكثير. فقط... كنت أحسب أن الجميع يكرهونني، لكن الآن أعرف أن السيد براون لا يكرهني.

نظرت جدتي إليَّ سائلةً:

- وما الذي يجعل الجميع يكرهونك يا جوليان؟ أنت ولد طيب بالفعل.

قلت:

- لا أعرف.

قالت:

- اقرأ عليَّ الرسالة.

بدأت أتكلم قائلًا:

- لا يا جدتي...

فقاطعتني آمرةً، وقد وضعت سبابتها على الشاشة:

- اقرأها.

قرأت رسالة السيد براون عليها. الحقيقة أن جدتي كانت على علم بشيء قليل مما جرى في مدرسة بيتشر، لكنني لا أعتقد أنها علمت بالقصة كلها. أعني أنني أظن أن والديَّ حكيا لها نسخة القصة التي حكياها للجميع، ربما مع قليل من التفاصيل الإضافية. فكانت جدتي تعرف مثلًا أن ولدين أحالا حياتي إلى شقاء، لكنها لم تعرف التفاصيل. عرفت أنني تعرَّضتُ للَّكم في فمي، لكنها لم تعرف السبب. لو كان لدى جدتي أي تصوُّر عن الأمر، فلعله لم يزد على تصوُّرها أنني كنت ضحية للتنمُّر، وأن ذلك هو سبب تركي للمدرسة.

وهكذا كانت في رسالة السيد براون أجزاء لم تفهمها بدقة، فسألتني وهي تُضيِّق عينيها لتقرأ من الشاشة:

- ماذا يقصد بمظهر أوغي الجسماني؟

وأضافت بالفرنسية:

- ما هذا؟

قلت:

- أحد الولدين اللذين لم أُحبهما، أوغي، كان لديه ذلك التشوُّه البشع في وجهه. كان سيئًا جدًّا. كان يُشبه شياطين نوتردام!
- جوليان! هذا ليس لطيفًا!
- آسف!

سألت في براءة:

- وهذا الولد، ألم يكن جيدًا ولطيفًا معك؟ كان يتنمَّر عليك؟

فكَّرتُ قليلًا ثم قلت:

- لا، لم يكن يتنمَّر.
- إذن، لماذا لم تكن تحبه؟

هززت كتفي:

- لا أعرف. كان فقط يُثير أعصابي!

قالت بسرعة:

- ماذا تقصد بـ«لا أعرف»؟ والداك أخبراني أنكم تتركون هذه المدرسة بسبب التنمُّر، أليس كذلك؟ أحدهم لكمَك في وجهك؟ أليس كذلك؟
- الحقيقة، بلى، تعرَّضتُ للَّكم. لكن ليس من الولد المُشوَّه، بل من صديقه.
- آه، إذن المتنمِّر كان صديقه.
- لا، ليس بالضبط. لا يمكنني القول إنهما كانا يتنمَّران يا جدتي. أقصد أن الأمر لم يكن كذلك. فقط لم نكن متوافقين، هذا كل ما في الأمر. كنا نكره بعضنا بعضًا. الأمر يصعب شرحه. كان يجب أن تكوني معنا حتى تفهمي. سأُريكِ شكله، ويمكن حينئذٍ

أن تفهمي أكثر قليلًا. أعني، أنا لا أريد أن أبدو وضيعًا، ولكن كان الاضطرار إلى رؤيته كل يوم أمرًا بشعًا. كان يتسبب لي في كوابيس!

دخلت فيسبوك، وعثرت على صورة الصف، وقرَّبت الصورة على وجه أوغي حتى تراه. لبست نظارتها لتنظر إلى الصورة، وقضت وقتًا طويلًا تتمعن في وجهه على شاشة اللابتوب. كنت أتوقَّع منها ردَّ فعلٍ كردِّ فعلِ أمي عندما رأت صورة أوغي للمرَّة الأولى، لكن ذلك لم يحدث. فقط أومأت لنفسها، ثم أغلقت اللابتوب.

قلت:

- سيِّئ جدًّا، أليس كذلك؟

نظرت إليَّ قائلة:

- جوليان، أعتقد أن معلمك ربما يكون على حق. أعتقد أنك كنت تخاف من هذا الولد.
- ماذا؟ لا يمكن. أنا أخاف من أوغي! الأمر أنني لم أُحبه، الحقيقة أنني تقريبًا كرهته، لكن ليس لأنني كنت أخاف منه.
- نحن في بعض الأحيان نكره ما نخافه.

بدا على وجهي عدم اقتناع بكلامها، كما لو أنه جنون.

أمسكت يدي، وقالت:

- أعرف كيف تكون الحال عندما نخاف يا جوليان.

ووضعت إصبعها على وجهي:

- وأنا طفلة صغيرة كنتُ أخاف من صبي صغير.

قلت وقد بدأت أشعر بالملل:

- دعيني أُخمِّن. أُراهن أنه كان يُشبه أوغي تمام الشبه.

هزَّت جدتي رأسها:

- لا. وجهه كان حسنًا.
- فلماذا إذن كنتِ تخافين منه؟

طرحتُ عليها ذلك السؤال وأنا أحاول أن يظهر في صوتي أكبر قدر ممكن من عدم الاهتمام، فتجاهلت جدتي تلك النبرة، وجلست فقط في مقعدها، وقد أمالت رأسها قليلًا، ورأيتُ في عينيها أنها مضت عني إلى مكان شديد البُعد.

قصة جدتي

مكتبة
t.me/t_pdf

قالت جدتي:

- كنتُ محبوبة جدًّا بين أقراني وأنا طفلة يا جوليان. كان لي كثيرٌ من الأصدقاء، والثياب الجميلة. وأنا كما ترى أُحب دائمًا الثياب الجميلة.

وحرَّكت يديها على جنبيها لتتأكد أنني لاحظت فستانها. ابتسمتْ، وأكملتْ:

- كنتُ فتاة تافهة ومُدلَّلة. عندما دخل الألمان فرنسا، لم أنتبه لذلك تقريبًا. كنت أعرف أن بعض أُسر قريتي اليهودية تنزح منها، لكن أُسرتي أنا كانت شديدة التمدُّن. فوالداي مثقفان، ومُلحدان، ولم نكن نذهب إلى المعبد أساسًا.

تمهلتْ قليلًا، وطلبتْ مني أن أُحضر لها كأس نبيذ، ففعلتُ ذلك. صبَّت لنفسها كأسًا مكتملة، وكعادتها عرضت عليَّ القليل من النبيذ أيضًا. ومثلما أفعل دائمًا قلت:

- لا، شكرًا.

كانت أمي ستغضب غضبًا عارمًا لو علمت بما كانت تفعله جدتي في بعض الأحيان.

قالت:

- كان في المدرسة ولد اسمه... يعني، فلنُطلق عليه اسم «تورتو». كان... كيف نقول تلك الكلمة... مُعاقًا؟ هل تقولها هكذا؟

قلت:

- لا أعتقد أن الناس لم تزل تستعمل هذه الكلمة يا جدتي، فهي لم تعد لائقة، إن كنتِ تفهمين مقصدي.

أشاحت بيدها نحوي وقالت:

- هكذا هم الأمريكيون، يأتون كل حينٍ بكلمة ويقولون إنه لم يعد يحق لنا استعمالها! المهم، أعني أن ساقي تورتو كانتا مُشوَّهتين بسبب شلل الأطفال. كان يحتاج إلى عكازين ليسير بهما، وكان ظهره ملتويًا تمامًا. وأعتقد أنه لهذا السبب كان يُسمى «تورتو»، أي «سلطعون»، كان يسير بالعرض مثل السلطعون. أعرف، يبدو هذا شديد الفجاجة. في تلك الأيام كان الأولاد أكثر وضاعة.

فكرت أنني كنت أُطلق على أوغست اسم «المسخ» من وراء ظهره، لكنني على الأقل لم أناده بذلك وجهًا لوجه.

واصلت جدتي الكلام. ولا بد أن أعترف أنني في البداية لم أكن مُغرمًا بحكيها لي إحدى قصصها الطويلة، لكنني استغرقت في تلك القصة.

- تورتو كان ضئيل الحجم ونحيلًا جدًّا، ولم يكن أحد منا يتكلم معه لأننا لم نكن نرتاح إلى الكلام معه. كان مختلفًا اختلافًا كبيرًا. بل إنني لم أكن أنظر إليه قَطُّ. كنت أخاف منه. أخاف أن أنظر إليه أو أُكلِّمه. أخاف أن يلمسني ولو مصادفة. كان الأسهل أن نتجاهله وكأنه غير موجود.

رشفت من نبيذها رشفة طويلة.

- ذات صباح جاء إلى مدرستنا رجل يجري. كنت أعرفه، والجميع كانوا يعرفونه. كان من الماكي، أي المقاومة. أتعرف

معنى ذلك؟ كان يقاوم الألمان. أسرع إلى مدرستنا، وقال للمُعلِّمين إن الألمان في الطريق إلينا ليأخذوا كل الأطفال اليهود. ماذا؟ ما هذا؟ لم أُصدِّق ما سمعته. طاف المُعلِّمون على فصول المدرسة كلها، وجمعوا كل الأولاد اليهود، وطلبوا منا أن نتَّبع الماكي إلى الغابة. بسرعة، بسرعة، بسرعة. أظننا جميعًا كنا عشرة تقريبًا. بسرعة، بسرعة، بسرعة. اهربوا.

نظرت جدتي إليَّ لتتأكد أنني مُنصت إليها، وكنت مُنصتًا بالطبع.

- كان الجليد ينهمر في صباح ذلك اليوم، والجو في غاية البرودة. وكل ما استطعت أن أُفكِّر فيه هو: **لو ذهبتُ الآن إلى الغابة، فسيتسخ حذائي**. كنتُ أرتدي حذاء أحمر جميلًا وجديدًا اشتراه لي أبي. تعرف، مثلما قلتُ من قبل، كنتُ بنتًا تافهة، وربما غبية بعض الشيء. لكن هذا ما كنتُ أُفكِّر فيه. لم أتوقف حتى لأسأل نفسي: أين أمي وأبي؟ لو كان الألمان قادمين للأولاد اليهود، فهل انتهوا من الآباء اليهود أصلًا؟ لم يخطر هذا ببالي. كل ما أمكنني التفكير فيه هو حذائي الجميل. وهكذا بدلًا من اتباع المقاوم إلى الغابة، انسللتُ من وسط المجموعة وذهبت لأختبئ في برج الجرس بالمدرسة. كانت في أعلاه غرفة ضيقة، مليئة بالصناديق والكتب، وهناك اختبأت. أتذكَّر أن ما كنتُ أتصوَّره هو أنني سأرجع إلى البيت عند العصر بعد مجيء الألمان، لأحكي لأمي وأبي كل شيء. إلى هذا الحد كنت غبية يا جوليان!

أطرقت وأنا لا أُصدِّق أنني لم أسمع هذه القصة من قبل.

- ثم جاء الألمان، كانت في البرج نافذة ضيقة، وكنت أرى من خلالها كل شيء. رأيتهم يجرون داخلين الغابة وراء الأولاد.

لم يستغرقوا وقتًا طويلًا كي يعثروا عليهم. رجعوا كلهم معًا: الألمان، والأولاد، وجندي المقاومة.

تمهَّلت جدتي، واختلجت رموشها بضع مرَّات، ثم تنفست بعمق، وقالت بهدوء:

- أطلقوا الرصاص على المقاوِم أمام الأولاد، فسقط بمنتهى البساطة على الجليد يا جوليان! بكى الأولاد. بكوا وهم يسوقونهم صفًّا واحدًا. ذهبت معهم إحدى المُعلِّمات، الآنسة بيتيجون، مع أنها لم تكن يهودية. قالت إنها لن تترك الأولاد. ولم يرها أحد بعد ذلك. مسكينة. في ذلك الوقت أفقت من غبائي يا جوليان. لم أعد أُفكِّر في الحذاء الأحمر. كنت أُفكِّر في أصحابي الذين مضوا بهم. كنت أُفكِّر في والديَّ. وبدأت أنتظر حلول الليل حتى يُمكنني الرجوع إلى البيت. لكن الألمان لم يمضوا جميعًا. بقي بعضهم في المكان، مع الشرطة الفرنسية. كانوا يُفتشون المدرسة، وساعتها أدركت أنهم يبحثون عني. نعم، عني أنا، عن الواحد أو الاثنين من الأطفال اليهود الذين لم يذهبوا إلى الغابة. ساعتها أدركت أن صاحبتي راشيل لم تكن بين الأطفال اليهود الذين ساقهم الألمان بعيدًا، ولا جاكوب، وهو ولد من قرية أخرى كانت البنات جميعهن يُردن أن يتزوجنه لأنه كان شديد الوسامة. أين كانا؟ لا بد أنهما كانا مختبئين مثلي. ثم سمعت يا جوليان صوت طقطقة على السلم. سمعت صوت خطوات تصعد السلم، مقتربة مني. شعرت بخوف شديد، وحاولت أن أجعل نفسي صغيرة قدر ما أستطيع وراء الصندوق، وأخفيت رأسي تحت بطانية.

وعند ذلك أخفت جدتي رأسها بذراعيها، كأنما تريد أن تريني كيف كانت تختبئ، وقالت:

- ثم سمعت من يهمس باسمي. لم يكن صوت رجل، بل صوت طفل. قال الصوت مرَّة أخرى: «**سارة؟**». اختلست النظر من داخل البطانية، وقلت مندهشة: «**تورتو!**». اعترتني دهشة عارمة، لأنني على مدى السنوات التي عرفته فيها لا أعتقد أنني وجَّهت له كلمة، أو تلقَّيت منه كلمة، ومع ذلك كان هناك، يناديني باسمي! قال: «**سيعثرون عليكِ هنا، تعالي ورائي**». وتبعته، ففي ذلك الوقت كان الرُّعب قد تمكَّن مني. قادني عبر طُرقة إلى كنيسة المدرسة التي لم أدخلها من قبل. ذهبنا إلى نهاية الكنيسة حيث كان القبو، وكل ذلك كان جديدًا عليَّ يا جوليان، وأخذنا نزحف على أرضية القبو لكي لا يرانا الألمان من النوافذ، فقد كانوا لا يزالون يبحثون عنا. سمعتهم حينما عثروا على راشيل. سمعت صراخها في الفناء وهم يأخذونها بعيدًا. مسكينة راشيل! نزل بي تورتو إلى الطابق تحت الأرضي، أسفل القبو. لا بد أننا نزلنا ما لا يقل عن مائة درجة. لم يكن ذلك يسيرًا على تورتو، كما تتخيَّل، بعرجه الرهيب وعكازيه، لكنه تقافز نازلًا السلم درجتين في كل مرَّة، ناظرًا وراءه ليتأكد من أن أحدًا لا يتبعنا. وأخيرًا وصلنا إلى ممر. كان ضيقًا جدًّا لدرجة أننا سِرنا بجنبينا كي نعبره. ثم وجدنا أنفسنا في المجاري يا جوليان. هل تتخيَّل؟ عرفت ذلك فورًا، من الرائحة بالطبع. كنا نخوض حتى رُكبنا في الفضلات. تخيَّل الرائحة. كثير جدًّا من الفضلات على حذائي الأحمر. سرنا طوال الليل، كنت أشعر ببرد قارس يا جوليان،

ومع ذلك كان تورتو شديد الطِّيبة، فقد أعطاني معطفه لأرتديه. كان ذلك، وحتى يومنا هذا!، أنبل تصرُّف واجهته من شخص. هو أيضًا كان يتجمَّد من البرد، لكنه أعطاني معطفه. انتابني إحساس رهيب بالخجل من الطريقة التي كنت أُعامله بها. آه يا جوليان، كان إحساسًا طاغيًا بالخجل!

غطَّت جدتي فمها بأصابعها، وبلعت ريقها، ثم أنهت كأس النبيذ وملأته من جديد.

- قادتنا المجاري إلى دانفيلييه، وهي قرية صغيرة على بُعد نحو خمسة عشر ميلًا من أوبِرفيلييه. كان والداي يتجنبان دائمًا هذه البلدة بسبب الرائحة؛ حيث كانت مجاري باريس تصب في أرض زراعية هناك، بل لم نكن نأكل التفاح الذي تطرحه أرض دانفيلييه. لكن تورتو كان يعيش هناك. اصطحبني إلى بيته، واغتسلنا في البئر، ثم أخذني إلى حظيرة وراء البيت، ولفني في بطانية حصان، وطلب مني أن أنتظر، ومضى ليحضر والديه. توسلت إليه: «**لا. أرجوك لا تُخبرهما**». كنت مرعوبة تمامًا، وخفت حين يرياني أن يتصلا بالألمان. لم أكن قابلتهما في حياتي، أتفهم؟ لكن تورتو تركني، وبعد دقائق قليلة رجع بوالديه. نظرا إليَّ. لا بد أنني بدوتُ لهما مثيرة للشفقة. كنتُ مبلولة وأرتعش. أحاطتني الأم، فيفيان، بذراعيها لتطمئنني. آه يا جوليان! ذلك الحضن كان أدفأ حضن شعرت به في حياتي! بكيتُ وبكيتُ بين ذراعَي المرأة، وقد عرفتُ آنذاك أنني لن أبكي مرَّة أخرى بين ذراعَي أمي أنا. عرفتُ ذلك بلا سبب، وجدتُ قلبي يعرف يا جوليان، وكنتُ على حق. كانوا قد أخذوا أمي في ذلك اليوم، مع جميع يهود

المدينة. وكان أبي في العمل، فتلقَّى إنذارًا بأن الألمان قادمون، فتدبر الهرب، وجرى تهريبه إلى سويسرا. لكن الوقت لم يُسعف أمي، فرُحِّلت في اليوم نفسه إلى أوشفيتز، ولم أرها بعد ذلك. أمي الجميلة!

تنفستْ نفسًا عميقًا، وهزَّت رأسها.

ثوانٍ قليلة مضت وجدتي صامتة. بقيت عيناها مُعلَّقتين في الهواء، كأنما بوسعها أن ترى ذلك كله يجري أمامها مرَّة أخرى. وساعتها فهمتُ لماذا لم تَحكِ لي هذه القصة من قبل؛ كان الأمر يفوق قدرتها على الاحتمال.

واصلت جدتي ببطء:

- أخفتني أسرة تورتو سنتين في تلك الحظيرة، على الرغم من أن ذلك كان فيه خطورة كبيرة عليهم؛ فقد كنا مُحاطين تمامًا بالألمان، وكان للشُّرطة الفرنسية مقر ضخم في دانفيلييه. لكنني كل يوم كنت أشكر خالقي على الحظيرة التي صارت لي بيتًا، وعلى الطعام الذي كان تورتو يحرص على تدبيره وجلبه لي، على الرغم من ندرة الطعام لدى الجميع. كان الناس يتضورون جوعًا في تلك الأيام يا جوليان، ومع ذلك أطعموني. عرفتُ طِيبة لن أنساها إلى الأبد، والطِّيبة دائمًا تستوجب الشجاعة، لكن في تلك الأيام، كان يمكن أن تُكلِّفك حياتك!

عندها اغرورقت عينا جدتي بالدموع، فأمسكتْ يدي.

- رأيت تورتو للمرَّة الأخيرة قبل شهرين من التحرير. كان قد جاءني بحساء. لم يكن حساء في الحقيقة، ما هو إلا ماء فيه قليل من الخبز والبصل. كنا نحن الاثنان قد نحلنا كثيرًا، وكنت مهلهلة الثياب. مضت أيام ثيابي الجميلة! ومع ذلك أمكننا أن نضحك، أنا وتورتو. ضحكنا من أشياء كانت تحدث في مدرستنا. فعلى

الرغم من أنني لم أكن أستطيع الذهاب إليها بالطبع، كان تورتو لم يزل يذهب إليها كل يوم. وبالليل ينقل لي كل ما تعلَّمه لأبقى على اطلاع. كان يحكي لي عن أصدقائي القدامى أيضًا، وعن أحوالهم. كانوا جميعًا لا يزالون يتجاهلونه، وهو لم يُفصح لأحد منهم أنني لم أزل على قيد الحياة. لم يكن ممكنًا إخبار أحد. لم يكن ممكنًا الوثوق بأحد. وكان تورتو حكَّاءً ممتازًا، يُضحكني كثيرًا، وكان بارعًا في التقليد، ولديه أسماء طريفة يُطلقها على جميع أصدقائي. تخيَّل، كان تورتو يسخر منهم! قلت له: «**لم أكن أدري أنكَ لئيمٌ هكذا. لعلك طوال كل تلك السنوات كنت تسخر مني أيضًا من وراء ظهري**». قال: «**أنا أسخر منكِ أنتِ؟! مُستحيل! كنتُ مُغرمًا بكِ، لم أسخر منكِ قَطُّ. ثم إنني لم أكن أسخر إلا من الأولاد الذين يسخرون مني، وأنتِ لم تسخري مني قَطُّ. كنتِ تتجاهلينني فقط**». قلت له: «**كنتُ أُسمِّيكَ تورتو**». قال: «**وماذا في هذا؟ الجميع يُطلقون عليَّ ذلك، وأنا بالفعل لا أُبالي، ثم إنني أُحب السلطعون**». قلت له: «**أوه يا تورتو، أنا في منتهى الخجل**». وأتذكَّر أنني أخفيت وجهي بين يديَّ.

في تلك اللحظة أخفت جدتي وجهها بين يديها. وعلى الرغم من أن أصابعها كانت قد انثنت الآن بسبب التهاب المفاصل، ورقَّ جلدها، وصار بوسعي أن أرى عروقها، فقد رُحت أتصوَّر يديها الغضتين على وجهها الغض قبل كل تلك السنين الكثيرة.

أكملتْ جدتي:

- أخذ تورتو يديَّ...

أبعدت جدتي يديها ببطء عن وجهها.

- وأمسكهما لثوانٍ قليلة. كنتُ في الرابعة عشرة آنذاك، ولم يسبق أن قبَّلني ولدٌ من قبل، لكنَّه قبَّلني في ذلك اليوم يا جوليان!

أغمضت جدتي عينيها، وتنفَّست نفسًا عميقًا.

- بعدما قبَّلني، قلت له: «**لا أريد أن أدعوك تورتو بعد اليوم، ما اسمك؟**».

فتحت جدتي عينيها، ونظرت إليَّ سائلةً:

- هل يُمكنك أن تُخمِّن ما قاله؟

رفعتُ حاجبيَّ كأنما أقول «لا، وكيف لي أن أعرف؟».

ثم أغمضت جدتي عينيها من جديد وابتسمت:

- قال لي: «**اسمي جوليان**»!

جوليان

صحتُ:

- يا إلهي! لهذا السبب سَمِّيتِ أبي «جوليان»؟ وذلك هو اسمه، على الرغم من أن الجميع ينادونه بـ«جول»!

أطرقت قائلةً بالفرنسية:

- نعم.

قلت:

- وأنا سُمِّيتُ باسم أبي، أنا أيضًا سُمِّيتُ باسم ذلك الولد! هذا أمر رائع!

ابتسمت ومررت أصابعها في شعرها، لكنها لم تقل شيئًا.

ثم تذكَّرتُ قولها «رأيت تورتو للمرَّة الأخيرة...»، فسألتها:

- ماذا حدث لتورتو، أقصد جوليان؟

وعلى الفور تقريبًا انهمرت الدموع على خدَّي جدتي، وقالت:

- أخذه الألمان في ذلك اليوم نفسه! كان في طريقه إلى المدرسة، عند قيامهم بحملة تمشيط ثانية للقرية في ذلك الصباح. في ذلك الوقت، كان الألمان يخسرون الحرب، وكانوا يعلمون ذلك.

قلت:

- لكن، هو لم يكن يهوديًّا!

قالت وسط نشيجها:

- أخذوه لأنه مُعاق! آسفة، أعرف أنك أخبرتني أن تلك الكلمة سيِّئة، لكنني لا أعرف كلمة أخرى بالإنجليزية. كان «عاجزًا»،

هذه هي الكلمة في الفرنسية، ولذلك السبب أخذوه. لم يكن كاملًا!

بصقت الكلمة بصقًا.

- أخذوا كل «العَجَزة» من القرية في ذلك اليوم. كانت حملة تطهير: الغجر، وابن الإسكافي لأنه كان... أبله، وجوليان. حبيبي تورتو وضعوه مع الآخرين في عربة يجرها حصان، ثم شُحن في قطار إلى درانسي، ومن هناك إلى أوشفيتز، مثل أمي! سمعنا بعد ذلك من شخص رآه هناك أنهم أرسلوه إلى غرف الغاز على الفور. بهذه البساطة، انتهى، ذهب. منقذي! جوليان! الصغير! الحبيب!

توقفت لتُجفِّف عينيها بمنديل، ثم شربت ما بقي من النبيذ، وأكملت:

- انهار والداه بالطبع، مسيو بوميه ومدام بوميه. لم نعرف أنه مات إلا بعد التحرير. لكننا عرفنا، عرفنا!

وجفَّفت عينيها.

- عشتُ معهما سنة بعد الحرب، وعاملاني كأنني ابنتهما، وهما اللذان حاولا تعقُّب أثر أبي، على الرغم من أنه لزم بعض الوقت للعثور عليه، فتلك الأيام كانت مليئة بكثير من الفوضى. وأخيرًا استطاع أبي أن يرجع إلى باريس، وذهبت لأعيش معه، لكنني ظللت دائمًا أزور آل بوميه، حتى بعدما طعنا في السن. لم أنسَ قَطُّ طِيبتهما معي!

تنهَّدت، وقد أنهت القصة.

مرت دقائق قليلة، ثم قلت:

- جدتي، هذه أكثر قصة مُحزنة سمعتها في حياتي. لم أكن أعرف

أصلًا أنكِ عشتِ الحرب. أقصد أن أبي لم يحكِ لي قَطُّ عن هذا.

هزَّت كتفيها:

- جائز جدًّا في تصوُّري أنني لم أحكِ شيئًا لأبيك. أنا كما تعلم لا أُحب أن أتكلَّم عن الأشياء المُحزنة. ومن بعض النواحي لم أزل بنتًا تافهة مثلما كنت. لكنني حينما سمعتك تتكلم عن ذلك الولد الصغير في مدرستك، لم أملك إلا أن أتذكَّر تورتو، وكيف كنت أخاف منه في يوم من الأيام، وكيف كنا نُسيء معاملته بسبب تشوُّهه. أولئك الأولاد كانوا في غاية الوضاعة معه يا جوليان. قلبي ينفطر حينما أُفكِّر في ذلك.

حينما قالت ذلك، حدث، لا أعرف، أن انكسر شيء ما في نفسي. ودونما أدنى توقُّع أطرقتُ، وبدأتُ في البكاء. وحينما أقول إنني بدأت في البكاء، لا أعني أنها دمعات قليلة انحدرت على خدي، بل بكاء منهمر كامل لا ينقصه المخاط والنشيج.

قالت جدتي برقة:

- جوليان!

هززت رأسي وغطيت وجهي بيديَّ هامسًا:

- كنتُ فظيعًا يا جدتي! كنتُ شديد الوضاعة مع أوغي! أنا آسف جدًّا يا جدتي!

قالت مرَّة أخرى:

- جوليان، انظر إليَّ.
- لا.
- انظر إليَّ يا عزيزي.

أخذتْ وجهي بين يديها، وأرغمتني على النظر إليها. شعرتُ بحرج بالغ، ولم أكن أستطيع النظر في عينيها.

وفجأة، حلَّت عليَّ تلك الكلمة التي نطقها السيد توشمان، تلك الكلمة التي ظل الجميع يحاولون فرضها عليَّ، حلَّت عليَّ كأنها صرخة: **الندم**.

نعم، تلك الكلمة، بكل ما لها من جلال.

الندم! كان الندم يعصف بي، وكنتُ أبكي بسببه.

قالت جدتي:

- جوليان، كلنا نُخطئ يا **عزيزي**.

قلت:

- لا، أنتِ لا تفهمين. لم يكن مجرد خطأ. لقد كنتُ مثل أولئك الوضعاء مع تورتو... كنتُ المتنمِّر يا جدتي. كنتُ هكذا!

أطرقتْ، وأكملتُ:

- كنتُ أُطلق عليه «المسخ»، وأسخر منه في غيابه، **وتركت له رسائل وضيعة!**

وصحتُ:

- ماما ظلت تُبرِّر لي قيامي بتلك التصرفات... لكن لا مُبرر لذلك. لقد فعلتُها وحسب، ولا أعرف سببًا لذلك، لا أعرف!

كنت أبكي بشدة فلم أقوَ على الكلام.

ربتت جدتي على رأسي وعانقتني، ثم قالت برقة:

- جوليان، أنت صغير جدًّا، وما فعلته من أمور، أنت تعرف أنها غير صحيحة. لكن هذا لا يعني أنك غير قادر على فِعل الصواب، إنه يعني فقط أنك اخترت أن تفعل الخطأ. وهذا ما قصدته حين

قلت إنك ارتكبت خطأ. ذلك مثل ما حدث معي عندما أخطأت في حق تورتو.

وأكملتْ:

- لكن الجميل في الحياة يا جوليان، أن بوسعنا إصلاح أخطائنا في بعض الأحيان. نحن نتعلَّم منها، ونصبح أفضل. أنا لم أرتكب خطأ قَطُّ كالذي ارتكبته في حق تورتو. لم أفعلها مع أي شخص في حياتي، وقد عشت حياة طويلة، طويلة جدًّا. وسوف تتعلَّم أنت أيضًا من خطئك. لا بد أن تَعِد نفسك بألَّا تتصرف بهذه الطريقة مع أي شخص مرَّة أخرى. إن خطأً واحدًا لا يُحدِّد شخصيتك يا جوليان. هل تفهمني؟ عليك فقط أن تتصرَّف بشكل أفضل في المرَّة التالية.

أطرقتُ، وكنت لم أزل أبكي، ولوقت طويل بعد ذلك ظللتُ أبكي.

حلمي

في تلك الليلة حلمتُ بأوغي. لا أتذكَّر تفاصيل الحلم، لكن أظن أن النازيين كانوا يطاردوننا، وأمسكوا أوغي، لكن كان معي المفتاح لإخراجه، وأعتقد أنني أنقذته في حلمي، أو ربما ذلك ما قلته لنفسي حينما استيقظت. في بعض الأحيان يصعب أن تتأكد من الأحلام. أقصد أن النازيين في ذلك الحلم بدوا جميعًا يشبهون ضباط دارث فيدر الإمبراطوريين، لذلك يصعب كثيرًا أن تعتمد على الأحلام أكثر مما يجب.

لكن ما كان مثيرًا جدًّا بالنسبة إليَّ، حينما فكرت في الأمر، هو أنه كان حلمًا وليس كابوسًا، وأنني وأوغي في ذلك الحلم كنا في جانب واحد.

استيقظت مبكرًا جدًّا بسبب ذلك الحلم، ولم أعاود النوم. ظللت أُفكِّر في أوغي، وتورتو - أو جوليان - ذلك الولد البطل الذي سُمِّيتُ باسمه. غريب أنني على الرغم من كل ذلك الوقت الذي قضيته أُفكِّر في أوغي كأنه عدو، عندما حكت لي جدتي تلك القصة، لا أعرف ما حدث، كأنها غاصت كلها بداخلي، وظللت أُفكِّر كم سيكون مُخجلًا لو علم جوليان الأصلي أن شخصًا يحمل اسمه يتسم بهذه الوضاعة.

ظللت أُفكِّر في جدتي، وكم كانت حزينة وهي تحكي القصة، وكيف تذكَّرتْ كل تلك التفاصيل مع أنها وقعت كلها قبل نحو سبعين سنة. سبعون سنة! هل سيتذكَّرني أوغي بعد سبعين سنة؟ هل سيظل يتذكَّر الأشياء الوضيعة التي ارتكبتها في حقه؟

لم أشأ أن أبقى في ذاكرته بهذه الأشياء، وأردت أن يتذكَّرني بمثل ما تتذكَّر جدتي تورتو به.

الآن أفهمه يا سيد توشمان: ا ل ن د م.

نهضتُ فور طلوع النهار، وكتبتُ هذه الرسالة:

عزيزي أوغي،

أريد أن أعتذر عن كل ما حدث في العام الماضي. لقد فكَّرتُ فيه كثيرًا. أنت لم تكن تستحق ذلك. أتمنى لو يعود الزمان لأكون ألطف. أرجو ألَّا تتذكَّر كم كنتُ وضيعًا معك عندما تبلغ الثمانين من العمر.

أرجو لك حياة طيبة.

جوليان

ملحوظة: لو أنك الذي أخبرت السيد توشمان بأمر الرسائل، فلا تشغل نفسك، فأنا لا ألومك.

عندما استيقظت جدتي في عصر ذلك اليوم، قرأت عليها الرسالة، فقالت وهي تشد على كتفي:

- أنا فخورة بك يا جوليان.
- في رأيك، هل سيسامحني؟

فكرت قليلًا، ثم قالت:

- الأمر يرجع إليه. المهم في النهاية يا **عزيزي**، أن تُسامح أنت نفسك، أن تتعلَّم من خطئك، مثلما تعلَّمتُ من خطئي في حق تورتو.

سألتها:

- وفي رأيك، هل يسامحني تورتو لو عرف أن شخصًا يحمل اسمه تصرَّف بتلك الوضاعة؟

قبَّلت يدي، وقالت:

- تورتو سيسامحك.

ورأيت أنها تعني ما قالت.

الرجوع إلى الوطن

أدركتُ أن عنوان أوغي ليس لديَّ، فكتبت رسالة إلكترونية أخرى إلى السيد براون أسأله فيها إن كان بوسعي أن أُرسل إليه رسالتي إلى أوغي فيرسلها هو إليه نيابة عني، فبعث إليَّ السيد براون رسالة على الفور، وقال إن ذلك يُسعده، وإنه فخور بي.

ارتحت لذلك. أعني ارتحت كثيرًا. وارتحت أنني ارتحت. أمر يصعب شرحه، لكن أظن أنني كنت تعبت من إحساسي بأنني الولد البشع. ولستُ كذلك. أنا مثلما أقول وأُكرر وأُعيد وأزيد مجرد ولد عادي، ولد عادي طبيعي كأيٍّ ولد عادي طبيعي، وأخطأ، لكنني بدأت أُصحح خطئي.

وصل والداي بعد أسبوع، ولم تتوقف أمي عن معانقتي وتقبيلي، فتلك كانت أطول فترة قضيتها بعيدًا عن البيت.

كنتُ مُتحمسًا لإخبارهما بأمر الرسالة التي تلقيتُها من السيد براون، والرسالة التي كتبتُها لأوغي، لكنهما أخبراني أولًا بما لديهما من أخبار.

قالت ماما في إثارة:

- رفعنا قضية على المدرسة.

صحتُ:

- ماذا؟

قالت كأنها تُزقزق من فرط البهجة:

- والدك رفع قضية عليهم لخرقهم التعاقد.

نظرتُ إلى جدتي التي لم تقل شيئًا. كنا جميعًا نتناول العشاء.
أوضح أبي بهدوء يليق بمحام:

- لم يكن يحق لهم سحب تعاًقد الالتحاق. ليس قبل أن نلتحق بمدرسة أخرى. قال لي هال في مكتبه إنهم سينتظرون قبل إلغاء تعاقد الالتحاق إلى **ما بعد** قبولنا في مدرسة أخرى، وإنهم سيردون لنا النقود. كان لدينا اتفاق شفهي.

قلت:

- لكنني التحقت بمدرسة أخرى بالفعل!

قال أبي:

- لا يهم. حتى لو ردوا النقود. إنها مسألة مبدأ.

نهضت جدتي عن المائدة قائلةً:

- أي مبدأ؟! هذا كلام فارغ يا جول! **غباء**! هراء كامل تام!

قال أبي وقد بدت عليه الدهشة مثل أمي:

- **ماما!**

قالت جدتي:

- عليك أن تُوقف هذا الغباء!

قال أبي:

- أنتِ لا تعرفين التفاصيل يا **ماما**.

صاحت وهي تلوح بقبضتها في الهواء وقد بدت عليها الشراسة:

- أعرف **جميع** التفاصيل. لقد أخطأ الولد يا جول. **ابنك** أخطأ، وهو يعرف ذلك، وأنت تعرف ذلك. فعل أشياء سيِّئة في حق ذلك الولد وهو آسف عليها، ويجب أن تتوقف عما تفعل!

تبادلتْ أمي وأبي النظر.

قالت ماما:

- مع كامل الاحترام يا سارة، أعتقد أننا نعلم ما هو أفضل لـ...

صاحت جدتي:

- لا، أنتما لا تعلمان أي شيء! لا تعلمان! أنتما مشغولان بالقضايا والغباء!

قال أبي:

- ماما!

قلت:

- جدتي مُحقَّة يا أبي. أنا أخطأتُ في كل تلك الأشياء مع أوغي. أنا المذنب. كنتُ وضيعًا معه، بلا سبب. كان ذنبي عندما لكمَني جاك. لقد قلتُ عن أوغي إنه مسخ!

قالت ماما:

- ماذا؟!

قلت بسرعة:

- وكتبتُ تلك الرسائل البشعة، وفعلتُ أشياء وضيعة. كان ذنبي. كنت المتنمِّر يا أمي. لم يكن لأحد سواي ذنب!

بدا أن والديَّ لا يعرفان بمَ يجيبان.

قالت جدتي:

- بدلًا من جلوسكما هكذا كالأحمقين، يجب أن تُثنيا على جوليان لاعترافه هذا. إنه يتحمل مسؤوليته، ويُسدِّد دينه عن خطاياه، وهذا يحتاج إلى شجاعة عظيمة.

قال أبي وهو يفرك ذقنه ناظرًا إليَّ:

- نعم بالطبع. لكنني لا أعتقد أنكِ تفهمين جميع العواقب القانونية. المدرسة استولت على المصروفات وترفض ردَّها، وهذا...

أشاحت في وجهه:

- كلام فارغ! فارغ! فارغ!

قلت:

- لقد كتبتُ له اعتذارًا. لأوغي. كتبتُ اعتذارًا وأرسلته إليه عبر البريد. اعتذرت عن الطريقة التي تصرَّفتُ بها.

قال أبي وقد بدأ ينتابه الغضب:

- فعلتَ ماذا؟!

قلت:

- وكتبتُ للسيد براون الحقيقة أيضًا. كتبتُ للسيد براون وحكيتُ له القصة كلها.

قال أبي وقد عبس غاضبًا:

- جوليان... لمَ فعلت هذا؟ قلتُ لك إنني لا أريدك أن تكتب أي شيء فيه اعتراف...

لوَّحت جدتي بيدها في وجه أبي، وصاحت بكلمات بالفرنسية، فلم أتمالك نفسي وضحكتُ، بينما انكمش أبي.

سألتُ أمي التي لا تجيد الفرنسية:

- ماذا قالت؟

قلت:

- جدتي قالت إن أبي له عقل أشبه بساندويتش جُبن.

قال أبي في صرامة كمن يستعد لإلقاء محاضرة طويلة:

- ماما!

لكن أمي مدت يدها ووضعتها على ذراع أبي قائلةً بهدوء:

- جول، والدتك مُحقَّة.

على غير توقّع

أحيانًا يُفاجئك الناس. لم أكن أتوقَّع ولو بعد مليون سنة أن تتراجع أمي عن أي شيء، فذهلتُ تمامًا مما قالته للتوِّ، ورأيت أن أبي مذهول مثلي، وقد نظر إلى أمي كمن لا يُصدِّق ما قالته. جدتي هي الوحيدة التي لم تندهش.

قال أبي لأمي:

- هل تمزحين؟

هزَّت أمي رأسها ببطء وقالت:

- جول، علينا أن نُنهي هذا. علينا أن نضعه وراء ظهورنا. والدتك مُحقَّة.

رفع أبي حاجبيه. كنت أعرف أنه غاضب لكنه يكتم غضبه.

- أنتِ التي مضيتِ بنا في هذا المسار القتالي يا ميليسا!

قالت وهي تخلع نظارتها، كاشفة عن عينين لامعتين بحق:

- أعرف، أعرف. وكنت أظن ذلك هو الصواب في حينه، ولا أزال أرى أن توشمان أخطأ في طريقة تعامله مع كل شيء، لكن... أنا مستعدة الآن أن أضع كل هذا وراء ظهري يا جول. أعتقد أن كل ما علينا الآن هو... أن ننسى ونواصل حياتنا.

هزَّت كتفيها، ونظرت إليَّ قائلةً:

- أمر عظيم من جوليان أنه سعى إلى ذلك الولد يا جول. ذلك أمر يحتاج إلى قلب شجاع بحق.

ثم عاودت النظر إلى أبي:

- علينا أن ندعمه.

قال أبي:

- أنا أدعمه بالطبع.

وهزَّ رأسه وقلب عينيه في الآن نفسه قائلًا:

- هذا فقط سير في الطريق المعاكس تمامًا يا ميليسا...

تنهَّدت ماما، ولم تدرِ ماذا تقول.

قالت جدتي:

- انظر، مهما يكن ما فعلته ميليسا فقد فعلته لأنها أرادت إسعاد جوليان. هذا كل ما في الأمر. وهو الآن سعيد. يمكنك أن ترى السعادة في عينيه. للمرَّة الأولى منذ وقت طويل يبدو ابنك سعيدًا.

قالت أمي وهي تمسح دمعة على خدها:

- ذلك صحيح تمامًا.

شعرتُ بالأسف لأمي في تلك اللحظة. شعرتُ أنها مستاءة من بعض الأشياء التي فعلتَها.

قلت:

- أبي، أرجوك لا ترفع القضية على المدرسة. أنا لا أريد ذلك. اتفقنا يا أبي؟ أرجوك!

اتكأ أبي على مسند كرسيه وأطلق صفيرًا خافتًا، كما لو كان ينفخ شمعة بالحركة البطيئة، ثم بدأ يطرقع بلسانه وسقف فمه. ومرت لحظات طويلة وهو على تلك الحال، ونحن مكتفون بالنظر إليه.

وأخيرًا اعتدل في جلسته، ونظر إلينا، وهزَّ كتفيه، ورفع يديه قائلًا:

- اتفقنا. سأسحب القضية. سنتغاضى عن المصروفات. هل أنتِ متأكدة أن ذلك هو ما تريدينه يا ميليسا؟

أومأت أمي:

- متأكدة.

تنهَّدت جدتي، وهمهمت لكأس نبيذها:

- أخيرًا تحقَّق النصر!

عُدنا من باريس بعد أسبوع، لكن ليس قبل أن تصطحبنا جدتي إلى مكان شديد الخصوصية: القرية التي نشأتْ فيها. بدا مذهلًا لي أنها لم تَحكِ لأبي قَطُّ قصة تورتو كلها. الشيء الوحيد الذي كان يعرفه هو أن أسرة في دانفيلييه ساعدت أمه في فترة الحرب، لكنها لم تَحكِ له أيًّا من التفاصيل. لم تحكِ له قَطُّ أن جدته ماتت في معسكر اعتقال!

سألها أبي وهو يقود السيارة إلى قريتها:

- كيف لم تَحكِ لي شيئًا من هذا يا أمي؟!

أجابته:

- أوه، أنت تعرفني يا جول. أنا لا أُحب أن أعيش في الماضي. الحياة أمامنا. لو قضينا وقتًا طويلًا ننظر وراءنا، فلن يكون بوسعنا أن نرى إلى أين نحن ذاهبون.

تغيَّرت القرية كثيرًا، قُصفت بالكثير من القنابل، وتهدَّمت أغلب المنازل الأصلية في الحرب، واختفت مدرسة جدتي. لم يبقَ في الحقيقة شيء نراه، فقط ستاربكس ومتاجر أحذية.

مضينا بالسيارة إلى دانفيلييه، التي كان يعيش فيها جوليان. وتلك القرية كانت على حالها، لم يمسسها سوء. أخذتنا جدتي إلى الحظيرة التي أقامت فيها طوال سنتين. سمح المزارع الشيخ الذي بات يقيم هناك أن نسير في المكان لنُلقي نظرة عليه. عثرت جدتي على الحروف التي حفرتها في زاوية الإسطبل الذي كانت تختبئ فيه تحت أكوام القش كلما اقترب النازيون من المكان. وقفت جدتي في

منتصف الحظيرة، تتلفت حولها، وإحدى يديها على وجهها. بدت شديدة الضآلة في ذلك المكان.

سألتها:

- ماذا بكِ يا جدتي؟

قالت مبتسمة:

- أنا؟ آه، بخير.

أمالت رأسها:

- لقد عِشتُ. أتذكَّر أنني كنت أُفكِّر، حينما كنتُ أعيش هنا، أن رائحة روث الحصان لن تغادر أنفي أبدًا. لكنني عِشتُ، ووُلِد جول لأنني عِشتُ، وأنتَ وُلدتَ. فماذا تكون رائحة روث الحصان أمام كل ذلك؟ بالعطر والزمن يسهل احتمال أي شيء. الآن هناك مكان آخر أريد أن أزوره...

مضينا بالسيارة قرابة عشر دقائق نحو مقابر صغيرة على أطراف القرية، واصطحبتنا جدتي إلى شاهد قبر على طرف المقبرة.

كانت لوحة رخامية بيضاء صغيرة على شكل قلب مُثبَّتة على الشاهد، وقد كُتب عليها بالفرنسية:

هنا يرقد

فيفيان بومييه

المولودة في 27 أبريل 1905

المتوفاة في 21 نوفمبر 1985

جان بول بوميه
المولود في 15 مايو 1901
المتوفى في 5 يوليو 1985

والدا
جوليان أوجوست بوميه
المولود في 10 أكتوبر 1930
المقتول في يونيو 1944

عساه يمشي دائمًا مرفوع الرأس
في جنات الرب

نظرتُ إلى جدتي وهي واقفة تنظر إلى الشاهد. كانت تُقبِّل أصابعها ثم تمسه بها، وكانت ترتجف.

قالت والدموع تنهمر على خديها:

- عاملاني كأنني ابنتهما!

وبدأ نشيجها، فأمسكتُ يدها وقبَّلتها.

أمسكت أمي يد أبي، وسألته هامسةً:

- ما المكتوب على الشاهد؟

تنحنح أبي وبدأ يترجم:

- هنا ترقد فيفيان بوميه وجان بول بوميه، والدا جوليان أوجوست بوميه، المولود في 10 أكتوبر 1930، والمقتول في أكتوبر 1944.

عساه يمشي دائمًا مرفوع الرأس في جنات الرب.

نيويورك

عُدنا إلى نيويورك قبل أسبوع من الموعد المحدَّد لبداية الدراسة في مدرستي الجديدة. بدا لطيفًا أن أجد نفسي من جديد في غرفتي. أغراضي كانت على حالها. لكنني شعرت بـ.. لا أعرف، بشيء من الاختلاف. لا أعرف كيف أُفسر هذا. شعرت أنني بالفعل أبدأ من جديد.

قالت أمي وهي تُسرع إلى الحمَّام بمجرد أن دخلنا إلى البيت:

- سأُساعدكَ في إفراغ حقيبتك بعد دقيقة.

قلت:

- لا داعي.

وكنت أسمع أبي في غرفة المعيشة وهو يستمع إلى الرسائل الواردة على المجيب الآلي.

بدأت أُفرغ حقيبتي، ثم سمعتُ صوتًا مألوفًا على المجيب الآلي. أوقفت ما كنتُ أفعله، وسرتُ إلى غرفة المعيشة. رفع أبي عينيه وأوقف الجهاز، ثم أعاد تشغيل الرسالة لكي أسمعها.

كان أوغي بولمان!

قال في الرسالة:

- أوه، مرحبًا جوليان. نعم، إذن... إمممم... أردتُ فقط أن أُخبرك أنني تلقَّيتُ رسالتك. وإمممم... نعم، شكرًا لك على إرسالها. لا داعي لأن ترد على مكالمتي هذه. أردتُ فقط أن أُلقي السلام. نحن بخير. أوه، بالمناسبة، لستُ أنا الذي أخبر السيد توشمان

بأمر الرسائل، هذا للعلم فقط. وليس جاك أو سمر. أنا بالفعل لا أعرف كيف اكتشف أمرها، لكن الأمر ليس مُهمًّا أصلًا. إذن، حسنًا، على أي حال. أرجو أن تُحب مدرستك الجديدة. حظًّا طيبًا. إلى اللقاء.

تك.

نظر أبي ليرى رد فعلي.

قلت:

- واو! لم أكن أتوقَّع هذا على الإطلاق!

سألني أبي:

- هل سترد على مكالمته؟

هززتُ رأسي قائلًا:

- لا، أنا أجبنُ من ذلك.

سار أبي إليَّ، ووضع يده على كتفي قائلًا:

- أعتقد أنك أثبت تمامًا أنك أبعد ما تكون عن الجُبن! أنا فخور بك يا جوليان!

وانحنى يعانقني قائلًا بالفرنسية:

- سر دائمًا مرفوع الرأس.

ابتسمت قائلًا:

- أرجو هذا يا أبي.

أرجو هذا.

النهاية

بلوتو

قصة من أعجوبة

«ملاحظاتنا الآنية تُغيِّر فهمنا للنظم الكوكبية، ومن المهم أن تعكس تسميتنا للأشياء فهمنا الراهن لها. وهذا ينطبق بصفة خاصة على تسمية «الكواكب»؛ فكلمة «كوكب» كانت تصف في الأصل «الأجرام السيَّارة» التي لم تكن معروفة إلا بوصفها أنوارًا في السماء، وتقودنا الاكتشافات الحديثة إلى خلق تعريف جديد يُمكننا إطلاقه باستعمال المعلومات العلمية المتاحة حاليًّا».

الاتحاد الفلكي الدولي، مقتطف من البيان بي 5

***

«لا أعتقد أن أحدًا يُلام

نحن راحلون عن الأرض

فهل ستعود الأشياء يومًا إلى ما كانت عليه؟».

أوربا، «العد التنازلي الأخير»

***

«كم هي غامضة أرض الدموع».

أنطوان دو سانت إكزوبيري، «الأمير الصغير»

مقدمة

كان عمري يومين حينما قابلت أوغي بولمان للمرَّة الأولى. أنا شخصيًّا لا أتذكَّر ذلك الموقف بالطبع، لكن أمي حكته لي. كان والداي قد رجعا بي للتوّ من المستشفى إلى البيت للمرَّة الأولى، وكان والدا أوغي قد رجعا به للتوّ من المستشفى للمرَّة الأولى. لكن أوغي كان عمره ثلاثة أشهر بالفعل في ذلك الوقت، وكان عليه أن يلزم المستشفى لاحتياجه إلى بعض الجراحات لتساعده على التنفُّس والبلع. التنفُّس والبلع من الأمور التي لا يُفكِّر فيها أغلبنا على الإطلاق، لأننا نفعلها بصورة آلية، لكنهما لم يكونا آليين عند أوغي منذ ولادته.

اصطحبني والداي إلى بيت أوغي ليلتقي أحدنا بالآخر. كان جسم أوغي موصولًا بالعديد من المعدات الطِّبية في غرفة المعيشة في بيتهم.

حملتني أمي وجعلت وجهي ووجه أوغي متقابلين، وقالت:

- أوغست ماثيرو بولمان، ها هو كريستوفر آنغوس بليك، أقدم أصدقائك.

وهلل آباؤنا وتبادلوا نخب الحدث السعيد.

كانت أمي وأم أوغي قد أصبحتا صديقتين مُقرَّبتين قبل ميلادنا. التقتا في متجر بشارع أمسفورت بمجرد انتقال والديَّ للسكن في الحي. ولأن كلتيهما كانت تنتظر ولادة طفل عما قريب، وتعيش كلٌّ منهما في بيت يقابل بيت الأخرى، فقد قررت أمي وإيزابيل تكوين

مجموعة أُمهات. ومجموعة الأُمهات تتكوَّن حينما يُقرِّر عدد من الأُمهات أن يخرجن معًا ويُرتبن مواعيد اللعب مع أُمهات الأولاد الآخرين. كان في مجموعة الأُمهات تلك، في أول الأمر، ست أُمهات أو سبع. خرجن معًا بضع مرَّات قبل أن يُولد أيٌّ من الأطفال. لكن بعد أن وُلد أوغي، لم يبقَ من الأُمهات في المجموعة إلا اثنتان: أم زكاري وأم أليكس. لا أعرف ماذا حدث لبقية أُمهات المجموعة.

في السنتين الأوليين، كانت الأُمهات الأربع في المجموعة يخرجن معًا، ويصطحبننا نحن أبناءهن، كل يوم تقريبًا، فيتنزهن في الحديقة دافعات إيَّانا في العربات، أو يمشين في نزهات طويلة على ضفة النهر ونحن مُعلَّقون إلى صدورهن في الحمَّالات، أو يتناولن الغداء في هايتس لونج ونحن جالسون على مقاعد الأطفال.

كانت الأوقات التي لم يكن أوغي ووالدته يخرجان فيها مع مجموعة الأُمهات هي التي يرجع فيها أوغي إلى المستشفى. كان يحتاج إلى كثير من العمليات الجراحية، فهناك أشياء أخرى - كالتنفُّس والبلع - لا يحصل عليها بصورة آلية. فعلى سبيل المثال: لم يكن يستطيع الأكل، ولم يكن يستطيع الكلام، بل لم يكن يستطيع في حقيقة الأمر أن يُغلق فمه أساسًا. فكان على الأطباء أن يُجروا له بعض الجراحات لكي يتمكَّن من أداء تلك الأشياء. لكن حتى بعد الجراحات، لم يستطع أوغي فعليًا أن يأكل أو يتكلَّم أو يُغلق فمه طوال الوقت مثلي أنا وزاك وأليكس. وحتى بعد إجرائه تلك الجراحات، ظل أوغي شديد الاختلاف عنا.

لا أعتقد في الحقيقة أنني فهمت اختلاف أوغي عن الجميع إلى أن صرتُ في الرابعة. كنت في الشتاء أنا وأوغي ملفوفين في سُترتين

مقاومتين للماء، ويلتف حول عنقينا وشاحان، ونلعب في الملعب. وفي لحظة معينة تسلَّقنا السلم إلى مزلقة تعلو القفص الحديدي، وانتظرنا في الصف لكي ننزل على المزلقة. وحينما أوشك دورنا على الاقتراب، أُصيبت الفتاة التي تسبقنا بالذعر، وخشيت أن تنزل على المزلقة العالية، فاستدارت لتُفسح لنا الطريق. وفي تلك اللحظة رأت أوغي، فاتسعت عيناها، وتهدَّل فكها، وبدأت تصيح وتبكي في جنون. كانت في غاية الفزع، لدرجة أنها لم تستطع نزول السلم، واضطرت أمها إلى الصعود إلى أعلى السلم لتأخذها بنفسها. وفي تلك اللحظة بدأ أوغي يبكي، لأنه علم أن الفتاة تبكي بسببه. غطى وجهه بالوشاح لكي لا يراه أحد، ثم اضطرت أمه إلى الصعود إلى أعلى السلم لكي تأخذه هو الآخر. لا أتذكَّر جميع التفاصيل، لكنني أتذكَّر أن جلبة كبيرة حدثت، فتجمَّع حشد صغير حول المزلقة، وأخذ الناس يتهامسون. أتذكَّر مغادرتنا الملعب بسرعة جدًّا، وأتذكَّر رؤيتي للدموع في عينَي إيزابيل وهي تحمل أوغي في طريقها إلى البيت.

تلك كانت المرَّة الأولى التي أدركت فيها أن أوغي مختلف عن بقيتنا، لكنها لم تكن المرَّة الأخيرة. فكما التنفُّس والبلع، يأتي البكاء آليًّا هو الآخر لأغلب الأطفال.

7:08 صباحًا

لا أعرف لماذا كنت أُفكِّر في أوغي صباح اليوم. ثلاث سنوات مضت منذ انتقلنا إلى هنا، ولم أره منذ حفلة البولينج التي أقامها في أكتوبر. ربما أكون حلمت به. لا أعرف. لكنني كنت أُفكِّر فيه عندما جاءت أمي إلى غرفتي بعد أن أسكتُّ المنبِّه بدقائق قليلة.

قالت برقة:

- استيقظت يا حبيبي؟

وضعتُ الوسادة فوق رأسي بدلًا من الرد.

قالت في بهجة وهي تفتح ستائر نافذتي:

- حان وقت الاستيقاظ يا كريس.

وعلى الرغم من الوسادة التي تعلو رأسي، وإغماضي عينيَّ، فقد كنت أعرف أن غرفتي أصبحت غارقة في النور الساطع.

غمغمتُ:

- أغلقي الستائر.

تنهَّدت، ولم تُغلق الستائر، وقالت:

- يبدو أن المطر سينهمر طوال النهار، هيَّا هيَّا، لا نريد أن تتأخَّر اليوم مرَّة أخرى. ولا بد أن تستحم هذا الصباح.
- لقد استحممتُ منذ يومين فقط.
- بالضبط.

زفرتُ في غيظ، فقالت وهي تربت على وسادتي:

- هيَّا يا ولدي الحبيب.

رفعتُ الوسادة عن وجهي وأنا أصيح:

- حاضر. صحوتُ. مسرورة؟

قالت وهي تهزُّ رأسها:

- أنت نكد في الصباح يا كريس! أين ذهب حبيب أمه الوديع الذي كان في الصف الرابع منذ سنة؟

قلت:

- ليزا!

قلتها وأنا أعلم كم تغتاظ حينما أناديها باسمها مجردًا. تصوَّرت أنها ستخرج من غرفتي، لكنها بدأت في تناول بعض الثياب من الأرض ووضعتها في سلة ثيابي.

سألتها ولم تزل عيناي مغمضتين:

- بالمناسبة، هل حدث شيء ما بالأمس؟ سمعتكِ ليلة أمس تُكلِّمين إيزابيل عبر الهاتف أثناء ذهابي للنوم. أحسستُ أن هناك مشكلة...

جلست ماما على طرف السرير، ودعكتُ عينيَّ لأصحو تمامًا، ثم قلت:

- ماذا هناك؟ هل الأمر سيِّئ إلى هذه الدرجة؟ أظن أنني حلمت بأوغي ليلة أمس.

قالت وقد تغضَّن وجهها قليلًا:

- لا. أوغي بخير.

وأزاحت شعرات عن عينيها:

- كنتُ أُفكِّر أن أنتظر قليلًا قبل...

قاطعتها:

- ماذا؟

- يؤسفني أن دايزي ماتت ليلة أمس يا حبيبي!
- ماذا؟!
- آسفة يا حبيبي!

غطيت وجهي بيديَّ:

- دايزي!
- آسفة يا حبيبي، أعرف كم كنت تحب دايزي!

دارث دايزي

أتذكَّر اليوم الذي رجع فيه والد أوغي بدايزي إلى البيت للمرَّة الأولى. كنتُ أنا وأوغي نلعب **ترابل** في غرفته حين سمعنا فجأة صياحًا عاليًا آتيًا من الباب الأمامي. كانت فيا، أخت أوغي الكبيرة. سمعنا أيضًا صوت إيزابيل وصوت جليستي لوردس، وهما تتكلَّمان في ابتهاج. فجرينا نازلين لنرى سرَّ هذه الجلبة.

كان نيت، والد أوغي، جالسًا على أحد كراسي المطبخ، وعلى حِجره كلبة صفراء مجنونة تتلوى، وابنته فيا منحنية أمام الكلبة، تحاول أن تلاعبها، وتحاول الكلبة في اهتياج أن تلعق يدها، فتُبعدها عنها فيا كل مرَّة.

صاح أوغي في ابتهاج وهو يجري نحو أبيه:

- كلب!

جريت مثله، لكن لوردس أمسكتني من ذراعي قائلةً:

- أوه، لا يا بابي.

كانت في تلك الأيام قد بدأت العمل للتوِّ جليسة للأطفال، فلم أكن أعرفها جيدًا. أتذكَّر أنها كانت تضع بودرة الأطفال في حذائي، وهو ما لم أزل أفعله إلى الآن لأنه يُذكِّرني بها.

كانت إيزابيل تضع يديها على خديها. بدا واضحًا أن نيت قد دخل إلى البيت للتوِّ. وكانت إيزابيل تقول وتُكرِّر وهي واقفة في الجهة الأخرى من المطبخ بجوار لوردس:

- لا أُصدِّق أنك فعلت هذا يا نيت!

سألتُ لوردس:

- لماذا لا أستطيع أن أُلاعبها؟

قالت بسرعة:

- لأن نيت يقول إن هذه الكلبة كانت تعيش في الشارع قبل ثلاث ساعات فقط بصحبة أحد المتشرِّدين، وهذا شيء مُقزِّز.

قالت فيا وهي تُقبِّل الكلبة على جبينها:

- هي ليست مقززة، بل جميلة.

قالت لوردس:

- في بلدي تبقى الكلاب خارج البيوت.

قال أوغي:

- إنه كلب لطيف جدًّا.

قالت فيا بسرعة وهي تلكز أوغي برفق:

- إنها كلبة.

قالت إيزابيل:

- احترس يا أوغي، لا تدعها تلعق وجهك.

لكن الكلبة كانت بالفعل تلعق أوغي في كل جزء من وجهه.

قال نيت لإيزابيل ولوردس:

- يقول الطبيب البيطري إن صحتها ممتازة يا جماعة.

قالت إيزابيل بسرعة:

- لقد كانت تعيش في الشارع يا نيت! مَن يدري ما فيها؟

قال نيت:

- أعطاها الطبيب البيطري جميع التطعيمات، وحمَّمها للتخلُّص من الحشرات والديدان، فهي جرو لديه شهادة طبِّية ممتازة!

نبهت إيزابيل:

- هذه **ليست** جروًا يا نيت!

وكان ذلك صحيحًا، لم تكن الكلبة بالقطع جروًا. لم تكن صغيرة السن، أو ناعمة وممتلئة الجسم، شأن الكلاب الصغيرة في العادة. كانت نحيلة، وبارزة العظام، وبرية العينين، وكان لها ذلك اللسان الأسود الطويل المجنون البارز من جانب فمها، ولم تكن كلبة صغيرة الحجم أيضًا، بل كانت في مثل حجم كلب جدتي اللابرادودل.

قال نيت:

- حسنًا، لكنها تُشبه الجرو.

سأل أوغي:

- من أيٍّ نوع من الكلاب هي؟

قال نيت:

- يظن الطبيب البيطري أنها مُهجَّنة. ربما تكون تشاو صيني؟

قالت إيزابيل:

- إنها تُشبه البيتبول الأمريكي. هل أخبرك على الأقل كم عُمرها؟

هزَّ نيت كتفيه قائلًا:

- لم يستطع أن يُحدِّد بدقة. سنتان، ثلاث؟ في العادة يُقدِّرون العمر من الأسنان، لكن أسنانها في حالة سيئة لأنها كما تعرفين ربما ظلَّت طوال حياتها لا تأكل إلا الوجبات السريعة.

قالت لوردس بما يُشبه اليقين:

- قمامة وجرذان ميتة.

غمغمت إيزابيل وهي تفرك وجهها:

- يا إلهي!

قالت فيا وهي تحرك يدها أمام أنفها:

- رائحة أنفاسها سيئة جدًّا!

قال نيت وهو يرفع عينيه إلى إيزابيل:

- إيزابيل، هي من نصيبنا.

قالت فيا في ابتهاج وقد اتسعت عيناها:

- لحظة، هل تقصد أننا **سنحتفظ** بها؟ كنت أظن أننا سنرعاها إلى أن نعثر لها على بيت.

قال نيت:

- أعتقد أن هذا يجب أن يكون بيتها.

صاح أوغي:

- حقيقي يا بابا؟

ابتسم نيت، وقال وهو يومئ إلى إيزابيل:

- لكن القرار قرار ماما يا أولاد.

صاحت إيزابيل، بينما يجري عليها أوغي وفيا متوسلَين إليها وقد شبك كلٌّ منهما يديه كأنما يُصلي في كنيسة:

- هل تمزح يا نيت؟

ظلَّا يُكرِّران:

- من فضلِك، من فضلِك، من فضلِك، من فضلِك، من فضلِك، من فضلِك!

ويُكرِّران:

- من فضلِك، رائعة، من فضلِك، من فضلِك، من فضلِك!

قالت إيزابيل وهي تهزُّ رأسها:

- لا أُصدِّق أنك تفعل هذا بي! كأن حياتنا ليست معقدة بما يكفي؟!

ابتسم نيت ونظر إلى الكلبة في حِجره فرآها تنظر إليه.

- انظري إليها يا حبيبتي. كانت جائعة وتشعر بالبرد، والمتشرِّد عرض عليَّ أن أشتريها بعشرة دولارات. ماذا كان يجب أن أفعل؟ أقول له لا؟

قالت لوردس:

- نعم. بمنتهى السهولة.

قال نيت:

- من حُسن الأخلاق أن تُنقذي حياة كلب.

قالت لوردس وهي تشير إلى إيزابيل:

- لا تقبلي يا إيزابيل! الكلاب قذرة، ولها روائح، وفيها جراثيم. وأنتِ تعرفين من الذي في نهاية المطاف سيخرج لتمشيتها دائمًا، ويُنظِّف روثها.

قالت فيا:

- هذا غير صحيح يا ماما. أعدُ بتمشيتها كل يوم.

قال أوغي:

- وأنا أيضًا يا ماما.

واصلت فيا:

- سنرعاها في كل شيء. سنُطعمها. سنفعل كل شيء.

أضاف أوغي:

- كل شيء. أرجوكِ، أرجوكِ، أرجوكِ يا ماما!

وفي الوقت نفسه قالت فيا:

- أرجوكِ، أرجوكِ، أرجوكِ يا ماما!

كانت إيزابيل تفرك جبهتها بأصابعها كمن تعاني من الصداع، وأخيرًا نظرت إلى نيت وهزَّت كتفيها قائلة:

- في رأيي أن هذا جنون، لكن... حسنًا. ليكن.

صاحت فيا وهي تُعانق أمها بقوة:

- فعلًا؟ شكرًا يا ماما، شكرًا جدًّا جدًّا. أعدكِ أن نرعاها كلنا.

كرَّر أوغي وهو يُعانق أمه أيضًا:

- شكرًا يا ماما.

وقال نيت وهو يصفق بساقي الكلبة الأماميتين:

- هييه، شكرًا يا إيزابيل.

قلت للوردس وأنا أفلت من يدها وأنسل بين أوغي وفيا قبل أن توقفني من جديد:

- هل يمكن أن أُلاعبها الآن؟

أنزل نيت الكلبة إلى السجادة فانقلبت على ظهرها لتتيح لنا جميعًا أن نداعب بطنها. أغمضت الكلبة عينيها كأنها تبتسم وقد تدلَّى لسانها الأسود الطويل من جانب فمها على السجادة.

أشار نيت إليها:

- هكذا كانت بالضبط حينما عثرت عليها اليوم.

قالت إيزابيل وهي تجلس بجوارنا على الأرض:

- لم أرَ لسانًا طويلًا كهذا في حياتي!

ولم تكن قد ربتت عليها بعدُ.

قالت:

- إنها تُشبه الذئب التسماني.

قالت فيا:

- هي في رأيي جميلة. ما اسمها؟

قال نيت:

- ما الاسم الذي تحبون أن تُطلقوه عليها؟

قالت فيا بلا أدنى تردد:

- أعتقد أننا يجب أن نُسميها «دايزي»؛ فهي صفراء مثل دايزي، أي الأقحوانة.

قالت إيزابيل وقد بدأت تربت على الكلبة:

- هذا اسم لطيف، لكنها أيضًا تُشبه الأسد، ويمكن أن نسميها «إلزا».

قلت وأنا ألكز أوغي:

- أظن أنني أعرف الاسم الذي يجب أن تُسموها به. يجب أن تُسموها «دارث مول».

قالت فيا في تقزُّز:

- هذا أغبى اسم في الدنيا يمكن أن تُسمَّى به كلبة!

تجاهلتها.

- هل تفهمني يا أوغي؟ هل تفهمني؟ لأن الكلاب تضرب...

ضحك أوغي وقال:

- هذا ظريف. دارث مول.

قالت فيا في غضب مُوجِّهة كلامها لكلينا:

- لن نُسميها بهذا الاسم!

قال أوغي للكلبة وهو يُقبِّلها في أنفها الوردي:

- هاي دارث مول. يمكن أن نناديها اختصارًا بـ«دارث».

نظرت فيا إلى نيت:

- بابا، لن نُسميها بذلك!

قال نيت وهو يهزُّ كتفيه:

- أعتقد أنه اسم ظريف.

صاحت فيا غاضبة وملتفتة إلى إيزابيل:

- ماما!

قالت إيزابيل:

- أتفق مع فيا. أظن أننا يجب ألَّا نستعمل كلمة «مول» مع كلبة... خصوصًا لو أن شكلها كهذه.

أصر أوغي:

- إذن نُسمِّيها «دارث» فقط.

قالت فيا:

- هذه حماقة!

قال نيت:

- أعتقد بما أن ماما سمحت لنا بالإبقاء على الكلبة، فيجب أن تُقرِّر هي ماذا يكون اسمها.

قالت فيا:

- يمكن أن نُسمِّيها «دايزي» يا ماما؟

قال أوغي:

- يمكن أن نُسمِّيها «دارث مول»؟

نظرت إيزابيل إلى نيت قائلة:

- أنت تقتلني فعلًا يا نيت!

ضحك نيت.

وهكذا انتهت بهم الحال إلى تسميتها «دارث دايزي».

7:11 صباحًا

سألتُ أمي:

- كيف ماتت؟ هل صدمتها سيارة؟

ربتت على ذراعي قائلةً:

- لا. كبرت يا حبيبي، وحان وقتها!
- لم تكن كبيرة إلى هذا الحد!
- كانت مريضة.

سألتُ في غضب:

- هم إذن الذين حقنوها كي تنام؟ كيف استطاعوا أن يفعلوا ذلك؟

قالت:

- كانت تتألم يا حبيبي، وقد حاولوا ألَّا يجعلوها تُعاني. قالت إيزابيل إنها ماتت في سلام بين ذراعي نيت.

حاولتُ أن أتصوَّر كيف بدا ذلك، وكيف ماتت دايزي بين ذراعي نيت. وتساءلت لو أن أوغي كان حاضرًا هو الآخر.

قالت أمي:

- وكأن هذه الأسرة ليس لديها ما يكفيها أصلًا!

لم أقل شيئًا، رمشتُ فقط، ورفعتُ عينيَّ أنظر إلى النجوم المتألِّقة المثبَّتة في سماء مُعتمة على السقف، كان بعضها يفلت من اللصق، فيبقى مُعلَّقًا من طرف فيه أو طرفين، وقليل منها سقط عليَّ سقوط قطرات مطر صغيرة مدببة.

قلت بلا تفكير:

- بالمناسبة، أنتِ لم تُعيدي لصق النجوم إطلاقًا!

لم تدرِ عن أي شيء أتكلم.

- ماذا؟

قلتُ مشيرًا إلى السقف:

- قلتِ إنكِ ستلصقينها في مكانها. إنها لا تكف عن الوقوع فوقي!

رفعت عينيها، ثم أومأت قائلةً:

- أوه، معك حق.

أعتقد أنها لم تكن تتوقَّع أن ينتهي حوار دايزي بهذه السرعة، لكنني لم أكن أرغب في مواصلة الحديث عنها.

نهضتْ عن سريري، وتناولتْ أحد السيوف الضوئية من أعلى مكتبتي، وحاولتْ أن تدفع إحدى النجوم لتلتصق في مكانها بطرف السيف.

قلت لها، بينما تقع النجمة البلاستيكية:

- لا بد من تثبيتها بلاصق يا ليزا.

قالت، وهي تتناول النجمة الواقعة من شعرها:

- نعم. من فضلِك، هل يمكن ألَّا تناديني باسمي؟

قلت:

- حاضر يا ليزا.

قلبت عينيها، وأشارت إليَّ بالسيف الضوئي كمن تتأهب لطعني.

قلت ساخرًا:

- شكرًا لإيقاظي على هذا الخبر السيِّئ.

قالت وهي تُعيد السيف الضوئي مكانه:

- لحظة، أنت الذي سألتني عما بي. كنت أنوي أن أنتظر حتى العصر وأُخبرك.

قلت:

- لماذا؟! لستُ طفلًا يا ليزا! أعني أنني أُحب دايزي بالطبع، لكنها لم تكن كلبتي، ولم أكن أراها أصلًا.

قالت:

- تصوَّرتُ أنك ستحزن حزنًا شديدًا!

قلت:

- أنا حزين بالفعل، لكنني لن أبكي مثلًا أو أفعل شيئًا من هذا القبيل، هذا كل ما في الأمر.

قالت وهي مُطرقة تنظر إليَّ:

- حسنًا.

قلت في نفاد صبر:

- ماذا؟!

قالت:

- أبدًا. أنتَ معكَ حق، أنتَ لستَ طفلًا.

ونظرت إلى النجمة البلاستيكية التي كانت لم تزل عالقة في إبهامها، ومن دون أن تقول شيئًا، انحنت ولصقتها على جبهتي.

- بالمناسبة، عليكَ أن تتصل بأوغي عصر اليوم.

سألتُ:

- لماذا؟

رفعت حاجبيها:

- لماذا! لتقول له إنك حزين على وفاة دايزي، لتُعزيه، فهو أقرب أصدقائك.

غمغمتُ مُطرقًا:

- أوه، نعم.

كررتْ:

- أوه، نعم.

قلت:

- انتهى الأمر يا ليزا، فهمت.

قالت وهي في طريقها للخروج:

- عنيد، عنيد، عنيد! أمامك ثلاث دقائق يا كريس، بعدها عليك أن تنهض. سأفتح لك الماء للاستحمام.

قلت لها:

- أغلقي الباب وراءكِ.

صاحت وهي في الطُّرقة:

- كفى!

صحتُ متذمرًا:

- أغلقي الباب وراءكِ من فضلِك!

فأغلقت الباب بعنف.

أحيانًا تكون مزعجة بالفعل.

نزعتُ النجمة عن جبهتي ونظرت إليها. كانت أمي قد وضعت تلك النجوم على السقف فور انتقالنا للسكن هنا. كان ذلك في الوقت الذي كانت تفعل فيه كل ما في وسعها لتُحبِّب إليَّ بيتنا الجديد في بريدجبورت،

حتى إنها وعدتني أن نقتني كلبًا بمجرد أن نستقر. ولم نقتنِ الكلب قَطُّ. اقتنينا همستر. وهذا ليس كلبًا في رأيي، أو حتى رُبع كلب. إن هو في الحقيقة إلا ثمرة بطاطس ذات فراء. أقصد أنه يتحرك، وأنه لطيف وكل شيء، لكن لا تجعلوا أحدًا يستغفلكم ويقول إنه مثل الكلب. سمَّيته **«ليوك»**، لكنه لم يكن كدايزي قَطُّ.

مسكينة دايزي! صعب عليَّ أن أُصدِّق أنها رحلت! لكنني لم أرغب في أن أُفكِّر فيها في ذلك الوقت.

بدأت أُفكِّر في كل ما عليَّ فعله بعد الظهر: تدريب الفرقة الموسيقية بعد المدرسة مباشرة، والمذاكرة للاستعداد لامتحان الرياضيات في الغد، والبدء في تقرير الكتاب استعدادًا ليوم الجمعة، ولعب **هالو** بعض الوقت، وربما اللحاق ببرنامج **السباق المذهل** الليلة.

رميتُ النجمة البلاستيكية في الهواء، وشاهدتها وهي تدور عبر الغرفة، إلى أن انتهت على طرف السجادة بجوار الباب.

مهام كثيرة ليوم واحد. سيكون يومًا طويلًا.

لكن حتى وأنا أُراجع جميع مهام اليوم، كنت أعلم أن الاتصال بأوغي لن يكون من بينها.

صداقة

لا أعرف بالضبط متى توقَّف زاك وأليكس عن الخروج معي أنا وأوغي. أظن أن ذلك حدث تقريبًا في الوقت الذي دخلنا فيه الحضانة.

قبل ذلك، كنا نرى بعضنا كل يوم تقريبًا. كانت أُمهاتنا يصطحبننا في العادة إلى بيت أوغي، لأنه في أوقات كثيرة لم يكن يستطيع الخروج بسبب مرضه. ليس مرضًا مُعديًا أو أي شيء، لكنه المرض الذي يمنعه من الخروج. وكنا نحب الذهاب إلى بيته، فقد حوَّل والداه قبوهما إلى غرفة لعب عملاقة، كانت في الحقيقة أشبه بمتجر ألعاب. ألعاب لوحية، وقطارات، وهوكي هوائي، وطاولات كرة قدم، بل كان لديهم كذلك منط صغير في المؤخرة. وكنت أنا وزاك وأليكس وأوغي نقضي ساعات هناك، فنُجري طوال اليوم مبارزات بالسيوف الضوئية، وسباقات في الجري بالكرة، ونتحارب بالبالونات، ونقيم من الطوب الورقي جبالًا ضخمة ونستمتع بانهيارها. وكانت أُمهاتنا يُطلقن علينا «**الفرسان الأربعة**»، حيث كنا نفعل كل شيء معًا. وحتى بعد رجوع جميع الأُمهات - باستثناء إيزابيل - إلى العمل، كانت جليساتنا يجمعننا كل يوم، ويصطحبننا إلى جولات نهارية في حديقة حيوانات برونكس، أو لنرى سفن القراصنة في ميناء الشارع الجنوبي، أو للنزهة في الحديقة، بل إننا قطعنا الطريق الطويل بضع مرَّات إلى كوني أيلاند.

لكننا لم نكد ندخل الحضانة، حتى بدأ زاك وأليكس يخرجان في مواعيد للَّعب مع أطفال آخرين، والتحقا بمدرسة غير التي التحقت

بها، حيث كانا يعيشان في الجانب الآخر من الحديقة، فلم نعد نراهما كثيرًا كما كان في السابق. كنت أنا وأوغي نصادفهما في الحديقة في بعض الأحيان، أقصد زاك وأليكس، وهما يلعبان مع أولاد آخرين، وحاولنا بضع مرَّات أن نلعب معهما، لكن لم يبدُ أن أصدقاءهم الجُدد كانوا يحبوننا. يعني، هذا ليس صحيحًا بالضبط. أصدقاؤهم الجُدد لم يحبوا أوغي، وكنت على يقين من ذلك، لأن زاك أخبرني به. أتذكَّر أني قلت هذا لأمي، فأوضحت لي أن بعض الأولاد قد يشعرون بـ«عدم الارتياح» تجاه أوغي بسبب شكله. هذا ما قالته. عدم ارتياح. لكن ليس ذلك ما قاله زاك وأليكس، فهما قد استعملا كلمة «الفزع».

كنت أعرف أن زاك وأليكس لم يشعرا بعدم الارتياح تجاه أوغي أو الفزع منه، لذلك لم أفهم **لماذا** توقفا عن الخروج معنا. أنا أيضًا كان قد أصبح لي أصدقاء جُدد من المدرسة، لكنني لم أتوقَّف عن الخروج مع أوغي. ولكنني أعود فأقول إنني أيضًا لم أخرج قَطُّ مع أوغي وأولئك الأصدقاء الجُدد، لأن خلط الأصدقاء في الحقيقة قد يكون أمرًا غريبًا، حتى في أفضل الظروف. أظن أنني لم أُرد لأحد أن يشعر بعدم الارتياح أو بالخوف.

بالمناسبة، كان لأوغي مجموعة أصدقاء هو الآخر، وكانوا ينتمون إلى منظمة للأولاد ذوي «التشوُّهات الوجهية»، وهذا ما كانت تُوصف به حالة أوغي. وفي كل سنة، كان أولئك الأولاد وأُسرهم يخرجون معًا إلى ديزني لاند أو أي مكان ظريف آخر. وكان يحلو لأوغي الذهاب في تلك الرحلات، فقد كان يُصادق أشخاصًا من جميع أرجاء البلد، ولم يكن أولئك الأصدقاء يعيشون على مقربة منا، فلم يكن يخرج معهم إلا قليلًا.

قابلت أحد أصدقائه أولئك ذات مرَّة. ولد اسمه هَدسُن. كانت لديه أعراض مختلفة عن أوغي، فالمسافة بين عينيه كبيرة جدًّا، وعيناه أقرب إلى الجحوظ بعض الشيء. وقد جاء هو ووالداه ليقيموا في بيت أوغي بضعة أيام يقابلون فيها أطباء من المدينة في المستشفى الذي يتردد عليه أوغي. كان هَدسُن في مثل سني أنا وأوغي، وأذكر أنه كان مُغرمًا بلعبة بوكيمون.

على أي حال، قضيتُ وقتًا لا بأس به ألعب مع هَدسُن وأوغي في ذلك اليوم، على الرغم من أنني لم أُحب بوكيمون قَطُّ. ثم حدث أن خرجنا جميعًا لتناول العشاء، وتلك هي اللحظة التي ساءت الأمور فيها بالنسبة إليَّ. لم أُصدِّق كل تلك الحملقات التي تعرَّضنا لها. في العادة، كنا كلما خرجنا يظل الناس يُحملقون في أوغي، ولا ينتبهون أصلًا إلى وجودي. كنت مُعتادًا على ذلك. لكن في وجود هَدسُن، لسبب ما، كان الأمر أسوأ كثيرًا. كان الناس ينظرون إلى أوغي أولًا، ثم إلى هَدسُن، ثم ينظرون تلقائيًّا نحوي أنا ويتساءلون أين مشكلتي أنا الآخر. رأيت مراهقًا يُحملق فيَّ، كمن يحاول أن يُخمِّن أين الخطأ في وجهي. بدا ذلك مزعجًا جدًّا، وقد جعلني أرغب في الصراخ، وأتلهَّف إلى الرجوع إلى البيت.

في اليوم التالي، كنت أعلم أن هَدسُن لم يزل هناك، فسألت لوردس إن كان يمكنها ترتيب موعد لعب لي في بيت زاك بعد المدرسة بدلًا من الذهاب إلى بيت أوغي. لا أقول إنني لم أحب هَدسُن، لأنني أحببته بالفعل، لكنني لم أُحب بوكيمون، ولم أكن أريد بالطبع أن أتعرَّض للحملقة لو خرجنا جميعًا إلى أي مكان.

انتهى الأمر بي إلى قضاء وقت رائع في بيت زاك، فقد جاء أليكس، ولعبنا نحن الثلاثة **فور سكوير** أمام شرفتهم. شعرت فعلًا أن أيام الماضي عادت، باستثناء أن أوغي لم يكن معنا. لكنه كان وقتًا لطيفًا، فلم يُحملق فينا أحد، ولم يشعر أحد بعدم الارتياح، أو الخوف. كان الخروج مع زاك وأليكس في غاية السهولة. وساعتها أدركت لماذا أصبحا لا يرغبان في الخروج معنا. كانت مصاحبة أوغي أمرًا صعبًا في بعض الأحيان.

من حُسن الحظ أن أوغي لم يسألني قَطُّ لماذا لم أذهب إلى بيته في ذلك اليوم، وقد أسعدني ذلك، حيث لم أدرِ كيف يمكن أن أقول له إن مصاحبته تكون صعبة في بعض الأحيان، حتى عليَّ.

مكتبة
t.me/t_pdf

8:26 صباحًا

لا أعرف السبب، لكن يكاد يكون مستحيلًا أن أذهب إلى المدرسة في الموعد المحدَّد. في الحقيقة، لا أعرف لماذا. يتكرر هذا كل يوم. أظل نائمًا بعد أن يرن المنبه، فتوقظني أمي أو أبي. وسواء استحممت أم لم أستحم، تناولت إفطارًا كبيرًا أم بعض البسكويت، فلا بد في النهاية أن نضطر إلى الإسراع قبل الخروج. يصيح بي أبي أو أمي لكي أُسرع بارتداء معطفي وربط حذائي. وحتى في اللحظات النادرة التي نصل فيها إلى الباب في الموعد، يتضح أنني نسيت شيئًا، فيكون علينا أن نرجع الطريق كله على أي حال. أحيانًا يكون ملف الواجب المنزلي، وأحيانًا يكون آلة الترومبون. لا أعرف لماذا، فعلًا لا أعرف. لكن هذا ما يحدث. سواء كنت نائمًا في بيت أمي أم في بيت أبي، فأنا أتأخر دائمًا.

استحممت اليوم بسرعة، وارتديت ثيابي بمنتهى السرعة، وابتلعت البسكويت، واستطعت أن أخرج من البيت في الموعد. وعندما انتهينا من الطريق الذي يستغرق خمس عشرة دقيقة بالسيارة وتوقَّفنا في ساحة انتظار المدرسة، أدركت أنني نسيت بحث العلوم، وبنطال الرياضة القصير، وآلة الترومبون. رقم قياسي جديد في نسيان الأشياء.

قلت هذا لأمي، فقالت وهي تنظر إليَّ في مرآة الرؤية الخلفية:

– أنت تمزح، أليس كذلك؟

قلت وأنا أعض على أظافري في توتر:

– لا، هل يمكن أن نعود؟

- كريس، أنت متأخر أصلًا! وفي هذا المطر سيستغرق الرجوع إلى البيت ثم الرجوع إلى المدرسة أربعين دقيقة. اذهب أنت إلى الفصل، وأنا سأكتب لك رسالة أو أي شيء.

قلت:

- لا يمكن أن أحضر من دون بحث العلوم، عندي حصة علوم قبل الفسحة الأولى.

قالت:

- كان يجب أن تُفكِّر في هذا قبل أن تغادر البيت في الصباح! الآن هيًا، اذهب وإلَّا تأخرتَ أكثر مما أنت متأخر. انظر، حتى حافلات المدرسة تخرج الآن.

وأشارت إلى حافلات المدرسة وقد بدأت تتحرك خارجة من ساحة الانتظار.

قلت في ذعر:

- ليزا!

ردت بسرعة:

- ماذا يا كريس؟ ماذا تريدني أن أفعل؟ لا يمكنني أن أطير!
- ألا تستطيعين الذهاب إلى البيت وإحضار هذه الأشياء لي؟

مررتْ أصابعها في شعرها وقد بلله المطر.

- كم مرَّة نبهتك إلى أن تُجهِّز حقيبتك قبل أن تنام لكي لا تنسى شيئًا، ها؟
- ليزا!

قالت:

- حاضر. اذهب فقط إلى الفصل، وسأُحضر لك أشياءك. اذهب الآن يا كريس.

- لكن لا بد أن تُسرعي.

استدارت وألقت عليَّ تلك النظرة التي تُلقيها عليَّ في بعض الأحيان، حين تتسع مقلتاها كثيرًا وتبدو أقرب إلى طائر من طيور آنغري الغاضبة.

- اذهب! انزل من السيارة، واذهب إلى المدرسة حالًا!
- حاضر.

خرجتُ من السيارة متثاقلًا، وكان المطر قد بدأ يشتد، ولم تكن معي مظلة بالطبع.

أنزلتْ زجاج النافذة وقالت:

- احترس، وامشِ على الرصيف.

قلت لها وأنا أَعد على أصابعي:

- الترومبون، بحث العلوم، بنطال الرياضة القصير.

قالت وهي تُومئ:

- احترس وأنت تسير! أنت في ساحة سيارات يا كريس!

قلت:

- ستخصم مني السيدة كاستور خمس درجات إذا لم أُقدِّم بحث العلوم قبل نهاية الحصة الأولى. لا بد أن ترجعي قبل نهاية الحصة الأولى.

قالت بسرعة:

- أعرف يا كريس. امشِ الآن على الرصيف يا حبيبي.

قلت وأنا أمشي بظهري في اتجاه الرصيف:

- الترومبون، بحث العلوم، بنطال الرياضة القصير.

صرختْ حين انحرفتْ دراجة لتتفاداني:

- احترس وأنت تمشي!

قلتُ لراكب الدراجة:

- آسف.

كانت دراجته مزوَّدة بمقعد طفل أمام السائق. هزَّ الرجل رأسه ومضى في طريقه.

صاحت أمي:

- كريس، عليك أنت تحترس وأنت تسير!

صحتُ:

- هل يمكن أن تَكُفِّي عن الصراخ؟

تنفَّست بعمق وفركت جبهتها، ثم قالت وهي تكز على أسنانها:

- امشِ.. على.. الرصيف.. من.. فضلك!

استدرتُ، ونظرتُ في اتجاهَي الطريق مبالغًا في الحذر، وعبرتُ الساحة إلى الطريق المفضي إلى مدخل المدرسة. في ذلك الوقت، كانت الحافلة المدرسية الأخيرة تغادر ساحة انتظار السيارات.

عندما وصلتُ إلى الرصيف قلتُ:

- مسرورة الآن؟

سمعتها تتنهَّد على مسافة عشرين قدمًا. قالت وهي تُدير السيارة وتنظر وراءها خارجة ببطء من الساحة:

- سأترك أشياءك في مكتب الاستقبال الرئيسي. إلى اللقاء يا حبيبي، أرجو لك يومًا...

- انتظري.

وجريت إلى السيارة وهي لا تزال تتحرك.

أوقفت السيارة فارتفع صوت المكابح:

- كريس!

- نسيتُ حقيبتي.

فتحتُ باب السيارة لآخذ الحقيبة التي تركتها على المقعد الخلفي، وكنت أرى أمي بطرف عيني وهي تهزُّ رأسها.

أغلقتُ الباب، ونظرتُ في اتجاهَي الطريق بحرص زائد مرَّة أخرى، وجريت عائدًا إلى الرصيف. وفي ذلك الوقت كان المطر قد اشتد وصار ينهمر بغزارة، فوضعت قلنسوة السترة على رأسي، وصحتُ من دون أن أُدير رأسي لها:

- الترومبون، بحث العلوم، بنطال الرياضة القصير.

وبدأت أهرول على الرصيف إلى المدرسة، وسمعت أمي تقول:

- أُحبك.

- إلى اللقاء يا ليزا.

وأخيرًا، استطعت الدخول قبل أن يرتفع صوت الجرس الأول.

9:14 صباحًا

ظللتُ أنظر في الساعة طوال حصة العلوم. وقبل عشر دقائق من الجرس، استأذنت للذهاب إلى الحمَّام. جريت إلى المكتب الرئيسي بأسرع ما استطعت، وسألت السيدة دينيس العجوز اللطيفة الجالسة في المكتب الرئيسي أن تعطيني الأشياء التي تركتها أمي.

قالت:

- آسفة يا كريستوفر، لم تُحضر والدتك أي شيء.

قلت:

- ماذا؟

سألتني وهي تنظر في ساعتها:

- هل كان يُفترض أن تأتي في موعد معين؟ أنا هنا منذ الصباح، وأثق أنها لم تأتِ.

لا بد أنها رأت التعبير الذي ارتسم على وجهي، فقد أشارت إليَّ أن أتجه إلى الجهة الأخرى من مكتبها حيث يوجد الهاتف.

- لمَ لا تتصل بها يا حبيبي؟

اتصلت بهاتف أمي، فلم أجد إجابة إلا من خدمة الرسائل الآلية.

- هاي ماما، هذا أنا، و، إمممم، أنتِ لم تحضري والساعة...

نظرت في ساعة الحائط الكبيرة:

- الساعة العاشرة إلا ثلث. سأضيع تمامًا لو لم تحضري خلال عشر دقائق. هيَّا إذن. شكرًا جزيلًا يا ليزا.

ووضعت السماعة.

قالت السيدة دينيس:

- أثق أنها ستكون هنا في أقرب وقت. المرور مزدحم كثيرًا على الطريق السريع بسبب أعمال البناء، والمطر يهطل بعنف في الخارج الآن...

- نعم.

وأطرقت، واتجهت إلى الفصل.

في البداية ظننت أنني سعيد الحظ؛ فالسيدة كاستور لم تذكر أي شيء عن البحث فيما بقي من الحصة. لكن، عندما رن الجرس، ذكَّرتنا أن نترك بحوث العلوم على مكتبها ونحن خارجون.

انتظرت حتى غادر الجميع وسرت إليها عند السبورة، وقلت:

- إمممم، سيدة كاستور؟

- نعم يا كريستوفر؟

- نعم، إمممم، آسف، لكنني تركت البحث في البيت هذا الصباح؟

واصلتْ مسح السبورة.

- ماما عادت لتأتيني به، لكنها علقت في المطر؟

لا أعرف السبب، لكنني عندما أتكلَّم مع المُعلِّمين وأكون متوترًا بعض الشيء، أجد صوتي يتغيَّر في نهاية كل جملة أنطقها، فتبدو جُملي وكأنها أسئلة.

قالت:

- هذه هي المرَّة الرابعة التي تنسى فيها أحد تكليفاتك في هذا الفصل الدراسي.

قلت:

- أعرف.

ثم رفعت كتفي وابتسمت قائلًا:

- لكن لم أكن أعرف أنكِ تعرفين، ههههه.

لم ترتسم على وجهها أي ابتسامة تجاه محاولتي للاستظراف.

بدأت أقول:

- أقصد فقط أنني لم أكن أعرف أنك تُسجِّلين...

قالت:

- البحث وإلا خصم خمس درجات يا كريس!

أعرف أنني بدوت لحوحًا في هذا الوقت:

- حتى لو أحضرته إليكِ بعد الفسحة؟

- القواعد قواعد.

غمغمتُ بصوت شديد الخفوت وأنا أهزُّ رأسي:

- منتهى الظلم!

رن الجرس الثاني، وجريت إلى حصتي الثانية قبل أن ترد عليَّ.

10:05 صباحًا

غضب مني السيد رين، مُعلم الموسيقى، لنسياني الترومبون بقدر ما غضبت مني السيدة كاستور بسبب بحث العلوم. لأنني كنت قد أخبرت السيد رين أن بوسع عازفة الترومبون الأولى كاتي مَكْآن أن تأخذ آلتي للتدرُّب على لحنها المنفرد لحفلة الربيع في ليلة الأربعاء، حيث كان ترومبون كاتي يجري إصلاحه، وكان الترومبون الإضافي الوحيد تالفًا تمامًا، فلم يكن بوسعك دفع جزئه المتحرك إلى ما بعد الوضع الرابع. ولم يكن السيد رين وحده هو الذي غضب مني بسبب ذلك، بل كاتي أيضًا، وكاتي من البنات اللاتي ليس من مصلحة أحد أن يغضبن منه. هي أطول بشبر من الجميع، وتُلقي نظرات احتقار حقيقية على من تغضب عليهم.

على أي حال، قلت لكاتي إن أمي في الطريق إلى المدرسة ومعها آلتي، فلم تُلقِ عليَّ نظرة الاحتقار على الفور. أعطاها السيد رين الترومبون المنبعج لتستعمله في أثناء الحصة، فلا تضطر إلى عدم المشاركة نهائيًا. وكان من عادة السيد رين، حينما ينسى أحد آلته، أن يجعله يجلس بهدوء على جانب ليشاهد تدريب الفرقة، ولا يسمح له بقراءة شيء، أو عمل واجب. كل ما عليه فقط هو أن يجلس ويستمع إلى تدريب الفرقة. وليست هذه أروع تجربة في الدنيا. وأنا بالطبع انفصلت عن التدريب اليوم، نظرًا لعدم وجود ترومبون إضافي آخر أعزف عليه.

جريت في الفسحة إلى المكتب الرئيسي لأُحضر الأشياء التي كان يجب في ذلك الوقت أن تكون أمي قد تركتها، ولكن تبيَّن أنها لم تحضر بعد.

قالت السيدة دينيس:

- أنا متأكدة أنها علقت في المرور.

هززت رأسي، وقلت في تجهُّم:

- لا، أعتقد أنني أعرف ما حدث.

خطر لي وأنا أُراقب تدريب الفريق: إيزابيل! اللعنة! هي بالطبع! دايزي ماتت للتوِّ، ولا بد أن شيئًا آخر قد حدث، شيئًا يتعلَّق بأوغي، واتصلت إيزابيل بأمي، وأمي كعادتها دائمًا تجاهلت كل شيء لتذهب لمساعدة أسرة بولمان!

في حدود ما أعلم، كان يُحتمل أنها في هذا الوقت في بيت عائلة بولمان! أُراهن أنها كانت في طريق عودتها إلى المدرسة، وعلى المقعد الخلفي من سيارتها آلة الترومبون وبحث العلوم وبنطال الرياضة القصير، فاتصلت بها إيزابيل، و، بوم، نسيتْ أمري تمامًا. اللعنة! لا بد أن هذا ما حدث، وليست هذه هي المرَّة الأولى أيضًا.

قالت السيدة دينيس برقة وهي تناولني الهاتف:

- هل تريد أن تتصل بها مرَّة أخرى؟

غمغمتُ:

- لا، شكرًا.

جاءت إليَّ كاتي عندما عُدت إلى حصة الموسيقى، وسألتني بحاجبين وصلا فعليًّا إلى منتصف جبهتها:

- أين الترومبون؟ قلتَ إن والدتكَ ستُحضره!

قلت مُعتذرًا:

- علقتْ في المرور! ستُحضره حين تأتي لتقلني في نهاية اليوم مع ذلك؟

أعتقد أن كاتي تصيبني بالتوتر مثل المعلمين تمامًا.

- هل يمكن أن تقابليني في الخامسة والنصف بعد المدرسة؟

قالت:

- وما الذي يجعلني أنتظر إلى الخامسة والنصف؟

وقرقعت بلسانها، ونظرت إليَّ نظرة كالتي ألقتها عليَّ حينما أفرغتُ بالخطأ لُعاب قناة الترومبون في فنجانها قبل أسابيع قليلة:

- أُف! شكرًا يا كريس. الآن سأُضيِّع تمامًا لحني المنفرد في حفلة الربيع، وكل هذا سيكون بسببك أنت!

قلت:

- ليس بسببي. كان يجب أن تُحضر ماما أغراضي.

غمغمتْ:

- يا لك من... أبله!

ورددت بمنتهى الذكاء:

- أنتِ البلهاء!

فجعلت يديها قبضتين صغيرتين ومضت عني وهي فاردة ذراعيها يمينًا ويسارًا.

- يا ذا الأذنين الناتئتين!

- اللعنة!

قلتها وأنا أُقلب عينيَّ.

فيما بقي من الحصة، ظلت تُلقي عليَّ من موقعها وسط الفرقة أقذر نظرات الاحتقار التي يمكن تخيُّلها. لو كانت النظرات تقتل، لكانت كاتي مَكْآن قاتلة متسلسلة.

كل ذلك كان يمكن تفاديه لو لم تتخلَّ عني أمي اليوم. كنت غاضبًا منها غضبًا شديدًا. ويا إلهي، كم ستكون آسفة. أكاد أراها من الآن، حين تأتي لتُقلني بعد المدرسة وتظل تقول: «أنا آسفة جدًّا يا حبيبي، كان لا بد أن أمرَّ بعائلة بولمان، فقد كانوا بحاجة إلى المساعدة، في كذا كذا كذا»، فأقول: «كذا كذا كذا!»، وتقول هي: «كفى يا حبيبي، أنت تعرف أنهم يحتاجون إلى مساعدتنا أحيانًا». «كذا! كذا! كذا!».

فضاء

عندما بلغ أوغي الخامسة، أهداه شخص خوذة رائد فضاء في عيد ميلاده. لا أتذكَّر من هو. لكن أوغي بدأ يلبس الخوذة طوال الوقت، وفي كل مكان، وفي كل يوم. أعلم أن الناس اعتقدوا أنه يلبسها لأنه يريد أن يغطي وجهه، وربما كان ذلك جزءًا من السبب. لكن السبب الأكبر في رأيي أن أوغي كان مُغرمًا فعلًا بالفضاء الخارجي: النجوم، والكواكب، والثقوب السوداء، وكل ما له علاقة بمهام أبولُّو. بدأ يقول للجميع إنه سيُصبح رائد فضاء حينما يكبر. في البداية لم أفهم سر هوسه هذا بالفضاء. إلى أن اصطحبتنا والدتانا في إجازة أسبوعية إلى القبة السماوية بمتحف التاريخ الطبيعي، فابتلعني الفضاء يومها أنا الآخر، وتلك كانت بداية ما أطلقنا عليه «مرحلتنا الفضائية».

مررتُ أنا وأوغي بكثير من المراحل بحلول ذلك الوقت: دُمى زوبي بلوشي، الروبوتات، الديناصورات، النينجا، باور رينجرز (وإن كنت أخجل وأنا أقول ذلك). لكن حتى ذلك الحين، لم يستولِ علينا شيء بقوة مرحلتنا الفضائية. شاهدنا كل الأسطوانات الخاصة بالكون التي أمكننا العثور عليها، والأفلام التلفزيونية عن الفضاء، واطلعنا على كتب مصورة عن درب التبانة، وصنع أنظمة شمسية ثلاثية الأبعاد، وبناء نماذج سفن فضائية. كنا نقضي الساعات ونحن نلعب ألعابًا خيالية عن مهام في أعماق الفضاء، أو عن الهبوط على بلوتو. صار بلوتو كوكبنا المفضَّل للسفر، وصار بالنسبة لنا مثل صحراء تاتوين في سلسلة حرب النجوم.

كنا لم نزل مُبحرين في أعماق مرحلتنا الفضائية حينما اقترب عيد ميلادي السادس، فقرر والداي أن يُقيما الحفل في القبة السماوية، وابتهجت لذلك أنا وأوغي بهجة شديدة. كان العرض الفضائي الجديد قد بدأ للتوِّ، ولم نكن شاهدناه بعدُ. دعوت جميع زملائي في الصف الأول، وزاك وأليكس بالطبع، ودعوت فيا كذلك، لكنها لم تتمكَّن من الحضور بسبب حفل عيد ميلاد آخر ذهبت إليه في اليوم نفسه.

وفي صباح يوم عيد ميلادي اتصلت إيزابيل بأمي، وقالت لها إنها هي ونيت لا بد أن يذهبا بأوغي إلى المستشفى. كان قد استيقظ محمومًا، وجفناه متورمان ومغمضان. وكان قد أجرى قبل أيام قليلة جراحة «بسيطة» لإصلاح جراحة سابقة لجعل جفنيه السفليين أقل تهدُّلًا، وتلوَّثت تلك الجراحة، فأصبح عليه أن يذهب إلى المستشفى بدلًا من الذهاب إلى حفل عيد ميلادي السادس.

شعرت بإحباط غير عادي! لكن الإحباط ازداد حينما أخبرتني أمي أن إيزابيل سألتها إن كان بوسعها توصيل فيا إلى حفل عيد الميلاد الآخر قبل ذهابها إلى حفلتي، وقالت أمي قبل أن تسألني أولًا: «نعم، بالطبع، سأفعل أي شيء لمساعدتكم»، حتى لو كان معنى ذلك أن تحضر عيد ميلادي متأخرة بعض الشيء!

سألتُ أمي:

- لكن لماذا لا يقوم نيت بتوصيل فيا إلى الحفل الآخر؟

قالت أمي:

- لأنه يذهب بأوغي إلى المستشفى مع إيزابيل. هذا ليس بالأمر الكبير يا كريس. سأصطحب فيا في سيارة أجرة، ثم أقفز أنا في قطار.

- لكن ألا يمكن أن يقوم شخص آخر بتوصيل فيا؟ لماذا يجب أن تكوني أنتِ؟
- ليس لدى إيزابيل وقت لتتصل بأُمهات أخريات يا كريس، وإذا لم نقم نحن بتوصيل فيا، فببساطة ستذهب معهم إلى المستشفى، والمسكينة فيا دائمًا تفوتها...

قاطعتها:

- ماما! أنا لا تهمني فيا! لا أريدكِ أن تتأخري على حفل عيد ميلادي!

قالت أمي:

- كريس! ماذا تريدني أن أقول؟ إنهم أصدقاؤنا، إيزابيل صديقتي العزيزة، كما أن أوغي صديقك العزيز. وعندما يحتاج إلينا الأصدقاء الأعزاء، نفعل ما في وسعنا لمساعدتهم، أليس كذلك؟ لا يمكن أن نكون أصدقاء فقط حينما تسمح الظروف! الصداقات الجيدة تستوجب القليل من الجهد الإضافي.

لم أقل أي شيء، فقبَّلت يدي، وقالت:

- أعدك ألَّا أغيب سوى دقائق قليلة.

لكنها لم تكن دقائق قليلة، بل انتهت إلى أكثر من ساعة.

- أنا آسفة جدًّا يا حبيبي... لقد تعطَّل القطار... ولا وجود لسيارات أجرة في أي مكان... آسفة جدًّا!

كنت أعلم أنها تشعر بأسف رهيب، لكنني كنت غاضبًا جدًّا، وأتذكَّر أن أبي نفسه كان يشعر بالضيق؛ فقد حضرت متأخرة جدًّا، لدرجة أنها فاتها العرض الفضائي.

3:50 عصرًا

تبيَّن أن ما بقي من اليوم ليس أقلٍ سوءًا من بدايته: كان عليَّ ألَّا أُشارك في حصة الرياضة لأنني لم أُحضر بنطال الرياضة القصير، ولم يكن لديَّ بنطال احتياطي في الخِزانة. وأخذ جميع الجالسين في الغداء إلى مائدة كاتي مَكْآن يُلقون عليَّ نظرات احتقار. ولا أتذكَّر أصلًا ما جرى في بقية الحصص. وكانت الرياضيات آخر حصص اليوم، وكنت أعرف أن لدينا امتحانًا في الرياضيات في الغد، ولم أكن ذاكرت استعدادًا له في الإجازة الأسبوعية مثلما كان مُفترضًا. وعندما بدأت السيدة ميدينا تستعرض مواد امتحان الغد أدركتُ أنني في أزمة عميقة. لم تكن لديَّ أدنى فكرة عما كنا نفعله. وأنا أعني ما أقول، بصدق. فقد بدا لي أن السيدة ميدينا تتكلم فجأة بلغة مختلفة يعرفها كل من في الفصل إلا أنا: **جادًا بادًا كوتينت. باتًّا بيببو ديفيزور.** وفي نهاية الحصة، اقترحتْ أن تُقابل الأولاد الراغبين في بعض المساعدة الإضافية في المذاكرة بعد المدرسة مباشرة. **إمممم، هذا أنا، شكرًا لكِ.** لكن كان لديَّ تدريب مع الفرقة الموسيقية، فلم أستطع الذهاب.

سارعت بالذهاب إلى قاعة العروض بعد انتهاء اليوم الدراسي مباشرة، حيث تلتقي **فرقة روك ما بعد المدرسة** ظهر كل يوم اثنين ويوم ثلاثاء، وقد انضممت إليها قبل شهور قليلة، في بداية فصل الربيع الدراسي، وكنت مُغرمًا بها جدًّا. كنت أتلقَّى دروسًا في العزف على الجيتار منذ الصيف السابق، وكان أبي - وهو عازف جيد حقًّا

للجيتار - يُعلِّمني كل مهارات العزف على الآلة وحِيلها. فلما جاءني سانتا بجيتار كهربائي في الكريسماس، رأيت أنني جاهز للانضمام إلى **فرقة روك ما بعد المدرسة**. كنت متوترًا بعض الشيء في البداية، وكنت أعرف أن الثلاثة الأعضاء بالفعل في الفرقة موسيقيون جيدون حقًّا، ثم اكتشفت أن معهم عازفًا من الصف الرابع اسمه «جون»، وأنه انضم مثلي إلى الفرقة في فصل الربيع الدراسي، فعلمت أنني لن أكون الولد الجديد الوحيد. كان جون أيضًا يعزف على الجيتار، ويرتدي نظارة مستديرة كنظارة جون لينون.

كان الثلاثة الآخرون في الفرقة هم: إينيو عازف الدرامز، الذي يُعدُّ عازف الدرامز المعجزة، وهاري عازف «الجيتار الرئيسي»، وإيليا عازف «الجيتار الأساس»، وهو أيضًا المغني الأول، ورئيس الفرقة بشكل ما. والثلاثة جميعًا في الصف السادس، وهم في **فرقة روك ما بعد المدرسة** منذ أن كانوا في الصف الرابع، ولذلك فهم مجموعة متقاربة جدًّا.

لا أقول إنهم ابتهجوا حينما انضممت أنا وجون إليهم في الفرقة، ولا أقول أيضًا إنهم لم يكونوا **لُطفاء**، لكنهم لم يكونوا لُطفاء كثيرًا، ولم يعاملونا باعتبارنا عضوين متساويين معهم في الفرقة. بدا واضحًا تمامًا أنهم لا يرون أننا نعزف بمثل جودة عزفهم، والحقيقة أننا لم نكن هكذا بالفعل، لكن يبقى أننا كنا نجتهد كثيرًا لكي نُصبح أفضل.

قال إيليا بعد أن اجتمعنا كلنا في أماكننا:

- والآن يا سيد بي، نحن نفكر أن نعزف **جيش الأمم السبع** في حفل الربيع ليلة الأربعاء.

كان السيد باولز هو المشرف على **فرقة روك ما بعد المدرسة**، وهو ذو شعر رمادي، يصففه دائمًا على شكل ذيل حصان، وكان في الثمانينيات عضوًا في فرقة روك شعبي لم يكن أبي نفسه قد سمع بها. كان السيد باولز في غاية اللطف، وقد حاول دائمًا أن يجعل العازفين الآخرين يحتوونني أنا وجون، مما جعلهم يزدادون ضيقًا بنا بالطبع، وجعلهم أيضًا يكرهون السيد باولز كراهية حقيقية، فكانوا يسخرون من الطريقة التي يتكلَّم بها وهو مغمض العينين أحيانًا، ويسخرون من ذيل الحصان، ومن ذوقه في الموسيقى.

قال السيد باولز وقد بدا أنه ابتهج باختيارهم للأغنية:

- **جيش الأمم السبع**؟ هذه أغنية عظيمة يا إيليا!

سأل جون:

- أهذه الأغنية أيضًا لفرقة **أوربا**؟

طرح جون ذلك السؤال لأننا اتفقنا جميعًا قبل أسابيع قليلة - وبعد كثير من الجدال - على عزف **العد التنازلي الأخير** لفرقة أوربا في حفل الربيع.

ضحك إيليا ضحكة خافتة، وبدا على وجهه الامتعاض، وقال من دون أن ينظر إلى جون أو إليَّ:

- أوه يا زميل! بل هي لفرقة **ذي وايت ستريبس**.

كان لإيليا شعر أشقر طويل يجيد الكلام من خلاله.

قال جون في جذل:

- لم أسمع بها قَطُّ.

وتمنيت لو أنه لم يقل ذلك. الحقيقة أنني أيضًا لم أسمع بها، لكنني لم أكن ساذجًا، فتظاهرت أنني أعرفها، على الأقل إلى أن أقوم

بتنزيل الأغنية في المساء. لم يكن جون بارعًا في الأمور الاجتماعية التي تجري داخل فرقة روك، وكان يُحدث كثيرًا من الحركات التي تستوجب التعامل معها. كان عليك أن تومئ وتجاري إذا أردت أن تتناغم مع المجموعة، ولم يكن جون أيضًا بارعًا في التناغم بأي طريقة.

ضحك إيليا واستدار ليضبط أوتار جيتاره.

نظر جون إليَّ من أعلى نظارته المستديرة وقد بدا على وجهه أنه يسأل: «من المجنون، أنا، أم هذان؟».

رددت على سؤاله الصامت بهزِّ كتفي.

كوَّنت أنا وجون مجموعة صغيرة داخل فرقة الروك، فكنا نخرج معًا في الاستراحات ونتبادل النِّكات، خصوصًا أن الثلاثة الآخرين يخرجون معًا، ولهم نِكاتهم. وكنت أذهب كل خميس بعد المدرسة إلى بيت جون ونتدرَّب معًا، أو نستمع إلى بعض أغنيات الروك الكلاسيكية لنبدو كأننا نعرف عن موسيقى الروك بقدر ما يعرف الآخرون، ثم نخرج باقتراحات بالأغنيات التي يمكن أن نؤديها. وحتى ذلك الحين، كنا قد اقترحنا **الغواصة الصفراء** و**عين على النمر**، ولكن إيليا وهاري وإينيو رفضوا كلتيهما.

لم يكن في ذلك بأس، لأنني كنت مُعجبًا جدًّا بـ«**العد التنازلي الأخير**» التي اقترحها السيد باولز. سنؤدي **العد التنازلي الأخير**.

قال السيد باولز:

- لا أعرف يا شباب. لست متأكدًا أن الوقت كافٍ من الآن وحتى الأربعاء للتدرُّب على أغنية جديدة تمامًا. ربما يجدر بنا البقاء على **العد التنازلي الأخير** في الوقت الراهن؟

وعزف السيد باولز النغمات الافتتاحية من تلك الأغنية على الكيبورد، فبدأ جون يحرك رأسه. ثم بدأ إيليا يعزف نغمة عظيمة على «جيتاره الأساس»، وتبيَّن أنها افتتاحية **جيش الأمم السبع**. وكأنما بينهم اتفاق، بدأ هاري وإينيو العزف أيضًا. بدا واضحًا تمامًا أنهم تدرَّبوا على الأغنية مرَّات كثيرة قبل اليوم، ويجب أن أقول إنها كانت مذهلة.

في موضع ما من المذهب الثاني أوقفهم السيد باولز عن مزاحمته بإشارة من يده، وقال مومئًا:

- حسنًا يا شباب، تبدون رائعين بالتأكيد. عزف لحن جيتار الأساس قاتل يا إيليا. ولا بد أن يجيد الجميع عزف الأغنية لحفل الربيع، أليس كذلك؟ وهذان الزميلان بحاجة إلى فرصة لتعلُّم الأغنية أيضًا.

وأشار إليَّ أنا وجون.

قال إيليا:

- المسألة ليست في الأوتار الأساسية فقط، هناك أيضًا السي (C) والجي (G)، والبي (B) والدِّي (D). أنتم تعرفون الدِّي (D)، أليس كذلك؟

ونظر إلينا كأننا كائنات فضائية.

- هل تستطيعان بالفعل أن تعزفا هذا؟

قلت بسرعة وأنا أُحرِّك الأوتار بأصابعي:

- أنا أستطيع.

قال جون:

- أنا أكره مقام البي.

قال إيليا:

- إنه في منتهى السهولة.

قال جون متذمرًا:

- لكن ماذا عن **العد التنازلي الأخير**؟ أنا أتدرَّب عليها منذ أسابيع!

وبدأ يعزف الجزء الافتتاحي الذي عزفه السيد بي للتوِّ، لكنه بأمانة لم يبدُ جيدًا للغاية.

قال السيد بي ضاربًا كفه بكف جون:

- كان عزفك رائعًا يا زميل.

لمحت إيليا يبتسم لهاري، فطأطأ الأخير رأسه كمن يكتم ضحكه.

قال السيد بي لإيليا:

- علينا يا شباب أن نكون مُنصفين.

قال إيليا:

- إليكم المسألة، نحن لا نستطيع أن نعزف إلا أغنية واحدة في حفل الربيع، ونحن نريدها أن تكون **جيش الأمم السبع**، والرأي رأي الأغلبية.

صاح جون:

- لكن، ليس هذا ما **اتفقنا** على عزفه! ليس عدلًا يا جماعة، فقد اتفقنا على عزف **العد التنازلي الأخير**، وأنا وكريس قضينا وقتًا طويلًا نتعلَّمها...

أعترف أن جون كان شجاعا جدًّا عندما تكلَّم بتلك الطريقة مع ولد في الصف السادس.

قال إيليا وهو يعبث في مقابض الجيتار:

- آسف يا زميل!

ولم يكن يبدو عليه الأسف.
قال السيد بي وقد أغمض عينيه كعادته:
- حسنًا، فلنتفق يا شباب.
رفع إينيو يده كما لو أننا في الفصل:
- سيد بي، الأمر أن هذه ستكون آخر حفلة ربيع لنا نحن الثلاثة قبل التخرُّج.
وأشار بعصا الدرامز إلى هاري وإيليا وإلى نفسه.
قال إيليا:
- نعم، سوف ننتقل إلى المدرسة المتوسطة في السنة المُقبلة.
أنهى إينيو كلامه:
- نريد أن نعزف أغنية نرتاح لها بالفعل. **العد التنازلي الأخير** لا تُمثِّلنا مُوسيقيًّا.
قال جون:
- لكن هذا ظلم! هذه **فرقة روك ما بعد المدرسة**، وليست فرقتكم أنتم! لا يُمكنكم أن تفعلوا هذا بكل بساطة!
قال إيليا وقد بدا كمن يريد أن يطوح بنظارة جون عن وجهه:
- يُمكنك يا زميل أن تعزف **ما** تشاء في السنة المُقبلة. يُمكنك أن تعزف **انفخوا التنين السحري**، ولن أهتم.
أضحك قوله زميليه.
فتح السيد باولز عينيه أخيرًا، ورفع يديه قائلًا:
- انتهينا يا شباب، كفى هذا. هذا ما سنفعله، فلنرَ كم تجيدان أنتما **جيش الأمم السبع** اليوم وغدًا.

وأشار إليَّ أنا وجون، ثم أكمل:

- سنتدرَّب عليها اليوم قليلًا، وسنؤكِّد أيضًا على **العد التنازلي الأخير**. وغدًا سنرى أي الأغنيتين تبدو أفضل. وأنا مَن سيتخذ القرار الأخير بشأن الأغنية التي سنعزفها. اتفقنا؟ راضون؟

أومأ جون بالإيجاب مسرعًا، أما إيليا فقد قلب عينيه.

قال السيد باولز:

- فلنبدأ بـ«**العد التنازلي الأخير**».

وصفق مرَّتين:

- من البداية، هيَّا يا شباب. العد التنازلي بدءًا من الأعلى. إينيو، استيقظ. هاري. إيليا، تحرك بنا يا رجل. عند الأربعة. واحد. اثنان. ثلاثة...

عزفنا الأغنية، وعلى الرغم من أن إيليا وزميليه الآخرين لم يكونوا متحمسين، فقد برعوا فيها تمامًا. والحقيقة أننا كنا رائعين معًا حسبما بدا لي.

عندما انتهت الأغنية قال جون:

- كان ذلك رائعًا!

ورفع يده عاليًا يريد أن يضرب على يدي، فرفعت له يدي في تردد.

قال إيليا وهو يهزُّ شعره بعيدًا عن وجهه:

- ليكن.

وقضينا ما بقي من الحصة نتدرَّب على **جيش الأمم السبع**، لكن جون ظل يُخطئ ويطلب منا أن نُعيد، ولم تبدُ جيدة مُطلقًا.

قالت والدة جون فور أن دخلت قاعة الفرقة:

- تبدون رائعين يا شباب.

وحاولت أن تصفق وهي ممسكة بمظلتها المبلولة.

نظر السيد بي في ساعته، وقال:

- واو! إنها الخامسة والنصف، ولديَّ عمل الليلة. علينا أن نلملم كل شيء. هيَّا بنا. كل شيء إلى غرفة الخِزانة.

بدأت في وضع جيتاري في العلبة.

قال السيد بي وهو يلملم مكبرات الصوت:

- أسرعوا يا رفاق.

سارعنا جميعًا بوضع آلاتنا في غرفة الخِزانة.

قال جون الذي كان أول من تجهَّز للمغادرة:

- أراك غدًا يا سيد بي. إلى اللقاء يا إيليا، إلى اللقاء يا إينيو، إلى اللقاء يا هاري.

ولوَّح لهم جميعًا:

- أراكم غدًا.

رأيت الثلاثة يتبادلون النظرات، لكنهم أومأوا مُودِّعين جون.

قال جون بصوت عالٍ وهو يقف بجوار الباب:

- إلى اللقاء يا كريس.

غمغمتُ قائلًا:

- إلى اللقاء.

كنت أحب ذلك الفتى، فعلًا، فهو بارع في المواجهات الثنائية. لكنه أيضًا قليل الحيلة أحيانًا. وقد بدا الأمر معه كأن تكون صديقًا لسبونج بوب.

بعد أن غادر جون ووالدته، ذهب إيليا إلى السيد باولز الذي كان يطوي أسلاك مكبرات الصوت، وقال بأدب جم:

- سيد بي، هل يمكن من فضلك أن نعزف **جيش الأمم السبع** ليلة الأربعاء؟

في تلك اللحظة جاءت والدة إينيو لتصطحب الثلاثة.

قال السيد باولز وهو شارد الذهن:

- غدًا سنرى يا زميل.

وألقى بقية الأدوات في غرفة الخِزانة.

قال إيليا:

- وستختار **العد التنازلي الأخير!**

وخرج من القاعة.

قلت لهاري وإينيو وهما يتبعان إيليا إلى الخارج:

- إلى اللقاء يا رفاق.

قال الاثنان:

- إلى اللقاء يا زميل.

أدار السيد بي المفتاح في غرفة الخِزانة، ثم نظر إليَّ، وبدا كمن فوجئ أنني لم أزل موجودًا.

- أين والدتك؟!
- أظن أنها ستتأخر قليلًا!
- أليس معك هاتف؟

أومأتُ، وأخرجت الهاتف من حقيبتي وفتحته، فلم أجد أي رسائل من أمي أو مكالمات لم يُرد عليها.

قال بعد دقائق قليلة:

- حسنًا، اتصل بها. لا بد أن أخرج الآن يا زميل.

5:48 مساءً

كنت على وشك الاتصال بأمي، حينما نقر أبي باب غرفة الفرقة. اندهشت تمامًا، لأنه لم يحضر لاصطحابي من المدرسة قبل ذلك في أي يوم اثنين.

قلت:

- بابا!

ابتسم وهو يدخل، ثم قال وهو ينفض مظلته:

- آسف على التأخُّر!

قلت له:

- هذا هو السيد باولز.

قال السيد بي بسرعة:

- سعدتُ بمقابلتك.

لكنه كان قد بدأ بالفعل عبور باب القاعة قائلًا:

- آسف، لا يمكنني البقاء للحديث. ابنك هذا ولد لطيف.

وصاح بعد ثانية من اختفائه في الطُّرقة:

- لا تنسَ أن تُغلق الباب عند خروجك يا كريس.

قلت رافعًا صوتي ليسمعني:

- حاضر.

والتفتُّ إلى أبي:

- ما الذي تفعله هنا؟

قال وهو يتناول حقيبتي:

- طلبت مني والدتك أن أُحضرك.

قلت مُتهكِّمًا وأنا أرتدي سترتي:

- دعني أُخمِّن، ذهبت اليوم إلى بيت أوغي، أليس كذلك؟

بدت الدهشة على أبي، وقال:

- لا. كل شيء على ما يرام يا كريس. ضع قلنسوتك فالمطر ينهمر بشدة.

بدأنا في عبور باب القاعة، وقلت في غضب:

- أين هي إذن؟ ولماذا لم تُحضر لي أغراضي؟!

وضع يده على كتفي ونحن خارجان.

- لا أُريدك أن تشعر بالقلق على الإطلاق... تعرَّضت والدتك لحادثة صغيرة بالسيارة اليوم.

توقفتُ عن المشي:

- ماذا؟

قال وهو يشد على كتفي:

- هي بخير تمامًا. لا داعي للقلق. صدِّقني.

ودفعني لكي أواصل المشي.

سألته:

- فأين هي؟
- لم تزل في المستشفى.

صحتُ:

- المستشفى!

وتوقفت مرَّة أخرى عن المشي.

قال وهو يشدني من مرفقي:

- كريس، والدتك بخير، صدِّقني. لكن ساقها انكسرت، ولديها جبيرة ضخمة.

- حقيقي؟

فتح باب الخروج وثبَّته وهو يفتح مظلته قائلًا:

- نعم. ضع قلنسوتك يا كريس.

وضعت قلنسوتي على رأسي ونحن نسارع في ساحة السيارات، وكان المطر شديد الغزارة.

- هل صدمتها سيارة؟

قال:

- لا، كانت تقود السيارة، ويبدو أن المطر تسبب في بعض السيول على الطريق السريع فاصطدمت شاحنة مقاولات بقناة صرف، وحاولت والدتك أن تتفادى الاصطدام بها، فارتطمت بها سيارة في الحارة اليسرى. المرأة التي كانت في تلك السيارة لم تُصب بشيء هي الأخرى، ووالدتك بخير، وستُشفى ساقها. الجميع بخير والحمد لله.

توقف عند سيارة هاتشباك حمراء لم أرها من قبل.

سألته في حيرة:

- هذه سيارة جديدة؟

أجاب بسرعة:

- مستأجرة. سيارة والدتك تعطَّلت. هيَّا اركب.

ركبت في المقعد الخلفي، وكان حذائي مُبتلًّا بالماء.

- أين سيارتك؟

قال:

- توجهت من محطة القطار إلى المستشفى مباشرة.

قلت وأنا أُثبت حزام المقعد:

- علينا أن نرفع قضية على من كان يسوق شاحنة المقاولات تلك!

غمغم:

- كانت حادثة عجيبة.

وبدأ يقود خارجًا من ساحة السيارات.

سألته:

- متى وقعت؟
- في هذا الصباح.
- في أي وقت من هذا الصباح؟
- لا أعرف. في التاسعة تقريبًا. كنت قد وصلت للتوِّ إلى العمل حينما اتصلوا بي من المستشفى.
- لحظة، هل يعرف الشخص الذي اتصل بك أنكما تقومان بإجراءات الطلاق؟

نظر إليَّ في مرآة الرؤية الخلفية، وقال:

- كريس، أنا ووالدتك سيُساعد أحدنا الآخر دائمًا، ويجب أن تعرف هذا.

قلت وأنا أهزُّ كتفي:

- صحيح.

نظرت من النافذة. كنا في تلك الساعة من النهار التي تغيب فيها

الشمس ولا تكون مصابيح الشوارع قد أُضيئت بعد. كانت الشوارع سوداء ولامعة بسبب المطر، فانعكست الأضواء الحمراء والبيضاء من كشافات السيارات على البرك المحاذية للطريق السريع.

تصوَّرتُ أمي وهي تقود في المطر هذا الصباح: هل حدث ذلك بمجرد أن أوصلتني، أم وهي تقود عائدةً بأغراضي إلى المدرسة؟

سألني أبي:

- لماذا تصوَّرت أنها كانت في طريقها إلى بيت أوغي؟

قلت ولم أزل أنظر من النافذة:

- لا أعرف. دايزي ماتت، فقلت ربما...

قال:

- دايزي ماتت؟! أوه لا! لم أعرف. متى حدث ذلك؟
- أناموها الليلة الماضية!
- أكانت مريضة؟
- بابا، أنا لا أعرف أي تفاصيل!
- حسنًا، تمهَّل عليَّ قليلًا!
- حاضر. الأمر فقط... كنت أتمنى لو أخبرني أحد بالحادثة في وقت مبكر! كان يجب أن يخبرني أحد!

نظر إليَّ أبي في مرآة الرؤية الخلفية، وقال:

- لم يكن هناك داعٍ لإزعاجك يا كريس. كل الأمور كانت تحت السيطرة. لم يكن بوسعك أن تفعل شيئًا.

قلت عاقدًا ذراعيَّ:

- كنتُ أنتظر عودة ماما بأغراضي طوال الصباح!

قال:

- كان يومًا جنونيًا بالنسبة إلينا جميعًا. قضيت اليوم أتعامل مع تقارير الحادثة واستمارات التأمين وشركات تأجير السيارات، وذاهبًا إلى المستشفى وعائدًا منه.

قلت:

- كان يمكن أن أذهب معك إلى المستشفى.

قال وقد بدأ يطرق على المقود:

- يعني، حظك جيد لأننا ذاهبان الآن إلى المستشفى.

قلت:

- لحظة، نحن ذاهبان إلى المستشفى؟

نظر إليَّ مرَّة أخرى في مرآة الرؤية الخلفية، لكنني أشحتُ بعينيَّ.

- كتبوا لوالدتك تصريحًا بالخروج، ونحن ذاهبان لاصطحابها. أليس هذا خبرًا عظيمًا؟

- بلى.

مضت بنا السيارة ونحن صامتان لبضع ثوانٍ، وكان المطر ينهمر سيولًا، فزاد أبي من سرعة ماسحات الزجاج، وأسندت رأسي على النافذة.

قلت بهدوء:

- هذا اليوم بشع!

ونفخت بعض الهواء الساخن على النافذة، ورسمت بإصبعي وجهًا عابسًا.

- أنت بخير يا كريس؟

غمغمتُ:

- بخير. أنا فقط أكره المستشفيات!

زيارة المستشفى

المرَّة الأولى والوحيدة التي ذهبت فيها إلى مستشفى كانت لزيارة أوغي. حدث هذا وعمرنا تقريبًا ست سنوات. كان أوغي قد أجرى قبل ذلك مليون جراحة مثلًا، لكن هذه كانت المرَّة الأولى التي رأت فيها أمي أنني كبرت ويمكن أن أذهب لزيارته.

كان هدف الجراحة هو إزالة «عروة» من رقبته. هكذا كان يقول عن فتحة الأنابيب. وهي شيء بلاستيكي صغير غُرس في رقبته أسفل تفاحة آدم، وقد وضعها الأطباء في أوغي عند مولده ليتمكَّن من التنفُّس، ثم قرروا إزالتها بعد أن صاروا واثقين تمامًا أنه قادر على التنفُّس من دونها.

كان أوغي مُبتهجًا جدًّا بتلك الجراحة، حيث كان يكره العروة. وحينما أقول إنه كان يكرهها فأنا أعني أنه **يكرهها** بشدة. كان يكره فيها أنها ملحوظة تمامًا، حيث لم يكن مسموحًا له بتغطيتها، ويكره أنه لا يستطيع الذهاب للعوم في حمَّام السباحة بسببها، وأكثر ما كان يكرهه فيها حين كانت تُسدُّ في بعض الأحيان، بلا سبب على الإطلاق، فيبدأ في السعال كما لو أنه يختنق، ويكون على إيزابيل أو نيت تمرير أنبوب فيها لنفخها، حتى يُمكنه التنفُّس من جديد. رأيت هذا بضع مرَّات، وكان مخيفًا في الحقيقة.

أتذكَّر أنني كنت سعيدًا جدًّا بزيارتي لأوغي بعد جراحته. كان المستشفى في وسط المدينة، وفاجأتني أمي بتوقُّفها في محل فاو

شوارتز لأنتقي هدية كبيرة لطيفة لأوغي (طاقم مكعبات حرب النجوم)، وهدية صغيرة لي أنا (دُمية إيواك بلوشي). وبعدما اشترينا اللعبتين، تناولتُ أنا وأمي الغداء في مطعمي المفضَّل الذي يُعدُّ أفضل ساندويتشات السجق الطويل الحار، وأفضل مشروب حليب مثلج بالشوكولاتة في الكوكب كله.

وبعد الغداء ذهبنا إلى المستشفى.

قالت لي أمي بهدوء ونحن نعبر أبواب المستشفى:

- كريس، سيكون في المكان أطفال آخرون يُجرون جراحات في وجوههم، مثل هَدسُن صديق أوغي، تذكَّر ألَّا تُحملق في أحدهم. اتفقنا؟

قلت:

- لن أُحملق مُطلقًا. أكره أن يُحملق الأطفال في أوغي يا ماما.

أتذكَّر أنني رأيت، ونحن نسير في الطُّرقة إلى غرفة أوغي، كثيرًا من البالونات في كل مكان، وملصقات لأميرات ديزني والأبطال الخارقين مثبتة على جدران الطرقة. بدا لي ذلك لطيفًا، وكنت أشعر كأنني في حفل عيد ميلاد عملاق.

اختلست النظر إلى بعض غرف المستشفى ونحن نمر، وعند ذلك أدركت ما الذي كانت تقصده أمي. كان أولئك أولادًا مثل أوغي، ليس في كونهم يشبهونه، ولو أن اثنين منهم كانا يشبهانه، لكن كانت لهم تشوُّهات وجهية أخرى، وبعضهم كانت لديهمُ ضمادات على الوجوه، ولمحت فتاة في خدها كتلة ضخمة بحجم ليمونة.

شددتُ على يد أمي وتذكَّرتُ ألَّا أُحملق، ونظرتُ إلى قدميَّ ونحن نسير، وقبضت بشدة على دُمية إيواك بلوشي.

حينما وصلنا إلى غرفة أوغي، فرحتُ لوجود إيزابيل وفيا. اقتربتا من الباب حين دخلنا، واستقبلتانا بالقُبل والابتهاج.

سارتا بنا إلى أوغي الذي كان مُستلقيًا في سرير بجوار النافذة. وفيما كنا نمر بأقرب سرير من الباب، أحسست أن إيزابيل تحاول منعي من النظر إلى الولد النائم في ذلك السرير، فاختلست نظرة من ورائي بعد أن عبرنا، فرأيت الولد الذي كان في السرير - ولعله في الرابعة - يراقبني. رأيت تحت أنفه، في المكان الذي يجب أن يوجد فيه فمه، هوة حمراء كبيرة، وداخل الهوة ما يُشبه قطعة من اللحم النيئ، وبدا أن بعض الأسنان عالقة في ذلك اللحم، وقِطعًا من جلد ممزَّق تتدلَّى على الهوة. أشحت بنظري بأسرع ما يمكن.

كان أوغي نائمًا. بدا صغيرًا جدًّا في سرير المستشفى الضخم. رقبته كانت ملفوفة بشاش أبيض، وعلى ذلك الشاش دم، وبعض الأنابيب في ذراعه، وواحد مغروز في أنفه، وكان فمه مفتوحًا، ولسانه متدليًا تقريبًا على ذقنه، وبدا أصفر قليلًا وجافًّا تمامًا. كنت قد رأيت أوغي نائمًا من قبل، لكن ليس على ذلك النحو.

سمعتُ أمي وإيزابيل تتكلَّمان عن الجراحة في همس كعادتهما كلما أرادتا ألَّا أسمع أنا وأوغي ما تقولان. كلام عن «تعقيداتها»، وكيف بدت لوهلة «مجهولة العواقب». عانقت أمي إيزابيل، وتوقفتُ عن التنصت.

حملقتُ في أوغي راجيًا أن يُغلق فمه وهو نائم.

جاءت فيا فوقفت بجواري. كانت في العاشرة تقريبًا آنذاك.

قالت:

- لطيف منك أن تأتي لزيارة أوغي.

أومأتُ وهمستُ:

- هل سيموت؟

همستْ:

- لا.

سألتُ:

- لماذا ينزف؟

قالت:

- هذا مكان العملية، وسوف يلتئم.

أطرقتُ:

- لماذا فمه مفتوح؟
- ليس بإرادته.
- وما مشكلة الولد الصغير في السرير الآخر؟
- إنه من بنجلاديش. لديه شق في الشفة وسقف الفم. أرسله والداه إلى هنا لإجراء جراحة. لا يتكلَّم الإنجليزية إطلاقًا.

فكرت في الهوة الحمراء الخاوية الكبيرة في وجه الولد، والجلد المتقطِّع.

سألتني فيا وهي تلكزني برقة:

- أنت بخير يا كريس؟

ثم قالت:

- ليزا ليزا، أعتقد أن كريس ليس بخير...

كانت تلك هي اللحظة التي انفجر فيها السجق الطويل الحار والحليب بالشوكولاتة خارجَين مني. تقيَّأت كل ما في بطني، مُلوِّثًا نفسي، ومُلوِّثًا طاقم المكعبات العملاق الذي جئت به لأوغي، وأغلب الأرض المجاورة لسريره.

صاحت أمي وهي تنظر حولها بحثًا عن مناديل ورقية:

- أوه يا إلهي! أوه يا حبيبي!

عثرت إيزابيل على منشفة وبدأت تنظفني بها، وفي الوقت نفسه كانت أمي تمسح الأرض بجريدة وهي مضطربة جدًّا.

قالت إيزابيل:

- لا يا ليزا، لا تشغلي نفسك بهذا. فيا، حبيبتي، ابحثي عن ممرضة وأخبريها أننا نحتاج إلى تنظيف هنا.

وكانت تلتقط قطعة سجق على ذقني.

استدارت فيا بهدوء مُتجهة إلى الباب، وقد بدا أنها هي نفسها ستتقيَّأ. وخلال دقائق قليلة، جاءت بعض الممرضات إلى الغرفة بمماسح ودِلاء.

أتذكَّر قولي ولم يزل طعم القيء موجودًا في فمي:

- هل يمكن أن نعود إلى البيت يا ماما؟

قالت ماما وقد تولَّت مهمة تنظيفي عن إيزابيل:

- بالطبع يا حبيبي.

قالت إيزابيل وهي تُبلل منشفة أخرى في الحوض وتُنظف بها وجهي:

- أنا آسفة جدًّا يا ليزا!

كان العرق يتصبَّب مني في ذلك الوقت، فاستدرت لأُغادر حتى قبل أن تنتهي أمي وإيزابيل من تنظيفي، لكنني لمحتُ في تلك اللحظة

الولد الصغير في سريره، وكان لم يزل ينظر إليَّ، فبدأت في البكاء حينما نظرت إلى الهوة الحمراء الخاوية الكبيرة تحت أنفه.

عند ذلك، عانقتني أمي، ومضت بي من باب الغرفة في الوقت نفسه. وعندما خرجنا من الغرفة حملتني تقريبًا إلى بهو المصاعد، وكنت أدفن وجهي في معطفها، وأبكي في هلع.

تبعتنا إيزابيل وفيا.

قالت إيزابيل:

- أنا آسفة!

قالت أمي:

- وأنا آسفة جدًّا!

أخذت كلٌّ منهما تُغمغم معتذرة للأخرى في الوقت نفسه.

قالت أمي:

- أرجوكِ! أخبري أوغي أننا آسفان لأننا لم نستطع الانتظار.

فردَّت إيزابيل:

- بالطبع.

وانحنت أمامي وبدأت تجفف دموعي.

- هل أنت بخير الآن يا حبيبي؟ أنا آسفة جدًّا! أعرف أن هذا كثير عليك!

هززت رأسي وأنا أحاول أن أقول: «ليس أوغي».

اغرورقت عيناها فجأة، وهمست:

- أعلم.

ثم وضعت يديها على وجهي كما لو كانت تُمسده.

- أوغي محظوظ لأن له صديقًا مثلك.

جاء المصعد، فعانقتني إيزابيل وعانقت أمي، ثم دخلنا إلى المصعد.

رأيت فيا تلوح لي بينما يُغلق باب المصعد. على الرغم من أنني كنت في السادسة فقط في ذلك الوقت، فإني أتذكَّر أنني شعرت بالأسف لها لأنها لم تستطع أن تغادر معنا.

لم نكد نخرج حتى أجلستني أمي على أريكة وعانقتني لوقت طويل. لم تقل شيئًا. فقط قبَّلت أعلى رأسي عدة مرَّات.

عندما هدأتُ أخيرًا، وضعتُ دُمية إيواك بلوشي في يدها قائلًا:

- هل يمكن أن تعودي وتعطيها له؟

قالت:

- أوه يا حبيبي! هذا لُطف عظيم منك! لكن إيزابيل يمكن أن تُنظف طاقم المكعبات، وسيجده أوغي جديدًا، لا تقلق.

قلت:

- لا، بل الولد الآخر.

نظرت إليَّ لوهلة كمن لا تعرف ماذا يمكن أن تقول.

قلت:

- فيا قالت إنه لا يتكلَّم الإنجليزية، لا بد أنه خائف جدًّا وهو في المستشفى!

أومأتْ ببطء وهمستْ:

- نعم، لا بد أنه خائف.

أغمضت عينيها وعانقتني من جديد، ثم اصطحبتني إلى مكتب الأمن، وهناك انتظرتها إلى أن استقلَّت المصعد ثم عادت إليَّ بعد خمس دقائق.

سألتها:

- هل أعجبته؟

أزالت بأصابعها الشعر عن عينيَّ، وقالت:

- يا حبيبي! لقد طار من الفرح!

7:04 مساءً

حينما وصلنا إلى غرفة أمي في المستشفى وجدناها جالسةً على كرسي متحرك تشاهد التلفزيون. كانت تضع جبيرة ضخمة تبدأ من فخذها نزولًا حتى كاحلها.

قالت في سعادة فور أن رأتني:

- ها هو رجُلي!

وفردت ذراعيها، فاتجهت إليها وعانقتها. ارتحت حينما اكتشفت أن أبي أخبرني بالحقيقة، ففيما عدا الجبيرة وبضعة خدوش في الوجه كانت أمي بخير، بل إنها ارتدت ثيابها وباتت مستعدة للذهاب.

قال أبي وهو يميل عليها مُقبِّلًا خدها:

- كيف حالكِ يا ليزا؟

قالت:

- أفضل كثيرًا.

وأطفأت التلفزيون وابتسمت لنا:

- أنا جاهزة تمامًا للعودة إلى البيت.

- أحضرنا لكِ هذه.

وأعطيتها مزهرية الورد التي اشتريناها من متجر الهدايا في الطابق الأرضي.

قالت وهي تُقبِّلني:

- شكرًا لك يا حبيبي، كم هي جميلة!

نظرتُ إلى الجبيرة وسألتها:

- هل تُؤلمكِ؟

قالت بسرعة:

- ليس كثيرًا.

قال أبي:

- والدتك شجاعة جدًّا.

قالت أمي وهي تنقر على جانب رأسها:

- بل أنا محظوظة جدًّا.

أضاف أبي بهدوء:

- كلنا محظوظون.

وأمسك يد أمي وضغط عليها، ولثوانٍ قليلة لم يقل أحدٌ شيئًا.

سأل أبي:

- هل يجب أن تُوقِّعي أي أوراق للخروج أو أي شيء من هذا القبيل؟

قالت:

- انتهينا من كل شيء. أنا جاهزة للعودة إلى البيت.

انتقل أبي وراء كرسيها، فقلت له وأنا أشد منه أحد المقبضين:

- لحظة، هل يمكن أن أدفعها أنا؟

قال أبي:

- دعني أولًا أُخرجها من باب الغرفة، فالمناورة صعبة قليلًا بسبب ساقها.

سألتني أمي ونحن ندفع كرسيها عبر الطُّرقة:

- كيف كان يومك يا كريس؟

فكرتُ في بشاعة ذلك اليوم، كله، منذ البداية وحتى النهاية. العلوم، والموسيقى، والرياضيات، وفرقة الروك. أسوأ يوم على الإطلاق!

قلت:

- معقول.

سألتْ:

- وكيف كان تدريب الفرقة؟ هل أصبح إيليا ألطف قليلًا هذه الأيام؟

هززت كتفي:

- كان جيدًا. لا بأس.

قالت وهي تربت على ذراعي:

- أنا آسفة لأنني لم أُحضر لك أغراضك، لا بد أنك ظللت تُفكِّر فيما قد يكون حدث لي.

قلت:

- تصورتُ أنكِ تقومين ببعض المشاوير.

ضحك أبي:

- تصوَّر أنكِ ذهبتِ إلى بيت إيزابيل.

قلت له:

- لم أتصوَّر ذلك!

كنا قد وصلنا إلى غرفة الممرضات، وكانت أمي تُودِّع بعضهن فيُلوحن لها، ولذلك لم تسمع ما قاله أبي.

قال أبي في حيرة:

- ألم تسألني إن كانت والدتك قد ذهبت إلى...

قاطعته:

- المهم...

والتفتُّ إلى أمي:

- تدريب الفرقة كان جيدًا. عزفنا **جيش الأمم السبع** استعدادًا لحفل الربيع ليلة الأربعاء. هل ستستطيعين الحضور؟

قالت:

- سأحضر بالطبع. لكنني ظننتُ أنكم تتدرَّبون على **العد التنازلي الأخير**.

قال أبي:

- **جيش الأمم السبع** أغنية عظيمة.

وبدأ يدندن اللحن الأساسي، ويُمثِّل أنه يعزف الجيتار ونحن ننتظر المصعد.

ابتسمت له أمي:

- أتذكَّرُكَ وأنت تعزفها في **البارلور**.

سألتُ:

- وماذا يكون **البارلور**؟

قالت أمي:

- حانة على ناصية الشارع الذي كنا نعيش فيه.

قال أبي:

- قبل أن تُولد يا زميل.

انفتح باب المصعد ودخلنا.

قلت:

- أكاد أموت من الجوع!

سألتْ أمي وهي تنظر إلى أبي:
- ألم تتناولا الطعام بعدُ يا شباب؟
قال:
- جئنا من المدرسة إلى هنا مباشرة. متى كان يمكن أن نأكل؟
سألتُ:
- هل يمكن أن نتوقَّف لنأكل في ماكدونالدز ونحن عائدون؟
قال أبي:
- هذا يناسبني.
وصلنا إلى البهو وانفتح باب المصعد.
قلت:
- هل يمكن الآن أن أدفع الكرسي؟
قال:
- نعم. انتظراني هنا يا شباب، حسنًا؟
وأشار إلى أقصى مخرج جهة اليسار:
- سأذهب لأُحضر السيارة.
سارع مُغادرًا المدخل في اتجاه ساحة انتظار السيارات، ودفعتُ أنا كرسي أمي المتحرك إلى حيث أشار.
قالت أمي وهي تنظر عبر نوافذ البهو:
- لا أُصدِّق أنها لم تزل تمطر!
قلت:
- أُراهن أنني يمكن أن أرفع إطارَي هذا الكرسي الأماميين وأنتِ جالسة عليه.
صاحت أمي:
- أوه! لا لا!

وشدَّت بيديها على مسندي الذراعين بينما أرفعهما.

- كريس، لقد نلتُ كفايتي من الإثارة اليوم!

أنزلت الكرسي وأنا أقول مُربتًا على رأسها:

- آسف يا ماما!

فركت عينيها براحتيها.

- آسفة، كان اليوم طويلًا عليَّ!

سألتها:

- أتعرفين أن اليوم على بلوتو طوله 153.3 ساعة؟
- لا، لم أكن أعرف ذلك.

مضت دقائق قليلة من دون أن نقول شيئًا.

ثم قالت فجأة:

- بالمناسبة، هل اتصلت بأوغي؟

تذمرتُ وأنا أهزُّ رأسي:

- ماما!

قالت محاولة أن تستدير في كرسيها لتنظر إليَّ:

- ماذا؟ أنا لا أفهمك يا كريس! هل تخاصمت أنت وأوغي، أو حدث شيء من هذا القبيل؟
- لا، كل ما في الأمر أن لدينا ما يكفينا حاليًّا!

تنهَّدت قائلة:

- كريس!

وبدا أنها مُرهقَة ولا تقوى على إضافة شيء.

بدأت أُدندن باللحن الأساسي من **جيش الأمم السبع**. وبعد دقائق قليلة، توقفت الهاتشباك الحمراء أمام المخرج، وسارع أبي بمغادرتها

مُمسكًا بمظلة مفتوحة. دفعتُ أمي إلى خارج الباب الأمامي، وأعطاها أبي المظلة كي تمسكها، ثم دفعها عبر المنزلق المخصص للكراسي المتحركة ودار بها إلى جانب السيارة. كان الهواء في تلك اللحظة يشتد، فإذا بالمظلة التي كانت تمسكها أمي تنقلب بهبة منه وينعكس وضعها.

قال أبي:

- كريس، اركب.

وبدأ يحمل أمي من تحت ذراعيها لينقلها إلى الكرسي الأمامي للسيارة.

قالت أمي مازحةً:

- جميل هذا الاعتناء!

لكنني كنت أرى أنها تتألم.

بادلها أبي المزاح لاهثًا:

- يستحق كسرًا في الفيمور؟

سألت وأنا أجلس في المقعد الخلفي:

- ماذا يكون الفيمور؟

قال أبي:

- عظمة الفخذ.

أغرقه المطر تمامًا وهو لم يزل يحاول مساعدة أمي في العثور على حزام مقعدها.

قلت:

- الكلمة تبدو أشبه باسم حيوان. الأسد والنمر والفيمور.

حاولت أمي أن تضحك، لكن العرق كان يتصبَّب منها.

سارع أبي نحو مؤخرة السيارة، وقضى بضع دقائق محاولًا أن يكتشف طريقة طي الكرسي المتحرك ليُدخله في حقيبة السيارة، ثم دار إلى مقعد السائق، وجلس، وأغلق الباب. هدأنا جميعًا للحظة، بينما الهواء والمطر يعويان خارج النوافذ. ثم أدار أبي السيارة، وكنا جميعًا غارقين بالمطر.

سألتُ بعد دقائق من تحرُّكنا بالسيارة:

- ماما، حينما وقعت لكِ الحادثة في الصباح، هل كنتِ في طريقكِ إلى البيت بعد إحضاري إلى المدرسة، أم كنتِ عائدة إلى المدرسة بأغراضي؟

تمهَّلت أمي ثانية قبل أن تجيب:

- الأمر غائم بعض الشيء يا حبيبي.

ومدت يدها لي لأُمسكها، فشددتُ عليها.

قال أبي:

- كريس، والدتك مُتعبَة قليلًا. لا أعتقد أنها تريد أن تُفكِّر في الأمر الآن.

- أريد أن أعرف فقط.

قال أبي وهو يُلقي عليَّ نظرة حازمة عبر مرآة الرؤية الخلفية:

- كريس، الوقت ليس مناسبًا الآن. الأمر الوحيد المهم هو أن كل شيء مضى على ما يُرام، وأن والدتك بخير، أليس كذلك؟ علينا أن نشكر الله. كان يمكن أن يكون هذا اليوم أسوأ بكثير!

استغرقتُ لحظة كي أفهم ما الذي يعنيه، وعندما فهمتُ، سَرَت في جسدي رجفة.

فيس/تشات

في السنة الأولى لانتقالنا إلى بريدجبورت، حاول والداي جاهدَين أن يجمعاني بأوغي مرَّتين على الأقل كل شهر، إما عندنا وإما عند أوغي. ذهبت بضع مرَّات للمبيت عند أوغي، وحاول أوغي مرَّة أن يبيت عندي، لكن لم ينجح ذلك. المسافة طويلة بين بريدجبورت ونورث ريفر هايتس، لذلك صرنا في النهاية نجتمع كل بضعة أشهر أو نحو ذلك، وبدأنا نستعمل برنامج فيس/تشات كثيرًا في تلك الفترة. كنت كل يوم تقريبًا، ونحن في الصف الثالث، ألتقي أنا وأوغي عبر فيس/تشات. كنا قد قررنا أن نطيل ضفيرتينا البدوان قبل انتقالنا، فكانت تلك طريقة عظيمة لاختبار مدى طولهما. في بعض الأحيان لم نكن نتكلم أصلًا: فقط نُبقي الشاشتين مفتوحتين بينما نشاهد التلفزيون معًا أو نُقيم بالمكعبات شكلًا واحدًا في وقت واحد. وفي بعض الأحيان كنا نتبادل الفوازير، مثل: ما الذي له قدم وليس له ساق؟ أو: ما الذي يملكه الفقير، وينقص الغني، وتموت أنت لو أكلته؟ ونبقى بالساعات نفعل أشياء كتلك.

ثم جاء الصف الرابع، وبدأ استعمالنا لبرنامج فيس/تشات يقل. لم نفعل ذلك عمدًا. كل ما في الأمر أن المواد بدأت تكثر في المدرسة، فلم تصبح لديَّ واجبات أكثر وحسب، بل صرت أُمارس كثيرًا من الأنشطة بعد المدرسة: كرة القدم مرَّتين في الأسبوع، ودروس في التنس، وصناعة الروبوت في الربيع. شعرت أنني دائمًا

أفقد طلبات أوغي على فيس/ تشات، فقررنا أخيرًا أن نرتب مواعيد للدردشة تكون قبل العشاء في يومي الأربعاء والسبت.

وأفلح ذلك، وإن اقتصرت دردشتنا على ليالي الأربعاء فقط، لأنني في أيام سبت كثيرة كنت أرتبط بمواعيد خارج البيت. وحدث في وقت ما قبل نهاية الصف الرابع أن أخبرت أوغي بأنني قصصت ضفيرتي البدوان. صحيح أنه لم يقل إنني آذيت مشاعره، لكنني أحسست أن هذا هو ما فعلته.

بدأ أوغي خلال العام الحالي في الذهاب إلى المدرسة هو الآخر، ولم أستطع أن أتخيَّل أوغي في مدرسة، أو كيف تكون المدرسة بالنسبة إليه. أقصد أن كون المرء ولدًا جديدًا في مدرسة أمر صعب بما فيه الكفاية، أما كونه ولدًا جديدًا وشبيهًا بأوغي، فهذا جنوني. وهو لم يكن يبدأ في مدرسة جديدة وحسب، بل هي مدرسة **إعدادية!** وهكذا هي حال مدرستهم، يسير تلاميذ الصف الخامس في الطُّرقات التي يسير فيها طلاب الصف التاسع! جنون! لا بد من تدعيم أوغي، فذلك يحتاج إلى شجاعة.

المرَّة الوحيدة التي دردشت فيها مع أوغي عبر فيس/ تشات كانت في سبتمبر، بعد أيام قليلة من بداية الدراسة، لكن لم يبدُ أنه يريد أن يتكلَّم. لاحظت أنه قص ضفيرته البدوان، لكنني لم أسأله عن ذلك. تصوَّرت أنه قصَّها للسبب نفسه الذي جعلني أقصُّها. وهو، كما تعرفون، تجنُّب الغرابة.

كان لديَّ فضول تجاه حفل البولينج الذي أُقيم لأوغي قبل أسابيع قليلة من الهالوين. هناك التقيت بأصدقائه الجُدد، وبدوا لُطفاء. خصوصًا ذلك الولد المدعو «جاك ويل»، كان ظريفًا جدًّا. لكن أظن

أن شيئًا حدث بعد ذلك بين جاك وأوغي، فحينما تكلَّمت أنا وأوغي عبر فيس/ تشات بعد الهالوين، أخبرني أنهما لم يعودا صديقين.

آخر مرَّة تكلَّمت فيها مع أوغي عبر فيس/ تشات كانت بعد انتهاء إجازة الشتاء مباشرة. كان صديقاي جيك وتايلر معي، وكنا نلعب **عصر الحرب** 2 على اللابتوب حينما ظهر على شاشتي طلب فيس/ تشات من أوغي.

قلت وأنا أدير اللابتوب ناحيتي:

- يا شباب، لا بد أن أتلقَّى هذا الاتصال.

سألني جيك:

- هل يمكن أن نلعب نحن **إكس بوكس**؟

قلت:

- بالتأكيد.

وأشرت إلى حيث يمكن أن يعثرا على الأذرع الإضافية. وتقريبًا أدرت ظهري لهما، لأنني لم أرغب في أن يريا وجه أوغي. ضغطت «قبول» على الشاشة، وبعد ثوانٍ قليلة ظهر وجه أوغي.

قال:

- هاي كريس.

قلت:

- عظيم يا أوج.
- لم نلتقِ منذ فترة.

قلت:

- فعلًا.

ثم بدأ الكلام عن شيء آخر. حرب ما في مدرسته؟ جاك ويل؟ لم أتابع بدقة ما كان يقوله، فقد كان جيك وتايلر يُشتتان تركيزي تمامًا، حيث بدأ الاثنان يتغامزان بمجرد ظهور أوغي على الشاشة، وقد فغر كلٌّ منهما فمه، نصف ضاحك. عرفت أنهما رأيا وجه أوغي، فسِرت باللابتوب إلى الناحية الأخرى من الغرفة.

- إممممم.

هكذا قلت لأوغي محاولًا ألَّا أسمع ما كان يتهامس به جيك وتايلر، لكنني سمعت هذا القدر:

- هل رأيت ذلك؟

- أهذا قناع؟

- ... حريق؟

سأل أوغي:

- هل معك أحد؟

أظنه لاحظ أنني لم أكن أنصت إليه جيدًا.

التفتُّ إلى صديقيَّ قائلًا:

- هشش!

فانفجرا ضاحكَين، وكانا واضحًا أنهما يحاولان أن يقتربا لإلقاء نظرة أقرب على شاشتي.

غمغمتُ بسرعة، وأنا أسير إلى الجانب الآخر من غرفتي:

- نعم، معي بعض الأصدقاء.

قال جيك وهو يتبعني:

- هاي يا صديق كريس.

سأل تايلر رافعًا صوته لكي يسمعه أوغي:

- هل يمكن أن نقابل صديقك؟

هززت رأسي لهما:

- لا.

قال أوغي من الجهة الأخرى من الشاشة:

- حسنًا.

جاء جيك وتايلر على الفور، فجلس أحدهما على يميني والآخر على يساري، وصرنا نحن الثلاثة نواجه الشاشة ونرى وجه أوغي.

قال أوغي:

- هاي.

عرفتُ أنه ابتسم، لكن أحيانًا لا تبدو ابتسامته ابتسامة لبعض مَن لا يعرفونه.

- هاي.

قالها جيك وتايلر معًا، وهما يُومئان في أدب. لاحظت أنهما لم يعودا يضحكان.

قلت لأوغي وأنا أُشير بإبهامي إلى صديقيَّ على الجانبين:

- هذان صديقاي جيك وتايلر. وهذا صديقي، من الحي القديم.

قال أوغي ملوحًا:

- هاي.

قال جيك وتايلر من دون أن ينظرا إليه مباشرة:

- هاي.

قال أوغي وهو يومئ بغير ارتياح:

- حسنًا، ماذا تفعلون يا شباب؟

قلت:

- كنا نشغل إكس بوكس للتوِّ.

قال أوغي:

- أوه، لطيف. أي لعبة؟
- بيت أستيريون.
- رائع! في أي مستوى أنتم؟

قلت وأنا أهرش في رأسي:

- إمممم. لا أعرف بالضبط. أعتقد أننا في المتاهة الثانية.

قال أوغي:

- أوه، إنها صعبة. أنا تقريبًا حررت تارتاروس.
- رائع!

لاحظت من طرف عيني أن جيك يلكز تايلر من وراء ظهري.

قلت:

- نعم، حسنًا، أعتقد أننا سنبدأ اللعب الآن.

قال أوغي:

- أوه. مؤكد. حظًّا سعيدًا مع المتاهة الثانية.

قلت:

- حسنًا، إلى اللقاء. أرجو أن تنجح في مشكلة الحرب.

أضاف أوغي في أدب:

- شكرًا. سعيد بمقابلتكما يا شباب.

قال جيك بابتسامة مصطنعة:

- إلى اللقاء يا أوغي.

بدأ تايلر يضحك، فلكزته بمرفقي بعيدًا عن مجال الشاشة.

قال أوغي:

- إلى اللقاء.

لكنني أدركتُ أن أوغي لاحظ ضحكهما، فقد كان يلاحظ تلك الأمور، على الرغم من أنه يتظاهر بالعكس.

أطفأت الجهاز، وبمجرد أن فعلت ذلك انفجر جيك وتايلر في الضحك.

قلت في ضيق:

- اللعنة! ما هذا؟

قال جيك:

- ماذا يا زميل؟ ماذا حدث لذلك الولد؟

قال تايلر:

- لم أرَ قُبحًا كهذا في حياتي!

أجبت في تسليم:

- ما هذا؟! كفى!

سأل جيك:

- هل تعرَّض لحريق؟

أوضحت قائلًا:

- بل وُلد هكذا! لا دخل له في شكله! هذا مرض!

سأل تايلر وهو يتظاهر بالفزع:

- لحظة، أهو مرض مُعدٍ؟

أجبت وأنا أهزُّ رأسي:

- كفى هذا!

سأل تايلر وهو ينظر إليَّ كأنني من أهل المريخ:

- وأنت صديق له؟ واو يا صديق!

كان يمزح، فنظرت إليه في جدية:

- ماذا؟!

فتح عينيه على اتساعهما وهزَّ كتفيه.

- لا شيء يا زميل. مجرد كلام.

رأيته ينظر إلى جيك، الذي كان يلوي شفتيه معًا كأنهما سمكة. وساد صمت غير مريح.

سألت بعد ثوانٍ قليلة وأنا أتناول إحدى الأذرع:

- هل سنلعب أم لا؟

بدأنا اللعب، لكنها لم تكن مباراة رائعة. كنتُ في مزاج سيِّئ، واستمرا هما في حماقتهما، وكان هذا مزعجًا.

بعد أن غادرا، بدأت أُفكِّر في زاك وأليكس، وكيف انفصلا عن أوغي كل تلك السنوات.

حتى بعد كل ذلك الوقت، لم يزل صعبًا أن يكون الشخص صديقًا لأوغي.

8:22 مساءً

بمجرد أن دفع أبي كرسي أمي إلى داخل البيت، تهاويتُ على الأريكة أمام التلفزيون ومعي نصف علبة هابي ميل من ماكدونالدز، وضغطت على الريموت فاتحًا التلفزيون.

قال أبي وهو ينفض المظلة:

- لحظة، كنت أتصوَّر أن لديك واجبات مدرسية.

قلت:

- أريد فقط أن أشاهد بقية حلقة **السباق المذهل** وأنا آكل، وسأبدأ الواجبات بعدها.

قال أبي لأمي:

- هل هذا مقبول؟

قلت لأمي:

- الحلقة أوشكت على الانتهاء يا ماما. أرجوكِ!

قالت:

- ما دُمتَ ستبدأ فور أن تنتهي الحلقة.

لكنني عرفت أنها لم تكن منتبهة لنا تمامًا. كانت تنظر إلى السلم والطابق العلوي، وتهزُّ رأسها ببطء. قالت لأبي وقد بدا عليها التعب الشديد:

- كيف سأفعل هذا؟

قال أبي:

- أنا هنا من أجل ذلك.

وأدار كرسيها نحوه، ثم وضع ذراعًا تحتها وذراعه الثانية وراء ظهرها، ورفعها عن الكرسي. فإذا بأمي تُطلق ضحكًا ممزوجًا بالصياح.

قلت وأنا أدفع في فمي قطعة بطاطس مقلية وأنظر إليهما:

- واو يا بابا! أنت قوي جدًّا! أنتما يا جماعة لا بد أن تشاركوا في **السباق المذهل**، فهم يُشركون دائمًا أزواجًا مطلَّقين.

بدأ أبي يصعد السلم وأمي بين ذراعيه. كان الاثنان يضحكان وهما يصطدمان في السور والجدار عند صعودهما. بدا منظرهما لطيفًا. في المرَّة الأخيرة التي اجتمعنا فيها نحن الثلاثة، كانا يتبادلان الصِّياح كلٌّ في وجه الآخر.

استدرتُ لأشاهد بقية الحلقة. وفي اللحظة التي كان المذيع فيل يقول فيها لآخر زوج من المتسابقين وصولًا إلى الحلبة، إنهما استُبعدا، سمعتُ رنين هاتفي.

كانت رسالة من إيليا:

> كريس، أنا والرفاق قررنا أن ننسحب من فرقة روك ما بعد المدرسة.
>
> سنُكوِّن فرقتنا، وسنعزف جيش الأمم السبع ليلة الأربعاء.

أعدتُ قراءة الرسالة، فاغرًا فمي تمامًا: ينسحبون من الفرقة؟ هل يُمكنهم ذلك؟ سيُصاب جون بالجنون حين لا يحضر أحدٌ منهم التدريب في الغد! ما معنى ذلك لفرقة روك ما بعد المدرسة؟ هل سيقتصر الأمر على أن أعزف أنا وجون فقط **العد التنازلي الأخير**؟ سيكون ذلك بشعًا!

ثم وصلت رسالة ثانية:

هل تريد أن تنضم إلى فرقتنا؟

نحن نريد أن تنضم إلينا، لكن لا نريد جون بالتأكيد. إنه بشع!

سيكون التدريب عندي غدًا بعد المدرسة. أحضر الجيتار معك.

نزل أبي، وقال بهدوء:

- حان وقت الواجبات يا كريس.

ثم رأى وجهي.

- ما الأمر؟

قلت وأنا أُغلق الهاتف:

- لا شيء.

كنت تقريبًا في حالة صدمة. يريدونني في الفرقة؟

- تذكَّرتُ فقط أنني لا بد أن أتدرَّب من أجل حفل الربيع.

قال أبي:

- جميل، لكن لا بد أن تتدرَّب بهدوء. والدتك نامت في ثوانٍ، ولا بد أن ندعها تستريح، حسنًا؟ لا تُصدر كثيرًا من الضجة وأنت في الطابق العلوي. سأكون في غرفة الضيوف إذا احتجتَ شيئًا.

سألته:

- لحظة، هل ستقضي الليلة هنا؟

قال:

- سأبقى لأيام قليلة، إلى أن تقوى والدتك على الحركة بنفسها.

وعاد صاعدًا السلم وقد أخذ معه العكازين اللذين حصلت عليهما أمي من المستشفى.

سألته:

- هل يمكن أن تطبع لي نوتة جيش الأمم السبع؟ عليَّ أن أتدرَّب عليها قبل الغد.

قال وقد وصل إلى أعلى السلم:

- بالتأكيد. لكن يجب ألَّا تُصدر ضجة كبيرة.

نورث ريفر هايتس

بيتنا الجديد أكبر كثيرًا من بيتنا القديم في نورث ريفر هايتس. كان بيتنا القديم في الحقيقة مبنيًّا بالطوب الآجر، وكنا نعيش في طابقه الأول، ولم يكن لدينا غير حمَّام واحد، وفناء ضئيل، لكنني كنت أُحب شقتنا، وحينا. افتقدت قدرتي على المشي أينما أشاء، وافتقدت شجر الجنكة. وإذا كنتم لا تعرفون شجر الجنكة، فهو ذلك الشجر الذي يسقط منه البندق الأحمر الصغير الذي إذا ضغطته انبعثت منه رائحة شبيهة برائحة روث الكلاب الممزوج ببول القطط مع إضافة قليل من النفايات السامة. كان أوغي يقول إن رائحته تُشبه رائحة قيء كائنات الأورك القبيحة، وكان ذلك يضحكني دائمًا. على أي حال، افتقدت كل شيء في حينا القديم، حتى شجر الجنكة.

حين كنا نعيش في نورث ريفر هايتس، كان لدى أمي محل زهور صغير في طريق أمسفورت اسمه «الأرض تضحك زهورًا». كانت تعمل لساعات طويلة جدًّا، ولذلك السبب استعانوا بلوردس لتكون جليسة لي. وقد افتقدت هذا أيضًا: لوردس، اشتقت إلى فطائرها، واشتقت إلى مناداتها لي بـ«بابي». لكننا لم نعد في حاجة إلى لوردس بعدما انتقلنا إلى بريدجبورت، لأن أمي باعت محل الزهور ولم تعد تعمل طوال الوقت. الآن تأتي أمي لتأخذني من المدرسة من الاثنين إلى الأربعاء. ويوم الخميس تأخذني من بيت جون وتتركني في بيت أبي، فأبقى هناك حتى يوم الأحد.

حين كنا نعيش في نورث ريفر هايتس، كان أبي يرجع إلى البيت

عادةً في السابعة مساء، لكنه الآن لا يستطيع الرجوع قبل التاسعة مساء بسبب طول المسافة من المدينة. كانت الخطة في الأصل أن يكون الانتقال مؤقتًا، لأنه كان على وشك أن يُنقل إلى مكتب كونكتيكت، لكن ثلاث سنوات مضت ولا يزال في وظيفته القديمة في مانهاتن. وكانت أمي وأبي يتشاجران كثيرًا بسبب ذلك.

في أيام الجُمع كان أبي يغادر عمله مبكرًا ليأتي ويأخذني من المدرسة، وكنا نطلب عادةً الطعام الصيني للعشاء، ونعزف قليلًا على الجيتار، ونشاهد فيلمًا. وكانت أمي تنزعج من أبي لأنه لا يجعلني أنتهي من واجباتي في العطلة الأسبوعية حينما أكون عنده، ولذلك فحينما أعود إلى البيت ليلة الأحد أكون دائمًا متعكر المزاج وأنا أنقش الكلام نقشًا للانتهاء معها من الواجبات. في عطلة الأسبوع الأخيرة على سبيل المثال، كان يجب أن أُذاكر استعدادًا لامتحان الرياضيات، لكنني ذهبت أنا وأبي للعب البولينج، ولم أتمكن قَطُّ من المذاكرة. أنا المذنب!

وعلى الرغم من ذلك، اعتدت بيت بريدجبورت الجديد، وأصدقائي الجُدد، وليوك الهمستر لا الكلب. ولكن أكثر ما أفتقده في نورث ريفر هايتس هو أن والديَّ كانا معًا آنذاك.

ترك أبي بيتنا في الصيف الماضي. كان يتشاجر هو وأمي كثيرًا قبل ذلك، لكنني لا أعرف لماذا ترك البيت في ذلك الصيف. ما حدث أنهما في يوم من الأيام، ومن دون أي تمهيد، قالا لي إنهما يرتبان للانفصال، ويحتاجان إلى «وقت تباعد» يدرسان فيه إن كانا يريدان الاستمرار في الحياة معًا أم لا. قالا لي إن هذا أمر لا علاقة لي به، وإن كلًّا منهما «سيبقى مُحبًّا لي»، وسيراني بقدر ما كان يراني من

قبل. قالا إنهما لا يزالان يتبادلان الحب، ولكن الزيجات كالصداقات، تتعرَّض في بعض الأحيان لاختبارات، فيجب حل هذه الاختبارات.

أتذكَّر أنني قلت لهما:

- الصداقات الجيدة تستحق بذل المزيد من الجهد.

لا أعتقد أن أمي تذكَّرت أنها هي التي قالت لي تلك الجملة من قبل.

مكتبة
t.me/t_pdf

9:56 مساءً

كنت أستمعٍ إلى **جيش الأمم السبع** وأنا أحل الواجبات، وحاولت ألا أُفكِّر أكثر مما يجب في ردِّ الفعل المحتمل من جون غدًا عندما أُخبره بانضمامي إلى الفرقة الأخرى. أعني، لم أعتقد أصلًا أن لديَّ مجالًا للاختيار. إذا بقيتُ في **فرقة روك ما بعد المدرسة** فلن يكون هناك من يعزف **العد التنازلي الأخير** في حفل الربيع إلا أنا وجون، مع عزف السيد بي على الدرامز، وسنبدو كأكبر الحمقى في العالم. فنحن ببساطة لم نكن بعدُ قادرين على العزف بمفردنا. أتذكَّر كيف حاول هاري ألَّا يضحك حينما كان جون يعزف لحنه المنفرد على الجيتار ظهر اليوم. إذا اقتصر الأمر عليَّ أنا وجون فكل الأولاد الحاضرين سيحاولون منع ضحكهم.

ما لم أستطع تصوُّره هو رد فعل جون حينما يعرف. المُفترض من أي شخص عاقل في حالة كهذه أن ينسى أمر العزف في حفل الربيع ليلة الأربعاء تمامًا، ولكن من خلال معرفتي بجون، يمكنني أن أراهن على أنه سيمضي قُدمًا، ويعزف **العد التنازلي الأخير**، ولن يُبالي بأن يجعل من نفسه أضحوكة على هذا النحو. أكاد أتصوَّره وهو يغني بحُرقة، ويعزف على الجيتار، بينما السيد باولز يعزف وراءه على الكيبورد. **السيدات والسادة إليكم فرقة روك ما بعد المدرسة**. الفكرة فقط جعلتني أرثي لحاله. لا يمكن أن ينجح في هذا.

صَعُب عليَّ التركيز في حل الواجبات، فاستغرقت فيه وقتًا أطول مما كنت أتصوَّر. لم أبدأ في المذاكرة لامتحان الرياضيات إلى أن

اقتربت الساعة من العاشرة مساءً، وساعتها فقط تذكَّرت أنني ضائع تمامًا في الرياضيات. انتظرت إلى الدقيقة الأخيرة لكي أُذاكر وأنا لا أفهم في المادة أي شيء.

كان أبي يعمل على اللابتوب في سريره، حينما فتحت باب غرفة نوم الضيوف. بدا منظري سخيفًا وأنا أمسك كتاب رياضيات الصف الخامس الثقيل بين يديَّ.

- هاي بابا.

سأل وهو ينظر من فوق نظارة القراءة:

- ألم تنم بعدُ؟

- أحتاج إلى بعض المساعدة في المذاكرة لامتحان الرياضيات غدًا.

ألقى نظرة سريعة على الساعة الموجودة على المنضدة المجاورة للسرير، وقال:

- تأخرت بعض الشيء، أليس كذلك؟

قلت:

- كانت لديَّ واجبات كثيرة جدًّا، وكان لا بد أن أتدرَّب على الأغنية الجديدة لحفل الربيع الذي سيُقام بعد الغد. هناك الكثير جدًّا من المهام يا أبي.

أطرق، ثم أنزل اللابتوب وضرب على السرير لأجلس في الموضع المجاور له، فجلست، ثم فتحت على صفحة 151.

قلت:

- حسنًا، لديَّ مشكلة مع المسائل الكلامية.

قال مبتسمًا:

- جميل، أنا ممتاز في المسائل الكلامية. دع الأمر لي.

بدأت أقرأ من الكتاب:

- جيل يريد أن يشتري عسلًا من السوق المفتوحة. أحد الباعة يبيع برطمانًا وزنه 26 أوقية بـ3.12 دولار. وبائع آخر يبيع برطمانًا وزنه 16 أوقية بـ2.40 دولار. أيُّ الصفقتين أفضل؟ وكم سعر الأوقية؟ وكم يُوفِّر جيل في حال شرائه لها؟

وضعت الكتاب من يدي، ونظرت إلى أبي، فنظر إليَّ وقد ارتسم على وجهه الخواء.

قال وهو يهرش أذنه:

- إمممم... حسنًا، حسنًا، برطمان الـ26 أوقية... قل ثانيةً ما المطلوب؟ سأحتاج إلى ورقة، ناولني دفتري من هناك.

مددت يدي إلى الطرف الآخر من السرير وناولته الدفتر، فبدأ يُدوِّن فيه، ويطلب مني أن أُكرر السؤال، ثم يُدوِّن ثانيةً.

وقال وهو يدير دفتره لي كي أرى ما دوَّن من أرقام مبعثرة:

- حسنًا، حسنًا. أولًا تقسم لتعرف سعر الأوقية الواحدة، وبعد ذلك...

قلت وأنا أهزُّ رأسي:

- لحظة، لحظة. هذا هو الجزء الذي لا أفهمه. متى تعرف أن عليك أن تقسم؟ ما الذي يجب أن تفعله؟ كيف تعرف؟

طأطأ ناظرًا إلى الأرقام المدوَّنة في دفتره مرَّة ثانية، وكأن الإجابة هناك، ثم قال وهو يرفع نظارة القراءة على أنفه ناظرًا إلى حيث أشرت في الكتاب:

- دعني أنظر إلى السؤال... حسنًا، تعرف أن عليك أن تقسم، لأن، إمممم، حسنًا، لأنك تريد أن تعرف ثمن الأوقية... لأنه يطلب ذلك هنا.

وأشار إلى المسألة. فنظرت بسرعة إلى حيث أشار وهززت رأسي:

- لا أفهم.
- حسنًا، انظر يا كريس، هنا يسأل كم سعر الأوقية.

هززت رأسي من جديد وقلت رافعًا صوتي:

- لا أفهم! أنا أكره هذا! هذا مُقرف!

قال بهدوء:

- لا، لا يا كريس، عليك فقط أن تأخذ نفسًا عميقًا وأن...
- لا، أنت لا تفهم. أنا فعلًا لا أفهم أيَّ شيء من هذا!
- ولهذا أحاول أن أشرح لك.
- هل يمكن أن أسأل ماما؟

خلع نظارته، وفرك عينيه بمعصمه، ورد ببطء:

- كريس، والدتك نائمة، ويجب أن نتركها تستريح الليلة. أثق أننا يمكن أن نجد حلًّا بمفردنا.

بدأت أفرك عينيَّ بأصابعي، فأنزَل يدي عن وجهي برقة.

- لِمَ لا تتصل بأحد أصدقائك في المدرسة؟ ماذا عن جون؟

قلت في ضيق:

- جون في الصف الرابع!
- حسنًا، أليس هناك أحد غيره؟

هززت رأسي:

- لا يوجد من أتصل به. ليس لي في هذا العام صديق من هذا النوع. أقصد أن أصدقائي، بمعنى **أصدقائي**، ليسوا معي في

حصة الرياضيات نفسها، ولا أعرف مَن يحضرون معي حصة الرياضيات إلى هذه الدرجة.

قال وهو يتناول هاتفه:

- إذن اتصل بأحد أصدقائك الآخرين يا كريس. ماذا عن إيليا والآخرين في الفرقة؟ من المؤكد أنهم مروا بهذا الدرس.

غطيت وجهي بيديَّ قائلًا:

- لا يا أبي، أُف. سأرسب حتمًا في هذا الامتحان! أنا لا أفهم الدرس! لا أفهمه!
- اهدأ فقط. ماذا عن أوغي؟ أظن أنه بارع في الرياضيات، أليس كذلك؟

قلت وأنا أهزُّ رأسي:

- لا عليك يا أبي.

وأخذت منه الكتاب:

- سأجد حلًّا بنفسي.

قال:

- كريستوفر!

قلت وأنا أنهض:

- حسنًا يا بابا. سأتصرف بنفسي، أو سأُرسل رسالة إلى أحد. حسنًا.
- بهذه البساطة؟
- حسنًا، شكرًا يا بابا.

وأغلقت الكتاب وقمت.

قال:

- أنا آسف لأنني لم أستطع مساعدتك.

ولوهلة شعرت بالأسف له، فقد بدا مهزومًا بعض الشيء.

قال:

- لكن، بوسعنا أن نحل المشكلة معًا إذا منحتني فرصة أخرى.

قلت وأنا أخرج من الغرفة:

- لا، لا بأس.
- تُصبح على خير يا كريس.
- تُصبح على خير يا بابا.

ذهبت إلى غرفتي، وجلست إلى مكتبي، وفتحت الكتاب على الصفحة 151 من جديد، وقرأت المسألة الكلامية مرَّة أخرى، فلم أسمع منها في رأسي إلا كلمات **جيش الأمم السبع** وحتى تلك بدت لي خالية من المعنى.

وعلى الرغم مما بذلته من جهد وأنا أُحملق في المسألة، فلم أستطع أن أعرف ما الذي يجب عمله فيها.

بلوتو

قبل أسابيع قليلة من انتقالنا إلى بريدجبورت، جاء والدا أوغي إلينا لمساعدة والديَّ في الترتيب للانتقال. كانت شقتنا كلها مليئة بالصناديق.

كنت أنا وأوغي نخوض حرب أسهم نيرف في غرفة المعيشة، جاعلين الصناديق أعداءً فضائيين على بلوتو. وعن طريق الخطأ أصاب أحد أسهم نيرف فيا، وهي جالسة على الأريكة تحاول أن تقرأ كتابها. أو لعلنا، يعني، فعلنا ذلك بشيء قليل من التعمد، **ههههه**.

- كفى!

صاحت فيا أخيرًا حينما أصاب أحد أسهمي كتابها، ثم صرخت:

- ماما!

لكن إيزابيل ونيت كانا في الجانب الآخر من الشقة مع والديَّ، يستريحون قليلًا ويتناولون القهوة في المطبخ.

قالت فيا بشكل جاد:

- هل يمكن يا شباب أن تَكُفَّا؟

أومأتُ أنا، أما أوغي فقد أطلق سهمًا آخر على كتابها، وقال:

- هذه هي الطلقة القنبلة.

وانفجرت أنا وهو في الضحك.

اشتد غضب فيا، وقالت وهي تهزُّ رأسها:

- أنتما سخيفان جدًّا!

وغمغمتْ في استخفاف:

- حرب النجوم!

قال أوغي مشيرًا إليها بقاذفته:

- ليست حرب النجوم، بل بلوتو.

قالت وهي تفتح كتابها:

- بلوتو أساسًا ليس كوكبًا.

أطلق أوغي سهمًا آخر على كتابها:

- ما الذي تقولينه؟ بل كوكب بالطبع!

- كفى يا أوغي وإلا فإنني أقسم أن...

أخفض أوغي فوهة قاذفته وقال مرَّة أخرى:

- كوكب بالطبع!

قالت فيا:

- لا، ليس كوكبًا. **كان** كوكبًا. لا أُصدِّق أنكما، أيها العبقريان، لا تعرفان هذا بعد كل أفلام الفضاء التي تشاهدانها!

لم يرد أوغي على الفور، وبدا كما لو كان يراجع ما قالته للتوِّ.

- ماذا عن أغنية «ماما الشاطرة أرتنا تسعة كواكب»؟ كل الناس يعرفون أن في نظامنا الشمسي تسعة كواكب!

قالت فيا في استخفاف:

- لكن ماما الشاطرة جدًّا جاءتنا بساندويتشات الناكوس للتوِّ! اذهبا فابحثا عن هذه المعلومة. ما أقوله هو الصحيح.

وبدأت تبحث عنها على هاتفها.

ربما مرَّت علينا هذه المعلومة بالفعل في أثناء قراءتنا للكتب العلمية، ومشاهدتنا للحلقات التلفزيونية، لكن أظن أننا لم نفهم

بالفعل ما الذي تعنيه، فقد كنا لم نزل ولدين صغيرين ونحن في مرحلتنا الفضائية، ولم نكن نجيد القراءة إلا بصعوبة.

بدأت فيا تقرأ بصوت مرتفع من هاتفها:

- من ويكيبديا: «اكتشاف أن بلوتو ليس إلا واحدًا من الأجسام الثلجية العديدة الهائلة في النظام الشمسي الخارجي، دفع الاتحاد الفلكي الدولي إلى إصدار تعريف رسمي لـ«الكوكب» في عام 2006. وقد استبعد التعريف بلوتو، وأعاد تصنيفه ووضعه في فئة «الكواكب القزمة» الجديدة (ويُعرف تحديدًا ببلوتويد)». هل تريدان أن أُكمل؟ ما يعنيه ذلك ببساطة هو أن بلوتو أصغر كثيرًا من أن يُعدَّ كوكبًا، وفقط. أنا على حق.

بدا أوغي حزينًا جدًّا، وصاح:

- ماما!

قالت فيا وقد رأت مدى حزنه:

- الأمر ليس كبيرًا يا أوغي.

قال وهو يجري في الطُّرقة:

- بل كبير.

تبعته أنا وفيا إلى المطبخ، حيث كان آباؤنا جالسين حول المائدة وأمامهم مخبوزات بالجبن.

قال أوغي شاكيًا لإيزابيل:

- أنتِ أخبرتني بأغنية «ماما الشاطرة أرتنا تسعة كواكب»...

لا بد أن القهوة تناثرت على ثياب إيزابيل.

قالت:

- ماذا؟

قاطعته فيا:

- لماذا تُثير كل هذه الضجة على هذا الأمر يا أوغي؟

سألت إيزابيل وهي تنقل عينيها بين أوغي وفيا:

- ما الأمر يا شباب؟

صاح أوغي بأقوى ما لديه:

- الأمر كبير!

كانت صرخته عالية لدرجة أن جميع الحاضرين أخذوا يتبادلون النظر فيما بينهم.

قال نيت:

- تمهَّل يا أوغي.

ووضع يده على كتف أوغي فأزاحها عنه.

صاح أوغي في إيزابيل:

- أنتِ قلتِ لي إن بلوتو واحد من الكواكب التسعة! قلتِ إنه أصغر كوكب في المجموعة الشمسية!

قالت إيزابيل في محاولة لتهدئته:

- وهو هكذا يا حبيبي.

قالت فيا:

- لا يا ماما، ليس هكذا! لقد غيَّروا وضع بلوتو الكوكبي سنة 2006، وهو لا يعد الآن أحد الكواكب التسعة في مجموعتنا الشمسية.

ألقت إيزابيل نظرة سريعة على فيا، ثم نظرت إلى نيت:

- فعلًا؟

قال نيت في جدية:

- علمت بذلك. وفعلوا مثل ذلك مع غوفي قبل سنوات قليلة.

ضحك الكبار جميعًا لقوله ذلك.

صرخ أوغي:

- بابا! هذا ليس مضحكًا!

ومن دون مُقدِّمات انفجر في البكاء. دموع غزيرة ونشيج وصياح.

لم يفهم أحد ماذا جرى. أحاطته إيزابيل بذراعيها، فأخذ يبكي مختفيًا في حضنها.

قال نيت وهو يربت على ظهر أوغي برقة:

- ما الأمر يا أوغي دوغي؟ ما الأمر يا صديق؟

سألت إيزابيل بحدة:

- ما الأمر يا فيا؟

قالت فيا وقد اتسعت عيناها في دهشة:

- ليست لديَّ أدنى فكرة. أنا لم أفعل أي شيء.

قالت إيزابيل:

- لا بد أن شيئًا حدث.

سألت أمي:

- كريس، هل تعرف لماذا يبكي أوغي؟

قلت:

- بسبب بلوتو.

سألت أمي:

- وما معنى ذلك؟

هززت كتفي. كنت أفهم لماذا هو حزين، لكنني لم أستطع أن أشرح لهم السبب بالضبط.

أخيرًا قال أوغي وسط بكائه:

- أنتِ... قلتِ... إنه... كوكب.

حتى في الظروف العادية، كان يصعب فهم كلام أوغي في بعض الأحيان. ووسط نوبة بكاء، كان ذلك أصعب.

همست إيزابيل:

- ماذا يا حبيبي؟

كرَّر أوغي وهو يرفع عينيه إليها:

- أنتِ... قلتِ... إنه... كوكب.

قالت وهي تمسح دموعه بأصابعها:

- كنتُ أحسبه كذلك يا أوغي. لا أعرف يا حبيبي. أنا لستُ مُعلِّمة علوم. وأنا صغيرة كانت الكواكب تسعة. لم يخطر لي أن هذا يمكن أن يتغيَّر.

انحنى نيت بجواره وقال:

- لكن حتى إذا توقفوا عن اعتباره كوكبًا يا أوغي، فأنا لا أفهم لماذا يحزنك هذا بهذه الطريقة!

طأطأ أوغي. لكنني كنت أعلم أنه لا يستطيع أن يشرح دموعه البلوتية.

10:28 مساءً

في العاشرة والنصف تقريبًا، كنت قد يئست من امتحان الرياضيات في الغد. أرسلت رسالة إلى جيك، وهو في حصة الرياضيات معي، ورسائل إلى بضعة أولاد آخرين عبر فيسبوك. وعندما سمعت رنين هاتفي، تصوَّرت أن تكون رسالة من أحد أولئك الأولاد، ولم يكن ذلك صحيحًا، حيث كانت الرسالة من أوغي:

هاي يا كريس،

سمعتُ حالًا أن والدتك ذهبت إلى المستشفى.

آسف. أرجو أن تكون بخير.

لم أُصدِّق أنه يراسلني في اللحظة التي كنت أُفكِّر فيها به. إنه نوع من التخاطر.

رددت عليه:

هاي يا أوج،

شكرًا. هي بخير. هو كسر في الفيمور. لديها جبيرة هائلة.

أرسل لي صورة وجه حزين.

أرسلت إليه:

اضطر أبي إلى حملها، وصعود السلم بها، وظلَّا يتخبطان في الجدار.

أرسل لي صورة وجه ضاحك.

أرسلت إليه:

كنت سأتصل بك اليوم لأُخبرك كم أنا حزين على دايزي :((((

أرسل لي:

أوه نعم! شكرًا.

وصورة وجه باكٍ.

أرسلت إليه:

هاي، هل تتذكَّر مغامرات دارث دايزي في المجرَّة؟

تلك قصة مصوَّرة كنا نرسمها معًا عن رائدي فضاء اسمهما «غليبو» و«توم»، يعيشان على بلوتو، وعندهما كلبة اسمها دارث دايزي.

رد قائلًا:

هههههه، نعم. الميجور غليبو.

الميجور توم.

كانت أوقاتًا سعيدة.

أرسلت إليه قائلًا:

كانت دايزي أعظم كلبة في الكون!

وصورة إبهام مرفوعة، وكنت أبتسم.

أرسل إليَّ صورة لدايزي. كان قد مر وقت طويل منذ أن رأيتها، وبدا في الصورة أن وجهها صار أبيض تمامًا، وغامت عيناها تقريبًا، لكن أنفها بقيورديًّا، ولسانها بالغ الطول لا يزال يتدلَّى من فمها.

أرسلت إليه:

شديدة الجمال دايزي!!!!

دارث دايزي!!!!

ثم كتبت له:

هههههه، هذه التحية لفيا.

هل تتذكَّر الطلقة القنبلة؟

ههههههههههه.

كنت أبتسم كثيرًا في تلك اللحظة، كانت في الحقيقة أفضل وقت في يومي.

واصلت:

كان ذلك في أيام غرامنا ببلوتو.

هل كان غرامنا بحرب النجوم قد بدأ؟

بالمناسبة، هل لا تزال لديك جميع التماثيل الصغيرة؟

قال:

نعم، لكنني تخلَّصت من بعضها أيضًا.

عمومًا، يا غليبو، ماما تطلب مني الذهاب للنوم الآن.

أنا سعيد لأن والدتك بخير.

أومأتُ. لم يكن المجال يسمح أن أطلب منه المساعدة في الرياضيات في تلك اللحظة وإلا لبدا ذلك في غاية الوضاعة.

جلستُ على طرف السرير وبدأت أرد على رسالته، وقبل أن أنتهي، أرسل إليَّ رسالة أخرى:

تريد ماما في الحقيقة أن تُكلِّمك.

تريدك عبر فيس/ تشات.

هل لديك وقت؟

نهضتُ، قائلًا:

بالتأكيد.

بعد ثانيتين، تلقيتُ طلبًا من فيس/تشات، ورأيت إيزابيل على الهاتف.

قلتُ:

- أوه، هاي إيزابيل.

قالت:

- هاي كريس.

أدركت أنها في المطبخ.

قالت:

- كيف حالك؟ تكلَّمتُ اليوم مع والدتك. كنت أريد أن أطمئن عليكم جميعًا، وعلى عودتكم إلى البيت سالمين.
- نعم، عُدنا.
- وهي، أليست بخير؟ لا أُحب أن أُوقظها إذا كانت نائمة.

قلت:

- هي نائمة بالفعل.
- أوه، جيد. هي في حاجة إلى الراحة. هذه جبيرة ضخمة.
- سيبيت بابا معنا الليلة.

قالت في سعادة:

- عظيم! أنا سعيدة بذلك جدًّا. وأنت، كيف حالك؟
- أنا بخير.
- والمدرسة؟

- جيدة.

ابتسمت إيزابيل، وقالت:

- أخبرتني ليزا أنك اشتريت لها ورودًا جميلة اليوم.

قلت مُبتسمًا ومُومئًا:

- نعم.

- حسنًا. أردتُ فقط أن أطمئن وأُسلِّم عليك يا كريس، وأُريدك أن تعلم أننا نُفكِّر فيكم دائمًا، وإذا كان بوسعنا أن نفعل أي شيء...

قلت فجأة:

- أنا حزين بشأن دايزي.

أومأت إيزابيل:

- أوه، شكرًا لك يا كريس.

- لا بد أنكم حزانى جدًّا.

- نعم، إنه أمر مُحزن. كان لها حضور جميل في بيتنا. يعني، أنت تعرف. كنتَ موجودًا حينما جاءت للمرَّة الأولى، أتذكُر؟

قلت:

- كانت هزيلة جدًّا.

كنتُ مُبتسمًا، وفجأة، ومن دون مُقدِّمات، ارتعش صوتي قليلًا.

ضحكت وقالت:

- بلسانها الطويل ذلك.

أومأتُ، وشعرتُ بغصة في حلقي، وكأنني أُوشك على البكاء.

نظرت إليَّ في اهتمام، وقالت بهدوء:

- أوه يا حبيبي، الأمور بخير.

كانت والدة أوغي دائمًا مثل أُم ثانية لي. أعني، بعد والديَّ، وربما

جدتي. كانت إيزابيل بولمان تعرفني أكثر من أي أحد.

همستُ:

- أعرف.

كنت لا أزال أبتسم، لكن ذقني كانت ترتعش.

سألتني:

- أين والدك يا حبيبي؟ هل يمكن أن تُعطيه الهاتف؟

هززت كتفي:

- أعتقد أنه... يمكن أن يكون نائمًا الآن.

قالت برقة:

- أثق أنه لن يغضب إذا أيقظته الآن. اذهب وأعطه الهاتف، أنا سأنتظر.

دخل أوغي إلى الشاشة، وسألني:

- ما الأمر يا كريس؟

هززت رأسي، مغالبًا دموعي. لم يكن بوسعي أن أتكلَّم. كنت أعلم أنني لو تكلمت فسأبكي.

قالت إيزابيل وقد قرَّبت وجهها من الشاشة:

- كريستوفر، والدتك ستكون بخير يا حبيبي!

قلت وقد انهار صوتي، ثم خرج مني:

- أعلم. لكنها كانت في السيارة بسببي! لأنني نسيتُ الترومبون! لو لم أنسَ أغراضي، لما تعرَّضت للحادث. كان خطئي أنا! كان يمكن أن تموت!

اندفع كل هذا من فمي وسط نوبة بكاء هِستيري.

10:52 مساءً

أعطت إيزابيل الهاتف لأوغي لتتصل بأبي على هاتفه، وتُخبره أنني أبكي بكاءً هِستيريًّا في غرفتي. وبعد دقيقة، جاء أبي إلى غرفتي وأنهيت الاتصال مع أوغي.

وضع أبي ذراعيه حولي، وعانقني بقوة، وقال:

- كريس!
- كان خطئي يا بابا! خطئي أنها كانت تقود!

حرَّرني من ذراعيه، وجعل وجهه أمامي، وقال:

- انظر إليَّ يا كريس. هذا لم يكن بسببك.

تمخطت وقلت:

- كانت عائدة إلى المدرسة بأغراضي. قلت لها أسرعي. ربما كانت مُسرعة.

قال:

- لا يا كريس، لم تكن مُسرعة. صدِّقني. ما حدث اليوم كان مجرد حادثة، لم يكن لأحد ذنب فيها، مجرد حظ عثر. انتهى الأمر؟

أشحت بنظري.

كرَّر:

- انتهى الأمر؟

أطرقت.

- والأهم أن أحدًا لم يُصب بضرر كبير. ماما بخير. انتهى الأمر يا كريس؟

كان يمسح دموعي بينما أنا مُطرق.

قلت:

- ظللتُ أقول لها يا ليزا، وهي تكره أن أناديها بـ«ليزا»! آخر ما قالته لي هو «أُحبك»، وكان ردي «إلى اللقاء يا ليزا»، ومن دون حتى أن ألتفت إليها!

تنحنح أبي وقال ببطء:

- كريس! لا تقسُ على نفسك أرجوك. والدتك تعرف أنك تُحبها حبًّا كبيرًا. اسمع، ما حدث اليوم كان أمرًا مُخيفًا، وطبيعي أن تحزن. وحينما يقع شيء مخيف كالذي وقع اليوم فهو جرس إنذار، أتفهم؟ يجعلنا نعيد النظر في كل ما هو مهم في الحياة: أُسرتنا، أصحابنا، مَن نُحبهم.

كان ينظر إليَّ وهو يتكلم، لكنني شعرت أنه يُكلِّم نفسه. كانت عيناه مُغرورقتين بالدموع.

- فلنحمد الله على أن والدتك بخير، حسنًا يا كريس؟ ولسوف نعتني بها معًا عناية ممتازة، اتفقنا؟

أومأتُ، لكنني لم أحاول قول شيء. كنت أعرف أن أي كلام لن يخرج مني إلا مصحوبًا بمزيد من الدموع.

قرَّبني أبي منه، لكنه لم يقل شيئًا هو الآخر. ربما للسبب نفسه!

10:59 مساءً

بعدما نجح أبي في تهدئتي قليلًا، اتصل بإيزابيل ليُخبرها أن كل شيء على ما يُرام. ثرثرا قليلًا ثم أعطاني أبي الهاتف.

كان أوغي على الخط. قال:

- هاي، والدك يقول إنك تحتاج إلى بعض المساعدة في الرياضيات.

قلت في خجل وأنا أتمخَّط:

- أوه، نعم. لكن الوقت تأخَّر. ألا يجب أن تنام الآن؟

- ماما ليس لديها مانع إطلاقًا من أن أُساعدك. هيَّا إلى فيس/ تشات.

وبعد ثانيتين كان على الشاشة.

قلت وأنا أفتح كتابي:

- عندي مشكلة مع المسائل الكلامية. أنا ببساطة... لا أفهم كيف نعرف العملية التي علينا القيام بها. متى يكون الضرب ومتى تكون القسمة. شيء مُحير جدًّا!

أومأ قائلًا:

- أوه، هذا هو الأمر. انظر، من المؤكَّد أن لديَّ مشكلات في ذلك أنا أيضًا. لكن، هل حفظت الكلمات المفتاحية؟ لقد ساعدتني كثيرًا.

لم أكن أعرف نهائيًّا عن أي شيء يتكلَّم.

قال:

- سأُرسل إليك ملف بي دي إف.

وبعد ثانيتين طبعتُ الملف البي دي إف الذي أرسله إليَّ، وفيه قائمة بمجموعة كلمات رياضية.

شرح أوغي:

- إذا عرفت الكلمات المفتاحية التي يجب أن تبحث عنها في المسألة الكلامية، فقد عرفت العملية التي يجب أن تُجريها. فمثلًا، كلمات مثل: «لكل» أو «كل» أو «بالتساوي»، تعني أن العملية هي القسمة، وكلمات مثل: «بهذا المعدل» أو «المضاعف»، تعني أن العملية هي الضرب. فهمت؟

واستعرض معي كلمات القائمة كلها واحدة تلو الأخرى، إلى أن بدأت أخيرًا تتضح شيئًا فشيئًا. ثم استعرضنا جميع المسائل في الكتاب. بدأنا بالأمثلة المُجاب عنها في البداية، وتبيَّن أنه كان على حق: فبمجرد أن عثرت على الكلمة المفتاحية في كل مسألة، عرفت ماذا عليَّ أن أفعل. واستطعتُ أن أحل بمفردي أغلب مسائل كتاب التمارين، ومع ذلك مررنا عليها واحدة تلو الأخرى بعد انتهائي منها، لمجرد التأكد من أنني فهمت المسألة بالفعل.

11:46 مساءً

الكتب المفضَّلة لديَّ دائمًا هي كتب الألغاز. كأن يبدأ الكتاب وأنت لا تعرف شيئًا ما، ثم في نهاية الكتاب تعرفه. والمفاتيح تكون موجودة طوال الوقت، ولكنك فقط لم تكن تعرف كيف تقرأها. ذلك ما شعرت به بعد الحديث مع أوغي. وهكذا اللغز الهائل الذي لم أكن أفهمه من قبل، الآن، وفجأة، صار محلولًا تمامًا.

قلت له بعدما انتهينا من آخر مسألة:

- أنا لا أُصدِّق أنني أخيرًا فهمت هذا! شكرًا جزيلًا لك يا أوج! شكرًا لك بالفعل!

ابتسم واقترب من الشاشة قائلًا:

- في خِدمتك.
- أنا مدين لك تمامًا بمعروف.

هزَّ أوغي كتفيه:

- لا تقل ذلك. الأصدقاء بعضهم لبعض، أليس كذلك؟

أومأت قائلًا:

- بلى.
- تُصبح على خير يا كريس. اتصل قريبًا.
- تُصبح على خير يا أوج. شكرًا لك مرَّة ثانية. إلى اللقاء.

أنهى الاتصال، وأغلقت كتابي.

ذهبت إلى غرفة الضيوف لأُخبر أبي أن أوغي ساعدني في فهم كل مسائل الرياضيات، لكنه لم يكن في الغرفة. طرقتُ باب الحمَّام،

لكنه لم يكن هناك أيضًا. ثم لمحتُ باب غرفة نوم أمي مفتوحًا، ورأيتُ ساقَي أبي مفرودتين على كرسي بجوار التسريحة. لم أستطع أن أرى وجهه من الطُّرقة، فدخلت بهدوء لأُخبره أنني انتهيت من الحديث مع أوغي.

في تلك اللحظة رأيت أنه نام على الكرسي، وكان رأسه مائلًا إلى جانب، ونظارته على طرف أنفه، واللابتوب على حِجره.

سِرتُ على أطراف أصابعي نحو الخِزانة، فأتيت ببطانية ووضعتها على ساقيه. فعلتُ ذلك بمنتهى الهدوء لكي لا أُوقظه. ورفعت اللابتوب عن حِجره ووضعته فوق التسريحة، ثم سِرتُ إلى جانب السرير الذي كانت أمي نائمة عليه. حينما كنتُ صغيرًا كان النوم يغلب أمي وهي تقرأ لي قبل النوم، وكنتُ ألمسها لتستيقظ إن نامت قبل أن تُنهي الكتاب، لكنها في بعض الأحيان لم تكن تستطيع أن تقاوم، فكانت تنام بجواري، فأستمع إلى أنفاسها الرقيقة إلى أن أنام أنا الآخر.

مضى وقت طويل منذ أن كنت أراها وهي نائمة. وفيما كنت أنظر إليها في تلك اللحظة، بدت صغيرة بعض الشيء في عينيَّ. لم أكن أتذكَّر نمش خدَّيها. لم ألحظ من قبل الخطوط الرهيفة في جبينها.

شاهدتها وهي تتنفَّس لبضع ثوانٍ، ثم قلت:

- أُحبكِ يا ماما!

لم أرفع صوتي بذلك، لأنني لم أُرد أن أُوقظها.

11:59 مساءً

كان الليل قد انتصف تقريبًا عندما عُدت إلى غرفتي. كل شيء كان كما تركته في الصباح: سريري لم يزل غير مُرتَّب، وثياب النوم مُلقاة على الأرض، وباب خِزانة الثياب كان مفتوحًا على اتساعه. كانت أمي في العادة تُرتِّب غرفتي بعد أن تُوصلني إلى المدرسة في الصباح، لكن الفرصة لم تسنح لها اليوم بالطبع لتفعل ذلك.

شعرت أن أيامًا مضت منذ أن أيقظتني أمي في الصباح!

أغلقتُ باب الخِزانة، ورأيتُ في تلك اللحظة الترومبون مسنودًا إلى الجدار. لم يقع الحادث إذن وهي في طريق عودتها بأغراضي في الصباح! أشعرني ذلك بقدر عظيم من الارتياح، لا أعرف لماذا.

وضعتُ الترومبون بجوار باب غرفة النوم، لكي لا أنساه مرَّة أخرى عند ذهابي إلى المدرسة في الغد، ووضعتُ بحث العلوم، وبنطال الرياضة القصير، في حقيبتي.

ثم جلستُ إلى مكتبي، ومن دون مزيد من التفكير في الأمر، رددتُ على رسالة إيليا:

هاي إيليا،

شكرًا لك على عرضك بالانضمام إلى فرقتكم.

لكنني سأبقى مع جون في حفل الربيع.

حظًّا سعيدًا مع جيش الأمم السبع.

حتى لو بدوتُ أبله تمامًا في حفل الربيع، فلا يمكن أن أتخلَّى عن جون بهذه الطريقة!

هكذا هم الأصدقاء، بعضهم لبعض، أليس كذلك؟ لتكن أغنية **العد التنازلي الأخير!**

أحيانًا تكون الصداقات صعبة!

ارتديت ثياب النوم، وغسلت أسناني، ودخلت إلى السرير، ثم أطفأت المصباح المجاور لسريري. كانت نجوم السقف فوق سريري تسطع بضوء أخضر مثلما تكون دائمًا بعد أن أُطفئ المصباح.

استلقيتُ على جنبي، فوقعت عيناي على نور أخضر يُشبه نور نجمة على الأرض. إنها النجمة التي وضعتها أمي على جبهتي في صباح اليوم، وكنت قد رميتها عبر الغرفة.

نهضتُ من السرير، وتناولتها، ولصقتها على جبهتي، ثم عُدت إلى السرير وأغمضت عينيَّ.

نحن راحلون معًا
لكنه يبقى وداعًا
عسى أن نعود إلى الأرض
مَن يدري؟
لا أعتقد أن أحدًا يُلام
نحن راحلون عن الأرض
فهل ستعود الأشياء يومًا إلى ما كانت عليه؟

إنه العد التنازلي الأخير!

النهاية

شنغالنغ

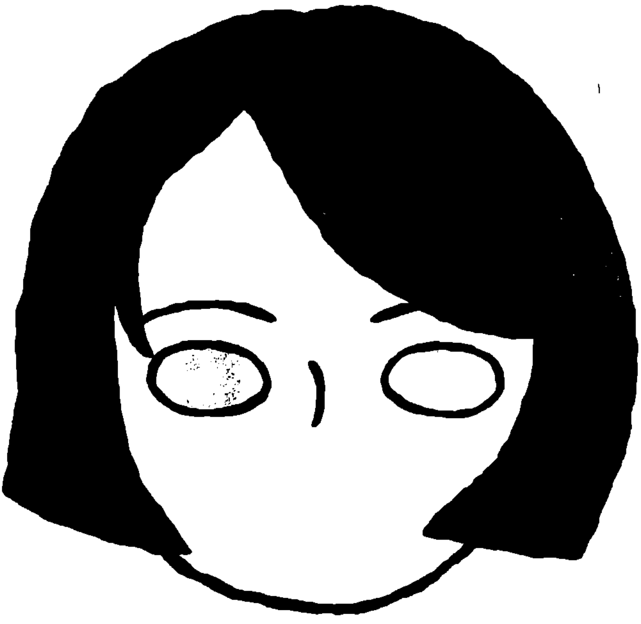

قصة من أعجوبة

«في كل ربيع
تعود شابًّا من جديد
وتُغني الجِنيّات».
جِنيّات زهور الربيع، 1923

***

«لا أحد يرقص شنغالنغ مثلما أرقصها».
الإخوة آيزلي، «لا أحد إلا أنا»

هكذا كنتُ أسير إلى المدرسة

كان في شارع «مين» رجل أعمى يعزف على الأكورديون. كنت أراه كل يوم في طريقي إلى المدرسة، يجلس على كرسي بسيط أسفل مظلة سوبر ماركت «آيه آند بي» عند منعطف طريق «مور»، وكلبه المُبصر رابض على بطانية أمامه، وحول عنقه شريط أحمر، وهو كلب لابرادور أسود، وقد عرفت نوعه لأن أختي بياتريكس سألت الرجل يومًا:

- معذرة يا سيدي، ما نوع هذا الكلب؟

قال الرجل:

- جوني لابرادور سوداء يا آنستي.
- إنها لطيفة جدًّا. هل يمكن أن أربت عليها؟
- يُفضَّل ألَّا تفعلي، فهي الآن تعمل.
- حسنًا. شكرًا لك. أرجو لك يومًا طيبًا.
- إلى اللقاء يا آنستي.

لوَّحت له أختي، ولم يكن بوسعه أن يعرف هذا، فلم يرد تلويحتها. كانت بياتريكس في الثامنة آنذاك. أعرف هذا لأن ذلك اليوم كان يومي الأول في بيتشر الإعدادية.

لم أُكلِّم عازف الأكورديون مباشرة قَطُّ. أكره أن أعترف بذلك، لكنني كنت تقريبًا أخاف منه في ذلك الحين. كانت عيناه، المفتوحتان دائمًا، غائمتين وضبابيتين. كانتا بلون القشدة، وشبيهتين بالكرات الزجاجية البيضاء المشوَّهة، وكنت أجفل لرؤيتهما. كنت أخاف بعض الشيء من كلبته، ولم يكن لذلك أي معنى في الحقيقة لأنني في العادة

أُحب الكلاب. أعني، أنا أصلًا **عندي** كلب. لكنني كنت أخاف من كلبته التي كان لها فم رمادي وعينان فيهما شيء من اللزوجة أيضًا. لكن على الرغم من أنني كنت أخاف منهما، أي من عازف الأكورديون وكلبته، فقد كنت دائمًا أُلقي بدولار في علبة الأكورديون المفتوحة أمامه. وبطريقة ما، ومع أنه كان يعزف على الأكورديون، ومع أنني كنت أتعمد الهدوء أثناء مشيي، كان عازف الأكورديون دائمًا يسمع صوت ورقة الدولار وهي تسقط في علبة الأكورديون: **سووووش!!**

كان يقول وهو يومئ في اتجاهي:

- بارك الرب أمريكا.

وفي كل مرَّة كان ذلك يدهشني: كيف يستطيع أن يسمع ذلك؟ وكيف يعرف الاتجاه الذي يومئ إليه؟

أوضحت لي أمي أن العميان تزداد لديهم قوة حواس أخرى لتعويض الحاسة التي فقدوها. وبسبب كونه أعمى، كان ذا سمع فائق.

جعلني ذلك بالطبع أتساءل إن كانت لديه قدرات خارقة أخرى. ففي الشتاء مثلًا، حينما يتجمد كل شيء من البرد، هل تكون لأصابعه طريقة سحرية في البقاء دافئة وهي تمر على المفاتيح؟ وكيف تظل بقية أعضاء جسمه دافئة أيضًا؟ في الأيام قارسة البرودة التي كانت أسناني تصطك فيها بمجرد أن أقطع بضعة شوارع وأنا أسير في الريح الثلجية، كيف كان يبقى دافئًا لدرجة أن يعزف على الأكورديون؟ كنت في بعض الأحيان أرى أنهارًا صغيرة متجمدة في أجزاء من شاربه ولحيته، أو أراه يمد يده ليطمئن على أن كلبته مغطاة بالبطانية، فكنت أعرف أنه **يشعر** بالبرد، لكن كيف كان يستمر في العزف؟ لو أن هذه ليست قدرة خارقة، فأنا لا أعرف ماذا تكون.

في الشتاء، كنت أطلب من أمي دائمًا دولارين لأضعهما في علبة الأكورديون بدلًا من دولار واحد.

سووووش، سووووش!!

- بارك الرب أمريكا.

كان يعزف دائمًا ثماني أغنيات أو عشرًا، إلا في الكريسماس، فيعزف «رودلف الرنة ذات الأنف الأحمر»، و«اسمعوا، ملائكة البشارة تغني». وفيما عدا ذلك، هي الأغنيات نفسها. عرفت أمي أسماء بعضها: «دليلة»، و«ثيمة لارا»، و«تلك كانت الأيام». قمت بتنزيل كل الأغنيات التي ذكرت عناوينها، وكانت على حق، تلك فعلًا كانت الأغنيات. لكن لماذا هذه الأغنيات فقط؟ أكانت هي الأغنيات الوحيدة التي تعلَّم عزفها، أم كانت الأغنيات الوحيدة التي أصبح يتذكَّرها، أم كان يعرف مجموعة أغنيات أخرى واختار أن يعزف تلك الأغنيات فقط؟

كل تلك التساؤلات لم تقدني إلا إلى مزيد من التساؤلات: متى تعلَّم العزف على الأكورديون؟ حين كان ولدًا صغيرًا؟ هل كان مُبصرًا في ذلك الوقت؟ وإذا لم يكن يرى، فكيف أمكنه أن يقرأ الموسيقى؟ أين نشأ؟ أين عاش قبل أن ينتقل إلى منعطف شارع «مين» وطريق «مور»؟ كنت أراه ومعه كلبته يسيران في بعض الأحيان، فيمسك بيمناه طوق الكلبة، ويحمل بيسراه علبة الأكورديون. كانا يتحركان ببطء شديد، ولم يبدُ أن بوسعهما الابتعاد كثيرًا. فإلى أين كانا يذهبان؟

كان يمكن أن أطرح أسئلة كثيرة عليه لو لم أكن خائفة منه، لكنني لم أطرحها قَطُّ، كنت أُعطيه ورقات الدولارات فقط.

سووووش!!

- بارك الرب أمريكا.

بلا تغيير في كل مرَّة.

عندما كبرتُ، وتضاءل خوفي منه، لم تبدُ الأسئلة التي كنت أود طرحها عليه ذات أهمية كبيرة بالنسبة إليَّ. فلعلي اعتدته وحسب، واعتدت رؤيته، فلم أعد أُفكِّر في عينيه الضبابيتين أو فيما إذا كانت لديه قوى خارقة. لا أقول إنني توقفت عن إعطائه الدولار حين أمر به أو أي شيء، لكنها باتت في حكم العادة، كأن تمرر بطاقة المترو في بوابة المرور.

سووووش!!

- بارك الرب أمريكا.

عندما بدأت الصف الخامس، لم أعد أراه مطلقًا، لأنني لم أعد أمر به في طريقي إلى المدرسة. فمدرسة بيتشر الإعدادية كانت أقرب إلى منزلي من مدرسته الابتدائية، فأصبحت أسير إلى المدرسة برفقة بياتريكس وأختي الكبرى آيمي، وأسير راجعة من المدرسة برفقة أعز صديقاتي إيلي، وكذلك مايا ولينا المقيمتين بالقرب مني. وكان يحدث بين الحين والآخر في بداية السنة الدراسية أن نذهب لشراء بعض الأطعمة الخفيفة من «آيه آند بي» بعد المدرسة وقبل التوجُّه إلى البيت، فكنت أرى عازف الأكورديون وأعطيه الدولار وأسمع مباركته لأمريكا. لكن مع اشتداد البرد، لم نعد نفعل ذلك كثيرًا. وبعد مُضي أيام من إجازة الشتاء ذهبت أنا وأمي في عصر أحد الأيام إلى «آيه آند بي»، وأدركت أن الشيخ الأعمى عازف الأكورديون في شارع «مين» لم يعد هناك.

ذهب.

هكذا قضيتُ إجازتي الشتوية

يقول مَن يعرفني إنني أميل جدًّا إلى الدراما. لا أعرف لماذا يقولون ذلك، خصوصًا أنني فعلًا، فعلًا، فعلًا، لا أميل إلى الدراما. لكنني عندما اكتشفت ذهاب عازف الأكورديون، شعرت أنني افتقدته! لا أعرف السبب في الحقيقة، لكنني لم أستطع التوقف عن التفكير فيما قد جرى له، حتى تحوَّل ذلك إلى هاجس، وبدا أقرب إلى لغز يجب عليَّ أن أحله. ما الذي جرى حقًّا للأعمى الذي كان يعزف الأكورديون في شارع «مين»؟

لم يبدُ أن أحدًا يعرف. سألت أنا وأمي المحاسبين في السوبر ماركت، وسألنا عاملة مغسلة البخار، والرجل في محل النظارات في الجهة المقابلة، إن كانوا يعرفون أي شيء عنه، بل إننا سألنا شرطيًّا كان يُسلِّم تذاكر انتظار السيارات في الشارع، والجميع عرفوا عمَّن نتكلم، لكن لم يعرف أحد ما حدث له، كل ما في الأمر أنه في أحد الأيام، اختفى، لم يعد له وجود! قال لنا الشرطي إن المتشرِّدين يُؤخذون في الأيام شديدة البرودة إلى ملاجئ في المدينة لكي لا يتجمَّدوا حتى الموت. كان يظن أن هذا ما حدث لعازف الأكورديون. لكن عاملة مغسلة البخار قالت إنها تعلم علم اليقين أن عازف الأكورديون ليس متشرِّدًا. كانت تعتقد أنه يعيش في مكان ما في ريفرديل، لأنها كانت تراه ينزل من حافلة بي إكس 3، ومعه كلبته، في وقت مبكر من الصباح. وقال الرجل في محل النظارات إنه على يقين من أن عازف الأكورديون كان عازف جاز شهيرًا في يوم من الأيام، وأنه ثري جدًّا، ولا يجب أن أشعر بالقلق عليه.

ربما تتصوَّرون أن هذه الإجابات أراحتني، أليس كذلك؟ لكنها لم تفعل، بل أثارت جملة أخرى من الأسئلة فزادتني فضولًا تجاهه. منها: هل كان يقضي الشتاء في مأوى للمتشرِّدين؟ هل كان يعيش في بيته الجميل في ريفرديل؟ هل كان حقًّا عازف جاز شهيرًا؟ هل كان ثريًّا؟ وإذا كان ثريًّا، فلماذا كان يعزف بمقابل مادي؟

بالمناسبة، ضجرت أسرتي كلها من حديثي عنه.

قالت بياتريكس مثلًا:

- تشارلوت، إذا تكلَّمتِ عنه مرَّة أخرى، فسأتقيَّأ عليكِ من رأسكِ حتى قدميكِ!

وقالت آيمي:

- تشارلوت، ألا يمكن أن تنسي الأمر؟

الوحيدة التي اقترحت طريقة جيدة لـ«توجيه» طاقتي هي أمي، وهي أن أبدأ حملة تبرُّع بالمعاطف في حيِّنا لصالح المتشرِّدين. وبالفعل، وزَّعنا إعلانات تُطالب الناس بالتبرُّع بمعاطفهم ذات «الحالة الجيدة»، وتركها في أكياس بلاستيكية داخل صندوق ضخم وضعناه أمام بيتنا. وبعد أن جمعنا نحو عشرة أكياس ضخمة مليئة بالمعاطف، أخذتها أنا وأمي وأبي إلى وسط البلد لتسليمها كتبرُّع لإرسالية باوري. لا بد أن أقول إن شعورًا طيبًا انتابني نتيجة منح كل هذه المعاطف لمن هم في أمسِّ الحاجة إليها.

تلفتُّ حولي وأنا في الإرسالية مع والديَّ، عسى أن أرى عازف الأكورديون هناك، لكني لم أره. على أي حال، كنت أعرف أن لديه معطفًا لطيفًا بالفعل: سترة برتقالية ساطعة من نوع كندا جوز، جعلت أمي ترجو أن تكون الشائعات المُتعلِّقة بثرائه صحيحة بالفعل.

قالت ماما:

- نحن لا نرى الكثير من المتشرِّدين يرتدون سترات كندا جوز.

حينما عُدت إلى المدرسة بعد الإجازة الشتوية، هنأني السيد توشمان مدير المدرسة الإعدادية على إطلاقي حملة التبرُّع بالمعاطف. لا أعلم كيف عرف، لكنه عرف. كان من المعروف بصفة عامة بيننا أن السيد توشمان لديه ما يُشبه طائرة مراقبة سرية تُسجِّل كل ما يجري في بيتشر الإعدادية؛ فما من طريقة أخرى يمكن أن يعرف من خلالها كل ما بدا أنه يعرفه.

قال:

- تلك طريقة جميلة لقضاء إجازتكِ الشتوية يا تشارلوت.

- آه، شكرًا لك يا سيد توشمان.

كنت أُحب السيد توشمان، فقد كان لطيفًا دائمًا. وأكثر ما كنت أُحبه فيه أنه كان من أولئك الأساتذة الذين لا يُكلِّمونك أبدًا وكأنك طفل صغير. فهو دائمًا يستعمل كلمات معناها كبير، مُفترضًا أنك تعرفها وتفهمها، ولا يشيح أبدًا بنظره عنك وأنت تُكلِّمه. وكنت أحب فيه أيضًا أنه يرتدي دائمًا حمَّالات، وربطة عنق الفراشة، وحذاء رياضيًّا أحمر.

سألني:

- هل يُمكنكِ أن تساعديني في تنظيم حملة تبرُّع بالمعاطف هنا في بيتشر الإعدادية؟ الآن وقد صرتِ خبيرة في الأمر، أُحب جدًّا أن أستفيد بخبرتك.

قلت:

- بالتأكيد.

وهكذا اشتركت فيما أصبح حملة بيتشر الإعدادية السنوية الأولى للتبرُّع بالمعاطف.

على أي حال، بين حملة التبرُّع بالمعاطف، وما كانت تشهده المدرسة من دراما حينما عُدت بعد إجازتي الشتوية (المزيد من التفاصيل لاحقًا)، لم تبقَ لديَّ فرصة حقيقية لحل لغز ما جرى للرجل الأعمى الذي كان يعزف الأكورديون في شارع «مين». بدا أن إيلي هي الأقل اهتمامًا بمساعدتي في حل اللغز، على الرغم من أن ذلك من الأشياء التي كان يمكن أن تهتم بها تمامًا قبل أشهُر قليلة. أما مايا ولينا فلم يبدُ أصلًا أنهما يتذكَّرانه. في الحقيقة لم يبدُ أن أحدًا يبالي بما حدث له على الإطلاق، فما كان مني أنا أيضًا إلا أن نسيت الموضوع في النهاية.

ومع ذلك، ظللتُ بين الحين والآخر أُفكِّر في عازف الأكورديون، وبين الحين والآخر، كانت تعاودني أغنية من الأغنيات التي كان يعزفها، فأظل أُدندن بها طوال اليوم.

هكذا بدأتْ حرب الأولاد

الشيء الوحيد الذي لم يجد الجميع سواه ليتكلَّموا عنه حينما عُدنا من الإجازة الشتوية هو «الحرب»، أو «حرب الأولاد» كما كان يُقال عنها أيضًا. بدأت الحكاية كلها قبل إجازة الشتاء. كان جاك ويل قد تعرَّض للفصل قبل أيام قليلة من الإجازة بسبب لَكمِه لجوليان ألبانز في فمه. **الآن كلِّموني عن الدراما**. وكان هذا هو محور نمائم الجميع. وإن لم يعرف أحد بالضبط لماذا فعل جاك ذلك. تصوَّرت الغالبية أن الأمر له علاقة بأوغي بولمان. وللتوضيح، لا بد أن تعلموا أن أوغي بولمان هو ولدٌ في مدرستنا، لديه مشكلات خِلقية جسيمة جدًّا في وجهه. وحين أقول جسيمة، فأنا أعني **جسيمة**، أي جسيمة **فعلًا**. فليس من قسماته ما يُوجد في مكانه الطبيعي. وهو أمر صادم حين تراه للمرَّة الأولى، إذ يبدو كأنه يرتدي قناعًا أو شيئًا ما. وحينما التحق ببيتشر الإعدادية، لاحظه **الجميع**، وكان من المستحيل ألَّا يلاحظه أحد.

كان قليل من الأولاد - مثلي أنا وجاك وسمر - لُطفاء معه منذ البداية. فكنتُ أُلقي عليه التحية حينما أمر به في الطُّرقة، فأقول دائمًا «هاي يا أوغي، كيف حالك؟» وأشياء من هذا القبيل. ومن المؤكد أن جزءًا من أسباب ذلك أن السيد توشمان طلب مني أن أكون ضمن فريق الترحيب بأوغي قبل أن تبدأ الدراسة، لكنني كنت سأُعامله بلُطف حتى لو لم يُطلب مني ذلك.

غير أن الأغلبية - مثل جوليان ومجموعته - لم يكونوا لُطفاء قَطُّ مع أوغي، خصوصًا في البداية. ولا أعتقد أنهم كانوا يتعمَّدون

الوضاعة، بل أظن أنهم كانوا مأخوذين قليلًا من وجهه، وهذا كل ما في الأمر. كانوا يقولون أشياء غبية من وراء ظهره، فيطلقون عليه **المسخ**، ويلعبون لعبة سموها «**الطاعون**»، وأنا بالمناسبة **لم** أُشارك فيها (إذا كنت لم ألمس أوغي بولمان قَطُّ، فذلك لأنه لم يكن هناك سبب لذلك، وهذا كل ما في الأمر)، ولم يشأ أحد قَطُّ أن يقضي معه بعض الوقت أو يشاركه في مشروع دراسي، على الأقل في بداية السنة. لكن بعد بضعة أشهر، بدأ الجميع يعتادونه. صحيح أنهم لم يصبحوا لُطفاء أو أي شيء، لكن على الأقل توقفوا عن وضاعتهم. وينطبق هذا على الجميع، **ما عدا** جوليان الذي ظل يُغالي في موقفه من أوغي! كأنه لم يستطع أن يتجاوز حقيقة أن هذا هو شكل أوغي! كأن هذا بيد الولد المسكين!

على أي حال، ظن الجميع أن الذي حدث هو أن جوليان قال لجاك شيئًا شنيعًا عن أوغي، ولأن جاك صديق جيد فقد لَكَمَه. **بوم**.

وفُصل جاك. **بوم**.

وها هو يعود بعد الفصل. **بوم**.

وهكذا تكون **الدراما**.

ولكن ليس هذا كل ما في الأمر!

لأن ما حدث بعدئذ أن الإجازة الشتوية انتهت، وقام جوليان وحزبه الكبير بتحويل الأولاد في الصف الخامس ضد جاك. ونشر شائعة بأن طبيب المدرسة النفسي أخبر والدته أن جاك مُضطرب نفسيًا، وأن الضغط الذي يتعرَّض له بسبب مصاحبته لأوغي جعله هائجًا، وحوَّله إلى مجنون غاضب. جنون! لم يكن شيء من هذا صحيحًا بالطبع، والغالبية كانت تعلم ذلك، لكن جوليان لم يتوقف

عن نشر تلك الكذبة!

الأولاد الآن جميعًا في حرب، وتلك كانت بداية الحرب، وكل هذا غباء منقطع النظير!

هكذا بقيتُ على الحياد

أعرف شيئًا يقوله الناس عني، وهو أنني ملاك. لكن لا أعرف لماذا يقولون هذا، فأنا في الحقيقة **لستُ** على هذا القدر من الملائكية. لكنني أيضًا لستُ الشخص الذي يتَّسم بالوضاعة مع **شخص** لأن **شخصًا آخر** يقول إنني يجب أن أكون وضيعة معه، وأكره حينما يفعل الناس ذلك.

وهكذا، عندما بدأ الأولاد يتجاهلون جاك، ولم يدرِ جاك سبب ذلك، فكَّرتُ أن أقلَّ ما يمكن فِعله هو أن أُخبره بما يجري. وهذا لأنني أعرف جاك منذ أن كنا في الحضانة، وهو ولد طيب.

غاية الأمر أنني حرصت على ألَّا **يراني** أحد وأنا أُكلِّمه. كانت بعض البنات - مثل مجموعة سافانا - قد بدأن في التحيُّز لجوليان ومجموعته، وأردتُ بالفعل أن أبقى على الحياد لأنني لم أُرد أن تغضب **مني** إحداهن. كنتُ في هذه الأيام أرجو أن أجد طريقًا للانضمام إلى تلك المجموعة، وآخر ما كنت أريده هو أن أفعل شيئًا يُضيِّع فرصي معهن.

وهكذا، في أحد الأيام قبل الحصة الأخيرة، وضعتُ لجاك رسالة أطلب منه فيها أن يقابلني في الغرفة 301 بعد المدرسة. وجاء. وحكيتُ له كل ما كان يجري. كان لا بد أن تشاهدوا وجه جاك! صار أحمر فاقعًا! فعلًا! الولد المسكين! كان الأمر كله بالغ السوء، وبالفعل شعرت بالأسف له.

عندما انتهينا من الكلام، تسللتُ خارجة من الغرفة من دون أن يراني أحدٌ على الإطلاق.

هكذا أردتُ أن أُخبر إيلي بكلامي مع جاك ويل

في غداء اليوم التالي، كنتُ أُخطط لأُخبر إيلي بأنني تكلَّمت مع جاك. كنتُ أنا وإيلي مُعجبتين بجاك ويل **في الخفاء** منذ أن كنا في الصف الرابع، حينما قام بدور آرتفول دودجر في **أوليفر تويست** وبدا لنا فائق الجمال وهو يرتدي القبعة شبه الكروية.

ذهبتُ إليها وهي منهمكة في إفراغ صينية الغداء. كنا قد توقَّفنا عن تناول الغداء معًا على مائدة واحدة في المطعم، منذ أن انتقلتْ إلى مائدة سافانا في فترة الهالوين تقريبًا، لكنني كنتُ لم أزل أثق في إيلي، فقد كنا **صديقتين مُقرَّبتين** منذ الصف الأول، وهذا أمر له قيمته.

قلتُ وأنا أربت على كتفها:

- هاي.

قالت وهي ترد بحركة مماثلة:

- هاي.
- لماذا لم تحضري تدريب الكورال بالأمس؟

قالت:

- أوه! ألم أُخبركِ؟ لقد غيَّرتُ اختياراتي بعد أن عُدنا من الإجازة الشتوية. أنا الآن في فرقة.

قلت:

- **فرقة! فعلًا؟**

قالت:

- أعزف على الكلارينت.

قلت وأنا أُومئ:

- واو، رائع!

أدهشني ذلك الخبر بالفعل لعدة أسباب.

قالت:

- على أي حال، كيف حالكِ يا تشارلي؟ أشعر أنني لا أكاد أراكِ منذ أن عُدنا من الإجازة الشتوية!

وأمسكت معصمي لتتأمل سواري الجديد.

قلت:

- أعرف، فعلًا.

لكنني لم أُشر إلى أن سبب ذلك هو أنها كانت تلغي كل موعد نتّفق أن نخرج فيه بعد المدرسة.

- ما أخبار مايا ولعبة النقاط؟

كانت تشير إلى هوس مايا بصنع أكبر لعبة نقاط في العالم لتلعبها في وقت الغداء، وكنا نسخر منها في هذا من وراء ظهرها.

قلت مبتسمة:

- بخير. كنت أُريد أن أُكلِّمك عن حرب الأولاد الجارية. أليست سخيفة جدًّا؟

قلبت عينيها قائلة:

- خرجت تمامًا عن السيطرة!

قلت:

- فعلًا. إنني أشعر بالأسف من أجل جاك! ألا تعتقدين أن جوليان يجب أن يُوقف هذا؟

بدأت إيلي في لف خصلة من شعرها حول إصبعها، وتناولت علبة عصير طازج من فوق المنضدة ووضعت فيها الشفَّاطة، وقالت:

- لا أعرف يا تشارلي. جاك هو الذي لَكَمَه في فمه، وجوليان مُحقٌّ في غضبه.

ورشفتْ من العصير رشفة كبيرة، وواصلت:

- بدأت بالفعل أعتقد أن جاك لديه مشكلات جسيمة في إدارة غضبه.

نعم؟ ما هذا؟ إنني أعرف إيلي منذ الأزل، وإيلي التي أعرفها لا يمكن أن تستعمل عبارة مثل «مشكلات جسيمة في إدارة الغضب». لا أقول إنها ليست ذكية، لكنها **ليست** بهذا الذكاء. **مشكلات جسيمة في إدارة الغضب!** هذه جملة تليق بهيمينا تشين في واحدة من نوباتها الساخرة. منذ أن بدأت إيلي في الخروج مع هيمينا وسافانا، وهي تزداد غرابة في تصرفاتها.

لحظة من فضلك! تذكَّرتُ للتوِّ شيئًا: هيمينا تعزف على الكلارينت، و**ذلك** يُفسِّر سبب تغيير إيلي لاختيارها. الآن اتضح كل شيء.

قالت إيلي:

- عمومًا، لا أعتقد أننا يجب أن نتدخَّل، فهذه مسألة تخص الأولاد.

قلت، وقد أدركتُ أنه من الأفضل ألَّا أقول لإيلي إنني تكلَّمت مع جاك:

- حسنًا على أي حال.

وسألتني في مرح:

- هل أنتِ مستعدة لتجارب الرقص اليوم؟

قلتُ متظاهرة بالفرح مثلها:

- نعم. أعتقد أن السيدة أتانابي...

- مستعدة يا إيلي؟

هكذا سألت هيمينا تشين التي ظهرت فجأة، وحيَّتني بإيماءة عابرة من دون أن تنظر إليَّ فعلًا، ثم استدارت وتوجَّهت نحو باب خروج قاعة الغداء.

وعلى الفور، ألقت إيلي علبة العصير في سلة القمامة قبل أن تُنهيها، وألقت بحقيبتها على كتفها كيفما اتفق، وجرت وراء هيمينا مُغمغمةً وقد صارت في منتصف قاعة الغداء:

- أراكِ لاحقًا يا تشارلي.

قلتُ وأنا أتابعها إذ تُلاحق هيمينا:

- لاحقًا.

انضمت الاثنتان إلى سافانا، وغريتشن، وهي فتاة من الصف السادس كانت تنتظرهن عند الباب.

كان الأربعة طولهن واحد تقريبًا، ولكلٍّ منهن شعر طويل جدًّا، ذو تموجات عند الأطراف، لكن لون كل شعر كان مختلفًا. فشعر سافانا ذهبي داكن، وشعر هيمينا أسود، وشعر غريتشن أحمر، وشعر إيلي بُني. كنت أتساءل في بعض الأحيان إن كانت إيلي قد انضمت إلى تلك المجموعة المحبوبة إليها، بسبب شعرها الذي كان مُلائمًا تمامًا في طوله ولونه.

شعري أنا أشقر فاتح، ومسترسل تمامًا ومستوٍ، ويستحيل أن ينتهي متماوجًا إلا بجرعات هائلة من مُثبِّت الشعر، وهو يشبهني، أعني أنه قصير.

هكذا تُستعمل أشكال «فين»
(الجزء الأول)

في حصة العلوم مع السيدة روبين درسنا أشكال «فين»، وهي أشكال تُرسم لمعرفة العلاقات بين مجموعات الأشياء المختلفة. كأن تريد أن ترى الخصائص المشتركة بين الثدييات والزواحف والأسماك على سبيل المثال، فترسم شكل «فين»، وتُدرج جميع السِّمات لكلٍّ من هذه المجموعات في دائرة، وحيثما تتقاطع الدوائر تكون المشتركات بينها. وفي حالة الثدييات والزواحف والأسماك، فالمشترك أنها جميعًا لديها عمود فقري.

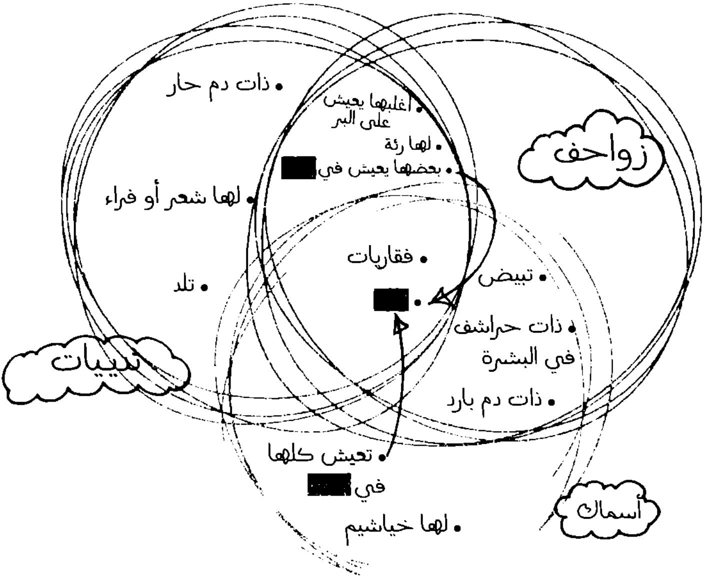

على أي حال، أنا أُحب أشكال «فين»، فهي مفيدة جدًّا في شرح الكثير من الأشياء، وأحيانًا أرسمها لفهم الصداقات.

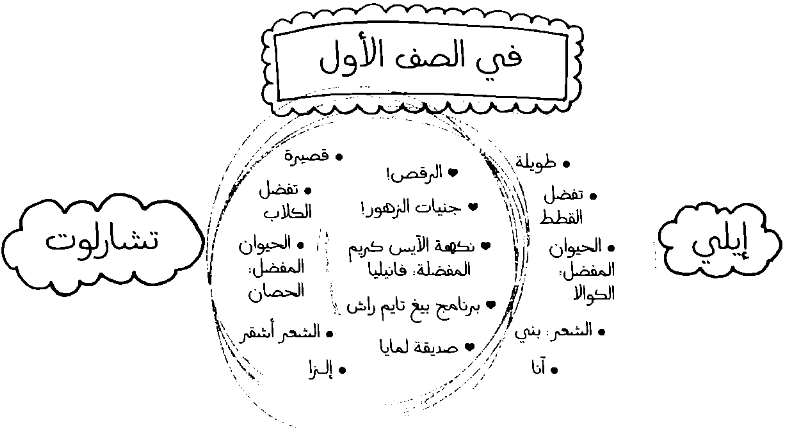

أنا وإيلي في الصف الأول

كما ترون، بيني أنا وإيلي كثيرٌ من المشتركات. نحن صديقتان منذ أن أجلستنا السيدة دياموند إلى طاولة واحدة في اليوم الأول من الصف الأول. أتذكَّر ذلك اليوم بشكل واضح جدًّا. حاولتُ كثيرًا أن أُكلِّم إيلي، لكنها خجلت ولم تُرد أن تتكلَّم، ثم في وقت تناول الطعام، بدأتُ أحاكي التزلُّج على الجليد بتحريك إصبعيَّ على الطاولة التي نشترك فيها. وإذا كنتم لا تعرفون ما أقصد، فهذه اللعبة تقوم على أن تصنع علامة ثمانية بإصبعيك السبابة والوسطى وتجعلهما تتزلَّجان على سطح الطاولة الأملس، وكأنهما متزلِّجان. على أي حال، شاهدتني إيلي وأنا أفعل ذلك لبرهة، ثم بدأت التزلُّج على الجليد بإصبعيها هي الأخرى، وبسرعة كنا نتزلَّج معًا على الطاولة كلها، ومنذ ذلك الحين لم ننفصل.

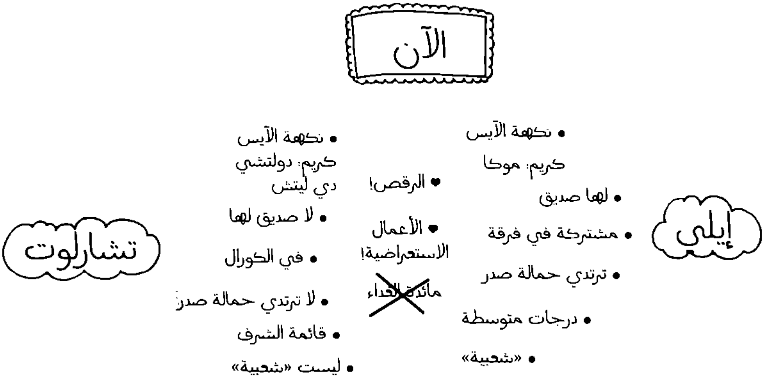

أنا وإيلي الآن

هكذا واصلتُ البقاء على الحياد

كانت إيلي وسافانا وهيمينا يقفن معًا عند الخِزانات أمام ساحة التدريب حينما ذهبت لتجارب الرقص بعد المدرسة. عرفت لحظة أن نظرن إليَّ أنهن كُن يتكلَّمن عني.

قالت سافانا وهي ترسم تعبير الازدراء على شفتيها:

- هل أنتِ لا تقفين في جانب جاك فعلًا في حرب الأولاد؟ أم ماذا؟

نظرتُ نظرة سريعة إلى إيلي. يبدو أنها نقلت إلى سافانا وهيمينا بعضًا من حديثي معها في وقت الغداء. وضعتْ خصلة من شعرها في فمها، وأشاحت بعينيها.

قلت بهدوء:

- لستُ في صف جاك.

وفتحت خِزانتي فوضعت فيها الحقيبة.

- كل ما قلته هو أنني أعتقد أن هذه الحرب كلها غبية! الأولاد كلهم حمقى!

قالت سافانا:

- نعم، لكن جاك هو الذي بدأ! أم أنك ترين لَكمَه لجوليان أمرًا عاديًّا؟

قلت وأنا أستخرج معدات الرقص:

- بالطبع لا، اللَّكم ليس أمرًا عاديًّا.

سألت سافانا بسرعة ولا يزال تعبير الازدراء مرسومًا على وجهها وفمها:

- فكيف إذن تكونين في صف جاك؟

سألت هيمينا وهي تبتسم ابتسامة شريرة:

- هل هذا لأنكِ مُعجبة به؟

هيمينا التي لم تقل لي ثلاثين كلمة كاملة طوال السنة تسألني إن كنت مُعجبة بجاك؟!

- لا.

قلتها وشعرت أن أذنيَّ محمرتان، وألقيتُ نظرة على إيلي وأنا أنحني لألبس حذاء الجاز. كانت تستخلص خصلة أخرى من شعرها استعدادًا لوضعها في فمها. لا أُصدِّق أنها حكت لهما عن جاك! يا لها من خائنة!

في تلك اللحظة جاءت السيدة أتانابي إلى الغرفة، وصفقت بطريقتها المسرحية المعتادة، لتلفت انتباه الجميع.

- هيًا يا بنات، من لم يُوقعن بعدُ في قائمة التجارب، فليوقعن الآن رجاءً في كشف اختبارات الأداء.

وأشارت إلى قائمة على الطاولة المجاورة لها. كانت نحو ثماني بنات واقفات في صفٍّ للتوقيع.

- ومَن وقعن بالفعل، فليذهبن رجاءً إلى حلبة الرقص ويبدأن الإحماء.

قالت هيمينا لسافانا وهي متجهة إلى الطاولة:

- سأُوقِّع لكِ.

قالت إيلي:

- هل تريدين أن أُوقِّع لكِ يا تشارلي؟

عرفتُ أنها تحاول بذلك أن تعرف إن كنتُ غاضبة منها، وكنتُ غاضبة منها بالفعل.

قلت بهدوء ومن دون أن أنظر إليها:

- لقد وقَعتُ.

قالت سافانا بسرعة، وهي تقلب عينيها:

- وقعتْ بالطبع. تشارلوت الأولى دائمًا في التوقيع!

هكذا (ولهذا) أُحب الرَّقص

أحضر دروسًا في الرقص منذ أن كنت في الرابعة: باليه، رقص إيقاعي، جاز. ليس لأنني أريد أن أكون راقصة باليه أولى حينما أكبر، بل لأنني أنوي أن أكون نجمة في برودواي يومًا ما. ولكي تفعل إحدانا ذلك، يجب أن تتعلَّم كيف تُغني وترقص وتؤدي. ولذلك فأنا أبذل أقصى جهدي في دروس الرقص، وفي دروس الغناء، وأتعامل معها بمنتهى الجدية، لأنني أعلم أنه في يوم من الأيام، حينما أحصل على فرصتي الكبرى، سأكون جاهزة لها. ولماذا سأكون جاهزة لها؟ لأنني عملت من أجلها بجدية طوال حياتي. يتصوَّر الناس أن نجمات برودواي يأتين من العدم، لكن هذا غير صحيح. إنهن يتدرَّبن إلى حدِّ الألم، يتدرَّبن كالمهووسات. وإذا أرادت واحدة أن تكون نجمة، فعليها أن تُصمم على العمل بجد أكثر من الجميع لتحقيق أهدافها وأحلامها. فالحلم مثلما أراه، يُشبه رسمًا في رأسك تدب فيه الحياة، وعليك أن تتخيَّله أولًا، ثم عليك أن تعمل بأقصى الجدية لتجعل منه حقيقة.

حينما تقول سافانا إن «تشارلوت الأولى **دائمًا** في التوقيع»، فهذه مجاملة من ناحية، لأنها تقول إن «تشارلوت سبَّاقة دائمًا، ولذلك فإنها تنال نتيجة عملها الجاد». ومن ناحية أخرى، فعندما تقولها وتعبير الازدراء مرسوم على وجهها، فذلك أقرب إلى قولها إن «تشارلوت تحصل على ما تريد لمجرد أنها تسبق الجميع إليه»، أو ذلك على الأقل ما أدركته أنا من كلامها. استهانة!

سافانا بارعة حقًّا في هذا النوع من التقليل من الناس، عندما يكمن المعنى كله في العينين وزاويتي الفم. وهذا سيِّئ جدًّا، لأنها لم تكن كذلك. في المدرسة الابتدائية كنتُ أنا وسافانا وإيلي ومايا وسمر جميعًا صديقات، كنا نلعب معًا بعد المدرسة، ونقيم حفلات شاي، ولم يحدث أن صارت سافانا أقل لُطفًا مما كانت عليه إلا بعد أن انتقلنا إلى المدرسة الإعدادية، وأصبحت واسعة الشعبية.

هكذا قدّمت السيدة أتانابي رقصتها

قالت السيدة أتانابي وهي تُصفق وتشير إلينا لنتجه إليها:

- حسنًا يا آنسات. رجاءً، اتجهن جميعًا إلى حلبة الرقص. رجاءً، قفن في أماكنكن. تفرَّقن جميعًا على أماكنكن. ما سنفعله اليوم هو أنني سأُريكن بضع رقصات مختلفة من الستينيات، وأُريدكن أن تجربنها. التويست، والهالي غالي، والمامبو. هذه الثلاث فقط. حسنًا؟

كنت أقف خلف سمر التي ابتسمت ولوَّحت لي تُحييني وقد بدت عليها السعادة. حينما كنتُ صغيرة ومُغرمة بجِنيَّات الزهور، كنت أُفكِّر أن سمر داوسون صورة مطابقة تمامًا لجِنيَّة الخزامى، وكأنها وُلدت بجناحين بلون البنفسج.

لم تكن سمر قَطُّ من البنات اللاتي أراهن في تدريبات الرقص، فسألتها:

- منذ متى وأنتِ مهتمة بالرقص؟

فهزَّت كتفيها في حياء، وقالت:

- بدأتُ دروس الرقص في الصيف الماضي.

قلت وأنا أبتسم تشجيعًا لها:

- رائع!

قالت هيمينا رافعة يدها:

-سيدة أتانابي، ما الهدف أصلًا من تجربة الأداء هذه؟

قالت السيدة أتانابي وهي تضرب جبهتها بأصابعها:

- يا إلهي! نعم، نسيتُ تمامًا أن أُخبركن يا جماعة ماذا نحن فاعلات هنا!

على المستوى الشخصي، أحببتُ دائمًا السيدة أتانابي، بفساتينها المشجَّرة الطويلة وأوشحتها وكعكة شعرها غير المنفلتة، وأحببت مظهرها الحماسي دائمًا، وكأنها عائدة للتوِّ من رحلة عظيمة. يعجبني ذلك. ولكن كثيرًا من الناس يرونها غريبة ومختلفة، بسبب طريقتها في إرجاع رأسها كثيرًا وهي تضحك، وغمغمتها لنفسها في بعض الأحيان. يقولون إنها تشبه تمامًا السيدة بوف في سبونج بوب، ويُسمونها من ورائها «السيدة تخينانابي». وهذا في رأيي وضاعة مرفوضة تمامًا.

بدأت تشرح:

- طُلب مني أن أُصمم رقصة لحفل بيتشر الإعدادية الخيري الذي يُقام في منتصف مارس. هذه رقصة لن يشاهدها الطلبة، بل أولياء الأمور فقط، والكلية، والخريجون. ولكنها حفلة مهمة، فستُقام في قاعة كارنيجي هذه السنة.

أطلقنا جميعًا أصوات دهشة وإثارة.

ضحكت السيدة أتانابي وقالت:

- كنت أعرف أن هذا سيكون رد فعلكن. إنني أقوم بتعديل رقصة صمَّمتها قبل سنوات، ولا أُبالي بالقول إنها لفتت بعض الأنظار في وقتها. وستجدن فيها الكثير من المرح، لكنها ستقتضي عملًا كثيرًا، وهو ما يُذكِّرني بهذا: إذا جرى اختياركن لهذه الرقصة، فسيستدعي هذا كثيرًا من الالتزام. أريد أن أكون واضحة في هذه النقطة منذ البداية يا آنسات. تسعون دقيقة من التدريب بعد

المدرسة، ثلاث مرَّات في الأسبوع، بدءًا من الآن، وطوال شهر مارس. فإذا كُنتن غير قادرات على الالتزام بذلك، فلا داعي للتجربة الآن، حسنًا؟

سألت روبي:

- لكن، ماذا لو أن لدينا تدريب كرة قدم؟

قالت السيدة أتانابي:

- يا آنسات، في بعض الأحيان يكون عليكن أن تخترن. لا يمكن أن تجمعن بين ممارسة كرة القدم وهذا الرقص. الأمر بهذه البساطة. لا أريد أيَّ أعذار تتعلَّق بالواجبات أو الامتحانات أو أي شيء آخر. الغياب عن تدريب واحد أمر كبير. تذكرن، هذا ليس شيئًا مفروضًا عليكن من أجل المدرسة. لستُن مضطرات إلى الوجود هنا يا بنات. لن تحصلن على تقدير إضافي. لو لم تكن جاذبية الرقص على أحد أشهر خشبات مسارح العالم كافية، فرجاءً عدم المحاولة.

وفردت ذراعها كاملة مشيرة إلى باب الخروج:

- ولن آخذ ذلك على محمل شخصي.

نظرنا جميعًا بعضنا إلى بعض. ابتسمت روبي وجاكلين ابتسامات اعتذار للسيدة أتانابي، ولوَّحتا مُودِّعتين، وخرجتا. لم أُصدِّق أن تفعل واحدة مثل ذلك! أن تُضيِّع فرصة الرقص في قاعة كارنيجي! هذه في مثل شهرة برودواي!

طرفت عينا السيدة أتانابي، لكنها لم تقل شيئًا، ثم فركت رأسها كما لو كانت تُعالج صداعًا، وقالت:

- شيء أخير، إذا لم يقع عليكن الاختيار لهذا البرنامج المُحدَّد، فرجاءً تذكَّرن أنه سيظل هناك عدد كبير من الرقصات في عرض

منوعات الربيع، وفي ذلك العرض يمكن أن يرقص **الجميع**. فإذا لم يجرِ اختياركن لهذا العرض، **فرجاءً لا** تجعلن أُمهاتكن يُرسلن إليَّ عبر البريد الإلكتروني، فليس المجال متاحًا إلا لثلاث بنات.

صاحت إيلي وهي تغطي فمها بيدها:

- ثلاث فقط؟

قالت السيدة أتانابي:

- نعم، ثلاث فقط.

وبدت مثل السيدة بوف تمامًا حينما تقول **أوه يا سبونج** بوب.

كنت أعرف ما فكرت فيه إيلي: **أرجوكِ، اختاريني أنا وهيمينا وسافانا**.

لكن حتى وهي تتمنى ذلك، لعلها كانت تعلم أن الأمر لا يسير على ذلك النحو. الأمر أن الجميع يعلمن أن هيمينا هي أفضل راقصة في المدرسة كلها، وأنها اختيرت للدراسات الصيفية المكثفة في مدرسة الباليه الأمريكي، فهي في **ذلك** المستوى. فكان الرهان مضمونًا تمامًا على أن هيمينا ستجتاز الاختبار.

ويعلم الجميع أن سافانا وصلت إلى النهائيات في مسابقتين إقليميتين في العام الماضي، وكانت قريبة من التصعيد إلى مسابقة وطنية، وفرصتها الآن جيدة في اجتياز الاختبار.

ويعلم الجميع... حسنًا، بعيدًا عن المباهاة، الرقص منطقتي أنا، وعلى رفي مجموعة من الكؤوس والشهادات التي تُثبت ذلك.

حسنًا، وإيلي؟ آسفة، إنها ليست في ذلك المستوى مع هيمينا، أو سافانا، أو معي. من المؤكد أنها مهتمة بالرقص منذ ثلاث سنوات، لكن يعيبها **دائمًا** ذلك الكسل. لا أعرف، ربما لو كان المجال متاحًا لأربع بنات. أما إذا لم يتسع المجال إلا إلى **ثلاث**، فلا.

بدا واضحًا لي وأنا أتلفت في قاعة المسابقة أن الثلاث المختارات سيكُن هيمينا وسافانا وأنا. **آسفة يا إيلي**.

ربما، أقول **ربما**، تكون هذه فرصتي لأشق طريقي أخيرًا إلى مجموعة سافانا، مرَّة وإلى الأبد. وأسترد إيلي مرَّة أخرى صديقةً مُقربةً، وتكون هيمينا لسافانا، ويصبح كل شيء على ما يُرام.

التويست، والهالي غالي، والمامبو.

حسنًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

هكذا تُستعمل أشكال «فين»
(الجزء الثاني)

في المدرسة الإعدادية، لا تكون مائدة الغداء دائمًا مُؤلَّفة من مجموعة الأصدقاء نفسها. يُحتمل جدًّا بالطبع - بل هو وارد تمامًا - أن تجد إحدانا نفسها جالسةً مع مجموعة بنات من صديقاتها، لكنهن لسن بالضرورة صديقاتها **المُقرَّبات**. والسبب الذي يجعل إحدانا تنتهي إلى مائدة عشوائية تمامًا، هو: ربما لا يوجد مكان على المائدة التي اصطفت حولها البنات اللاتي تريد الجلوس معهن بالفعل، أو ربما تنتهي جالسةً مع مجموعة بنات بسبب آخر حصة حضرتها قبل موعد الغداء. وذلك ما حدث معي بالضبط. ففي اليوم الدراسي الأول، كنت أنا ومايا وميغان ولينا وراند وسمر وإيلي جميعًا في صف السيدة بيتوسا للرياضيات المتقدمة. وحين دق جرس الغداء، اتجهنا إلى السلالم نازلين في جلبة كبيرة، ونحن لا نعرف بالضبط كيف نصل إلى المطعم. وعندما عرفنا الطريق أخيرًا، جلسنا جميعًا إلى مائدة. بدا الأمر كأننا نلعب الكراسي الموسيقية، حيث يتبارى الجميع على الفوز بكرسي. كان المفترض فعليًّا أن يجلس كل ستٍّ منا إلى مائدة، لكننا حشرنا أنفسنا وأفلحنا في ذلك.

لينا سمر ميغان راند

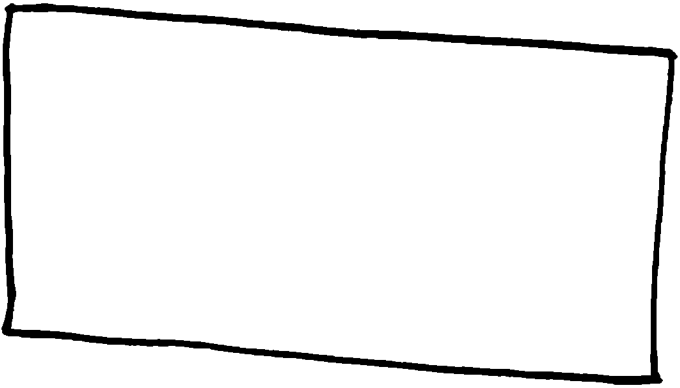

إيلي تشارلوت مايا

أدركتُ في أول الأمر أنها أعظم مائدة في قاعة الغداء كلها، فقد كنت جالسة بين إيلي، أعز صديقة لي منذ الصف الأول، ومايا، أعز صديقة أيضًا من المدرسة الابتدائية. وكنت جالسة أمام سمر وميغان مباشرة، وأنا أعرف كلتيهما من المدرسة الابتدائية أيضًا، وإن لم نكن بالضرورة صديقات مُقرَّبات. وكنت أعرف لينا من برنامج معسكر بيتشر الإعدادية الصيفي. والوحيدة التي لم أكن أعرفها على الإطلاق هي راند، لكنها بدت لطيفة. وهكذا بدت المائدة إجمالًا مائدة غداء رائعة.

لكن، في ذلك اليوم نفسه، انتقلت سمر من المائدة لتجلس مع أوغي بولمان، وكان ذلك صادمًا جدًّا. ففي ثانية واحدة كنا جميعًا جالسات معًا نتكلَّم عنه، ونشاهده وهو يتناول غداءه،

وقالت لينا قولًا وضيعًا عنه لن أُكرره. وفي الثانية التالية، إذا بسمر، ومن دون أن تقول كلمة **لأحد**، تأخذ صينيتها وتذهب إليه. كان الأمر مُفاجئًا تمامًا. أتذكَّر شكل لينا وقد بدت كمن تشاهد حادثة سيارة!

قلت لها:

- كُفِّي عن الحملقة!

همست في رُعب:

- لا أُصدِّق أنها **تأكل** معه!

قلت وأنا أقلب عيني:

- ليست مسألة كبيرة.

قالت:

- فلماذا إذن لا تأكلين **أنتِ** غداءكِ معه؟ ألا يُفترض أنكِ من المُرحِّبين به؟

قلت بسرعة:

- ذلك لا يعني أن عليَّ أن أجلس معه على مائدة الغداء.

وندمتُ لأني أخبرتُ الآخرين باختيار السيد توشمان لي لأكون من المُرحِّبين بأوغي. نعم، كان ذلك شرفًا لي، حيث طلب ذلك مني أنا وجوليان وجاك، لكنني لم أُحب أن يرميها أحد هكذا في وجهي!

كان الجميع، في كل أرجاء المطعم، يفعلون مثلما كنا نفعل على مائدتنا: يُحملقون في أوغي وسمر وهما يأكلان معًا. لم يكن قد مضى علينا في المدرسة الإعدادية غير سويعات بالفعل، ولكن الأولاد كانوا قد بدأوا يُطلقون عليه **الولد الزومبي**

والمسخ.

الجميلة والمسخ. ذلك ما تهامس به الأولاد عن سمر وأوغي.

لم أكن لأسمح لنفسي، مهما يكن الأمر، بأن أكون موضع تهامسهم أيضًا من وراء ظهري.

قلت للينا وأنا أتناول بعضًا من سلاطتي اليونانية:

- فضلًا عن أن هذه المائدة **تُعجبني**، ولا أريد أن أنتقل.

وذلك كان صحيحًا، فالمائدة كانت **تُعجبني** بالفعل، على الأقل في البداية.

لكن، بعدما بدأتُ أعرف القليل عن كل واحدة، أدركتُ أنه ربما لا يوجد كثير من المشتركات بيننا مثلما كنت أود. تبيَّن أن لينا وميغان وراند **جميعًا** بارعات في الرياضة (مايا كانت تلعب كرة القدم، لكنها كرة القدم وحسب). فكان بينهن قدر هائل من المواعيد لمباريات الكرة والسباحة و«مباريات الذهاب» التي لم يكن بوسعنا أنا وإيلي أن نتكلَّم عنها.

وأمر ثانٍ هو أنهن جميعًا اخترن الانضمام إلى الأوركسترا، بينما اخترت أنا وإيلي الانضمام إلى الكورال.

والشيء الأخير أنهن، بمنتهى البساطة، لم يكنَّ مهتمات بكثير مما كنا **نهتم** به، فلم يكنَّ يشاهدن برنامج «ذي فويس» أو «ذي أمريكان أيدول»، ولم يكن لهن اهتمام بنجوم السينما والأفلام القديمة، ولم يشاهدن **البؤساء** أساسًا. ويا للعار، أقصد كيف يمكن أن تنشأ صداقة جادة بيني وبين من لم يشاهدن **البؤساء**؟

لكن ما دامت إيلي موجودة وأتكلَّم معها، مع إكمال مايا للدائرة، فالأمور بالنسبة إليَّ على خير ما يُرام. كنا نحن الثلاث، في جانبنا من المائدة، نثرثر في الأمور التي نريد أن نتكلَّم عنها، وميغان ولينا وراند يثرثرن فيما يردن الكلام عنه في جانبهن من المائدة. ثم نتقاطع جميعًا في الأمور المشتركة - كالعمل المدرسي، والواجبات، والمُعلِّمين، والامتحانات، والطعام الرديء في المطعم - في منتصف المائدة.

لذلك كان كل شيء على ما يُرام، إلى أن انتقلت إيلي من المائدة.

لم يبقَ غيري أنا ومايا، ولم يكن الحديث إلى مايا طريفًا إلا في وجود إيلي، أو إذا أردت أن تلعب لعبة نقاط مثيرة.

يعني، أنا لم أغضب على إيلي لانتقالها من المائدة. ولا ألومها في الحقيقة. فمنذ أن عرفنا أن أموس مُعجب بها، فقد بدا أنها حصلت على تصريح مرور إلى مجموعة أصحاب الشعبية الواسعة. طلبت منها سافانا أن تجلس إلى مائدتهن في الغداء، ثم رتَّبت أن يجلس أموس وإيلي متجاورين، وبتلك الطريقة تشكَّلت كل «الثنائيات» في المدرسة: هيمينا ومايلز، سافانا وهنري، والآن أموس وإيلي. مجموعات مُرتَّبة. الأولاد أصحاب الشعبية والبنات صاحبات الشعبية. كان طبيعيًّا أن يرغبوا جميعًا في الالتصاق بعضهم ببعض. ما من أحد غيرهم في صفنا يتواعد، أو حتى يفعل شيئًا قريبًا من المواعدة، بل إنني أعرف يقينًا أن البنات على مائدتي في المطعم كُن يتصرَّفن كما لو أن القمل منتشر في أجسام الأولاد، ويمكنني القول إن أغلب

الأولاد يتصرفون وكأنما لا وجود للبنات.

إذن، كنت أفهم تمامًا لماذا انتقلت إيلي من المائدة. أفهم بالفعل. ولا أعتزم أن أُبالغ في الغضب عليها، كما فعلت مايا. فالأمر يكون صعبًا على إحدانا حينما تتلقّى دعوة إلى مائدة أفضل، ويصبح صعبًا النظر إلى الوراء.

كل ما في وسعي هو أن أجلس وأنتظر، وأتكلّم مع مايا، وأرجو أن تدعوني سافانا للانضمام إلى مائدة أصحاب الشعبية في يوم من الأيام.

في تلك الأثناء، كنت أرسم أشكال فين، وألعب كثيرًا وكثيرًا من ألعاب النقاط.

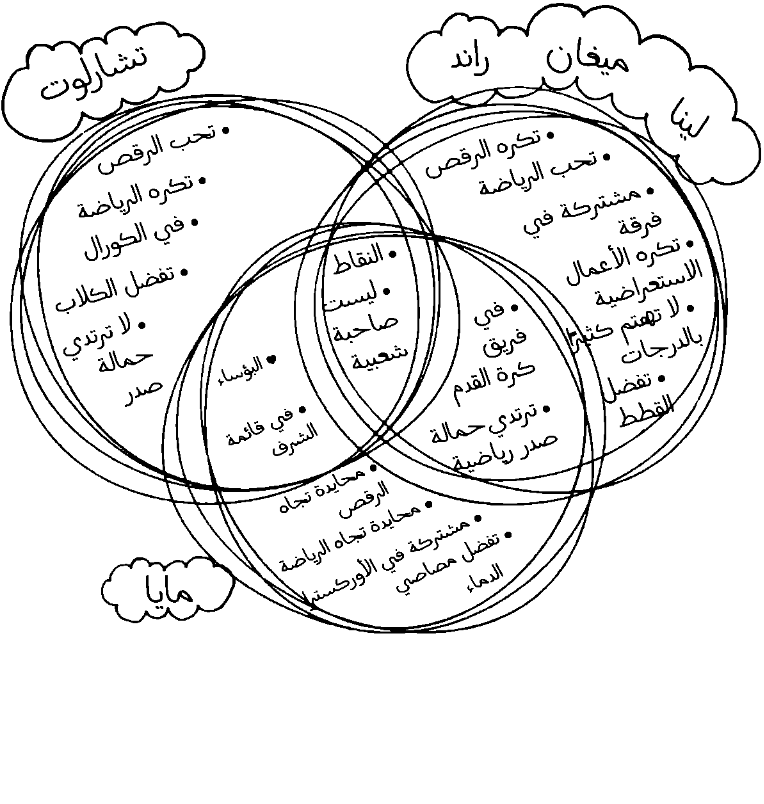
تشارلوت
• تحب الرقص
• تكره الرياضة
• في الكورال
• تفضل الكلاب
• لا ترتدي حمالة صدر
ميغان
راند
لينا
• تكره الرقص
• تحب الرياضة
• مشتركة في فرقة
• تكره الأعمال الاستعراضية
• لا تهتم كثيراً بالدرجات
• تفضل القطط
• النقاط
• ليست صاحبة شعبية
• في فريق كرة القدم
• ترتدي حمالة صدر رياضية
• البؤساء
• في قائمة الشرف
• محايدة تجاه الرقص
• محايدة تجاه الرياضة
• مشتركة في الأوركسترا
• تفضل مصاصي الدماء
مايا

هكذا تكوّنت مجموعة فرعية جديدة

في اليوم التالي، وقبل الغداء مباشرة، وُضع ذلك الإعلان على اللوحة المُعلَّقة خارج المكتبة:

تهنئة للبنات التالية أسماؤهن
لقد جرى اختياركن للمشاركة في رقصة الستينيات مع السيدة أتانابي. وقد أضيف جدول التدريبات على الموقع الإلكتروني. فاضبطن مواعيدكن. لا غياب. لا أعذار. التدريب الأول غدًا الساعة 4:00 بعد الظهر في قاعة الرقص. حذارِ من التأخير.

سيدة أتانابي
هيمينا تشين
تشارلوت كودي
سمر داوسون

يا إلهي! فعلتُها! هيييه!!!! كنت في منتهى السعادة حينما قرأت اسمي في القائمة! بهجة فائقة! نشوة! هييييييه!

إذن أنا، وهيمينا، وسمر؟

ماذا!!؟ سمر؟ تلك كانت مفاجأة بحق! كنت متأكدة تمامًا أن سافانا ستفوز. أقصد أن سمر بدأت للتوّ التدريب على الرقص، فهل فازت فعلًا على سافانا؟

معقول! لم أستطع أن أمنع نفسي من تخيُّل مدى غضب سافانا من ذلك. أراهن أن تعبير الامتعاض ارتسم واضحًا على وجهها حين رأت القائمة. وإيلي؟ أُراهن في الحقيقة أن إيلي ارتاحت إلى حدٍّ ما. كانت ستقضي وقتًا عصيبًا في محاولة مجاراة هيمينا وسافانا، وهي لم تكن **تحب** الرقص أصلًا إلى هذه الدرجة. كنت دائمًا أرى أنها مهتمة بالرقص بسبب اهتمامي **أنا** به. فرحت لأن الأمر بتلك الطريقة كان في صالحها. أقصد أنها لم تزل صديقتي العزيزة وإن لم تتصرَّف باعتبارها كذلك.

وكنت سعيدة لأجل نفسي، فمع أنني كنت أرجو أن أقترب خطوة من مجموعة سافانا، فقد كنت أيضًا أشعر بشيء من التوتر وأنا أخشى أن يكون تقارب سافانا وهيمينا استبعادًا لي أنا.

لكن وجود سمر في المجموعة مع هيمينا؟ ذلك سيكون رائعًا. ربما حينما يجتمع لُطف سمر، ولُطفي أنا، تتحوَّل هيمينا إلى جانبنا. على أقل تقدير، قد يمنعها ذلك من أن تكون الفتاة الوضيعة التي يتصوَّرها الجميع. لا أقول إنني أراها فتاة وضيعة، فالحقيقة أنني تقريبًا لا أعرفها. على أي حال، أسعدني كون سمر الفتاة الثالثة في الرقصة، وعجزت طوال اليوم عن إخفاء ابتسامتي.

هكذا رأيتُ سافانا

على الغداء، حشرت نفسي بجوار مايا وراند اللتين كانتا منكفئتين على لعبة نقاط أخرى من ألعاب مايا العملاقة التي كانت تزداد صعوبة فوق صعوبة.

قلت في سعادة:

- خبر سعيد يا جماعة. جرى اختياري في عرض رقصة الستينيات مع السيدة أتانابي للحفل الخيري في مارس، واو!

قالت مايا:

- واو! عظيم يا تشارلوت!

لكنها لم ترفع رأسها عن لعبة النقاط.

وكرَّرت راند:

- واو! مبارك!
- وسمر فازت أيضًا.
- أوه واو! تستحق. أنا أحب سمر. هي دائمًا فتاة لطيفة.

كانت راند تكمل صفًّا من المربعات أغلقتها للتوِّ، ونظرت إلى مايا وابتسمت قائلة:

- خمسة عشر.

قالت مايا وهي تكز على أسنانها:

- أُف.

كانت قد وضعت مُقوِّم أسنان للتوِّ، فصارت في تلك الأيام تقوم بحركات كثيرة طريفة بفمها.

ألقيتُ ممحاتي عليهما وقلت ساخرة:

- تلك التي تلعبانها، لعبة نقاط محتدمة بلا شك.

قالت مايا وقد مالت بكتفها عليَّ:

- ههههه، خفة دم واضحة، نسيت أن أضحك.

قالت راند:

- مائدة البنات الوضيعات تنظر إليكِ.

قلت:

- ماذا؟

واستدرت أنا ومايا في الاتجاه الذي كانت تنظر إليه.

لكن سافانا وهيمينا وغريتشن وإيلي، أشحن بأنظارهن في اللحظة التي نظرتُ فيها نحوهن.

قالت مايا وقد ألقت عليهن أشد نظراتها احتقارًا من وراء نظارتها ذات الإطار الأسود:

- كُن يتكلَّمن عنكِ بالطبع.

قلت لها:

- كُفِّي عن هذا يا مايا!

قالت:

- لمَ؟ لا يهمني. فليرينني.

واستعرضت أسنانها في اتجاههن، وكأنها ابن عرس مجنون!

همست من وراء أسناني:

- كُفِّي عن النظر إليهن يا مايا!

قالت:

- حاضر.

ورجعتْ إلى التركيز على لعبتها العملاقة مع راند، وركَّزتُ أنا على تناول الرافيولي. وفي لحظة معينة شعرت كأن عينَي شخص ما تحرقان ظهري، فاستدرت أختلس نظرة على مائدة سافانا من جديد. في هذه المرَّة كانت هيمينا وغريتشن وإيلي يتكلَّمن، غافلات عني تمامًا، لكن سافانا كانت تُحملق فيَّ، ولم تشح بنظرها حينما التقت أعيننا، بل واصلت الحملقة، ثم قبل أن تتوقف عن ذلك بلحظة، أخرجت لسانها لي. حدث ذلك بسرعة، وما كان لأحد غيرنا أن يراه. وبدا طفوليًّا جدًّا، لدرجة لم أُصدِّقها.

عندها أدركتُ أنني كنت أفهمها خطأ من قبل، أعني مسألة حصول سمر على الموقع الثالث في رقصة السيدة أتانابي. لقد كنت أظن أن ذلك الموقع كان يجب أن يكون من نصيب سافانا وليس سمر. لكن في رأي سافانا، لم تكن سمر هي التي أخذت الموقع منها، بل **أنا**. لقد قالت من قبل إن «تشارلوت الأولى **دائمًا** في التوقيع».

كانت سافانا تلومني أنا على أخذ مكانها المستحق في الرقصة!

طوال النهار التالي، أثار إنذارٌ بهبوب عاصفة جليدية الجميع بالجذل والقلق، حيث تردَّد كلام عن اعتزام المدرسة إغلاق أبوابها مبكرًا إذا جاءت العاصفة بالسوء الذي تنبأت به الأرصاد. ومن حسن الحظ - حيث كان آخر ما أريده في الدنيا هو إلغاء تدريبنا الأول - أن أول الجليد لم يبدأ في الهطول إلا في وقت متأخر من العصر، ولم يكن كثيفًا على الإطلاق. فمضيت في طريقي إلى قاعة الرقص بأسرع ما استطعتُ بعد رنين الجرس الأخير. ونظرًا للتهديد الواضح من السيدة أتانابي بشأن التأخير، لم أندهش من وجود سمر وهيمينا هناك.

تبادلنا التحيات قبل أن نُغيِّر ثيابنا ونلبس ثياب الرقص. أظن أن الموقف كان غريبًا ومتوترًا بعض الشيء في البداية. فنحن الثلاث لم نخرج من قبل بعضنا مع بعض، وكنا ننتمي إلى مجموعات مختلفة، هي نسخنا المختلفة من الثدييات والزواحف والأسماك. لم أشترك أنا وسمر من قبل إلا في فصل واحد. ومثلما سبق أن قلت، لم أكن أعرف هيمينا تقريبًا، وأطول حوار دار بيني وبينها من قبل كان في ديسمبر الماضي في فصل السيدة روبين، حينما سألتني - من دون أدنى إحساس بالخجل - إن كان يضايقني أن نُغيِّر شركاءنا لأنها تريد أن تكون شريكة مع سافانا، وهو ما جعلني في النهاية شريكة لريمو في مشروع معرض العلوم، ولكن هذه قصة أخرى تمامًا، ولا تستحق أن تُحكى.

بدأنا الإحماء والمد لقضاء الوقت، وقد تأخَّرت السيدة أتانابي نحو نصف الساعة!

قالت هيمينا وهي في منتصف حركة من حركات الإحماء:

- في رأيكما، هل سيكون هذا هو الوضع دائمًا؟ أن تتأخَّر السيدة أتانابي؟

قلت وأنا أهزُّ رأسي:

- لم تحضر قَطُّ في الموعد في فصل المسرح.

قالت هيمينا:

- فعلًا؟ هذا ما كنت أخشاه!

قالت سمر في شيء من التفاؤل:

- لعلها تأخَّرت بسبب الجليد لا أكثر، فقد بدأ ينهمر الآن بشدة فيما أرى.

قلبت هيمينا وجهها وقالت بسرعة:

- نعم، لعلها في حاجة إلى زحافة تجرها الكلاب!

ضحكتُ. ههههه. لكنني شعرت أنني بدوتُ حمقاء.

أرجوك يا إلهي! لا تجعلني أبدو حمقاء أمام هيمينا تشين!

الحقيقة هي أن هيمينا تشين تصيبني ببعض التوتر. لا أعرف السبب بالضبط. كل ما هنالك أنها كانت في **منتهى** الروعة، وفي **منتهى** الجمال، وكل ما فيها كان دائمًا في **منتهى** الكمال: طريقتها في لف وشاحها، والجينز المحبوك على ساقيها، وتصفيفها شعرها على أفضل نحو ممكن، كل شيء فيها لم تكن تشوبه شائبة.

أتذكَّر أنه منذ اللحظة التي التحقت فيها هيمينا ببيتشر الإعدادية في هذه السنة، أراد **الجميع** أن يصادقوها، بمن فيهم أنا. وأثق أنها لا

تتذكَّر، لكنني مَن ساعدتها في العثور على خِزانتها في اليوم الدراسي الأول، ومَن سمحت لها باستعارة قلم رصاص في الحصة الثالثة (لم تُعده لي قَطُّ، وهأنا الآن أتذكَّر). لكن سافانا هي التي أصبحت أعز صديقة لها. واستطاعت سافانا أن تضعها في بؤرتها منذ النانو ثانية الأولى في المدرسة. وفقط، ليس أكثر. ما حدث أشبه بالانفجار الكوني الكبير، لكن في الصداقة. انفجار كوني فوري من تبادل النظرات والضحكات والثياب والأسرار.

لم يعد المجال متاحًا بعد ذلك لمعرفة هيمينا على نحو أفضل. والحقيقة أنها لم تبذل جهدًا لتوسيع دائرة علاقاتها فيما يتجاوز مجموعة سافانا أصلًا، وربما شعرت أنها غير مضطرة إلى ذلك.

كان الناس عمومًا يقولون إنها متعجرفة. أما أنا، فكل ما كنت أعرفه عنها بحق هو أنها صاحبة أروع قدرة رأيتها في حياتي على فتح الساقين، وصاحبة أعلى درجات في الصف، وأنها ساخرة. أقصد أن لها الكثير من «التعليقات الذكية» على الناس من وراء ظهورهم. وكان هناك آخرون - مايا على سبيل المثال - لا يحتملونها، لكنني كنت أتلهَّف على أن أزداد معرفة بها، بل ومصادقتها، لأضحك على تعليقاتها. أما أكثر ما كنت أريده **فعلًا، فعلًا**، فهو أن أنال إعجابها.

كانت هيمينا تقول:

- أرجو أن يكون هذا كله جديرًا بالوقت الذي يستهلكه. أعني أن هذا الشهر مليء بأشياء كثيرة، ويكفي مشروع معرض العلوم!

قالت سمر:

- لم أبدأ في مشروعي أصلًا.

قلت:

- ولا أنا.

وإن كان ذلك غير حقيقي على الإطلاق، فقد انتهيتُ أنا وريمو من نموذج الخلية في الأسبوع الأول بعد عودتنا من الإجازة الشتوية.

قالت هيمينا وهي تنظر إلى هاتفها:

- أنا فقط أريد أن يُتاح لنا وقت كافٍ للتدرُّب على هذه الرقصة. لا أريد أن أصعد إلى خشبة مسرح كارنيجي لأبدو بلهاء تمامًا لأننا لم نتدرَّب بالقدر الكافي، لمجرد أن التراخي منع السيدة أتانابي من الحضور في الموعد!

قلت محاولة أن أبدو طبيعية:

- أتعلمون؟ إذا احتجنا إلى مكان للتدريب بعيد عن المدرسة، فبوسعكما المجيء إلى بيتي. عندي جدار عليه مرآة وعارضة حديدية في القبو. فقد كانت ماما تُدرِّس الباليه في بيتنا.

قالت سمر بابتهاج:

- أتذكَّر قبوكم هذا. أقمتم فيه حفلة عيد ميلاد جِنيّات الزهور ذات مرَّة.

قلت في شيء من الحرج لذِكرها جِنيّات الزهور أمام هيمينا:

- كان ذلك قديمًا في الصف الثاني.

سألتني هيمينا وهي تستعرض رسائلها:

- هل تعيشين بعيدًا عن هنا؟

- على بُعد عشرة شوارع فقط.

قالت:

- حسنًا، أرسلي إليَّ رسالة بعنوانك.

- بالطبع.

وأخرجتُ هاتفي بينما أُفكِّر بحماقة منقطعة النظير: **هأنا أُراسل هيمينا تشين بعنواني!**

- إممم، معذرة، ما رقمك؟

لم ترفع عينيها عن الهاتف، لكنها رفعت يدها أمام وجهي كأنها حارس يمنع الدخول. كان رقم الهاتف مكتوبًا بشكل رأسي على جانب راحة يدها بقلم أزرق سميك. كتبتُ رقمها وسجَّلته في هاتفي وأرسلت إليها عنواني.

قلت وأنا أبعث الرسالة:

- أتعلمون؟ يُمكنكما الحضور غدًا بعد المدرسة إن شئتما. يمكن أن نبدأ التدريب من الغد.

غمغمت هيمينا بغير اهتمام:

- حسنًا.

فأردت أن أشهق. **هيمينا تشين قادمة إلى بيتي غدًا!**

قالت سمر وهي تضيق عينيها معتذرة:

- أوه! لن أستطيع. سأخرج غدًا مع أوغي.

سألتُ:

- فماذا عن الجمعة؟

قالت هيمينا:

- لن أستطيع.

كانت قد انتهت من رسائلها فرفعت عينيها.

قلت:

- إذن الأسبوع المقبل.

قالت هيمينا في لامبالاة:

- سنُدبر موعدًا آخر.

وقالت لسمر وهي مبتسمة:

- كنتُ نسيتُ أنكِ صديقة للمسخ. كيف تجدين هذا؟

لا أعتقد أنها كانت تحاول أصلًا أن تكون وضيعة بقولها هذا، فكثير من الناس فعلًا يشيرون إلى أوغي بولمان بهذه الصفة.

نظرتُ إلى سمر، وأنا أقول لها بيني وبين نفسي: **لا تقولي شيئًا.**

لكنني كنت أعرف أنها ستقول.

تنهَّدت سمر، وقالت بما يُشبه الخجل:

- هل يمكن، من فضلِك، ألَّا تقولي عنه هذا؟

بدا على هيمينا أنها لم تفهم، فقالت وهي تجمع شعرها في ذيل حصان:

- لماذا؟ هو ليس هنا، وهذا مجرد لقب!

قالت سمر:

- لقب شنيع! ويُضايقني بالفعل!

هذه هي سمر داوسون: لديها طريقة تقول بها أشياء مثل هذه، فلا يبدو أن الناس يغضبون. لو قلتُ أنا شيئًا مثل هذا؟ انسوا، سينقلب الناس عليَّ قائلين إنني ملاك! أما جِنيَّة الخزامى، وهي ترفع حاجبيها الجميلين كأنهما ابتسامة على جبهتها، فلا يبدو أنها تعظ، بل تبدو لطيفة فقط.

قالت هيمينا معتذرة، وقد اتسعت عيناها:

- أوه! أنا آسفة! أنا في الحقيقة لم أكن أحاول أن أكون وضيعة يا سمر، لكنني لن أقول هذا عنه مرَّة أخرى، وعد.

بدا في صوتها أنها صادقة في أسفها بالفعل، لكن في تعبير وجهها نفسه هناك دائمًا ما يجعلك تتساءل إن كانت مخلصة تمامًا أم لا. أعتقد أن لذلك علاقة بغمازة خدها الأيسر، فعلى غير إرادتها، يبدو عليها بعض اللؤم.

نظرت إليها سمر في شك وقالت:

- لا بأس.

قالت هيمينا كما لو كانت تحاول أن تخفي حضور غمازتها:

- أنا آسفة بالفعل.

وحينذاك ابتسمت سمر، وقالت:

- عظيم.

قالت هيمينا وهي تربت على سمر:

- قُلتها من قبل، وسأقولها من جديد، أنتِ قديسة بالفعل يا سمر.

لثانية، شعرتُ بلسعة عابرة من الغيرة، وقد بدا أن هيمينا مُعجبة بسمر كل هذا الإعجاب.

قلت في شرود:

- أنا **أيضًا** أعتقد أنه لا يجب أن يُطلق أحد عليه المسخ.

والآن، لا بد أن أتوقف هنا لأُدافع عن نفسي: **أنا بالفعل لا أعرف لماذا قلت ذلك!** لقد خرج ذلك من فمي بغير تخطيط، هذا الخيط الغبي من الكلمات تدافع من فمي كأنه قيء، وعرفت على الفور كم جعلني أبدو بغيضة.

قالت هيمينا وقد رفعت أحد حاجبيها:

- معنى هذا أنكِ **لم تُطلقي** عليه ذلك من قبل.

نظرت بتلك الطريقة، كأنها تتحدَّاني أن يطرف جفناي.

قلت وقد أحسست أن أذنيَّ تحمرَّان:

- أنا إمممم...

لا، أنا آسفة، لا تكرهيني لأني قلت ذلك يا هيمينا تشين.

قالت بسرعة:

- دعيني أسألكِ سؤالًا، هل يمكن أن تخرجي معه؟

كان السؤال مُفاجئًا، فلم أدرِ ماذا أقول.

أجبت على الفور:

- ماذا؟ لا.

- بالضبط.

قالتها كما لو أنها أثبتت رأيها بالدليل القاطع.

قلت مرتبكة:

- لكن ليس بسبب شكله، بل لمجرد أنه لا يوجد بيننا أي شيء مشترك.

ضحكت هيمينا:

- أوه، دعكِ من هذا. هذا ليس صحيحًا **تمامًا**.

لم أدرِ ما الذي ترمي إليه.

سألتها:

- وأنتِ، هل يمكن أن تخرجي معه؟

قالت بهدوء:

- لا بالطبع. لكنني لست منافقة في أمره.

ألقيت نظرة سريعة على سمر، فرأيت على وجهها كأنها تقول: **أوبًّا، هذا مؤلم.**

واصلت هيمينا بنبرة من تُقر واقعًا:

- انظري، أنا لا أريد أن أكون وضيعة، لكن حينما تقولين: **أعتقد أنه لا يجب أن يُطلق أحد عليه المسخ**، فهذا يجعلني أشبه بحمقاء لأنني أطلقت عليه ذلك للتوِّ، وهذا مُثير للضيق بعض الشيء،

لأن الجميع يعلمون أن السيد توشمان طلب منكِ أن تكوني ضمن المُرحِّبين به، وذلك هو السبب في أنكِ لا تُطلقين عليه المسخ مثلما يفعل الجميع. أما سمر فصادقته من دون أن يُرغمها أحد على أن تكون من المُرحِّبين به، وهذا هو السبب في كونها قديسة.

ردت سمر بسرعة:

- لستُ قديسة، ولا أعتقد أن تشارلوت كانت ستُطلق عليه المسخ حتى لو لم يطلب منها السيد توشمان أن تكون من المُرحِّبين به.

قالت هيمينا:

- أرأيتِ؟ هأنتِ الآن قديسة مرَّة أخرى!

قلت بهدوء:

- ما كنتُ سأُطلق عليه المسخ بالطبع.

عقدت هيمينا ذراعيها، ونظرت إليَّ وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة العارفة، وقالت بمنتهى الجدية:

- أتعلمين؟ أنتِ تكونين ألطف معه أمام المُعلِّمين، وهذا ملحوظ.

قبل أن أتمكَّن من الرد - لا أعني أنني كنت أعرف ماذا يمكن أن أرد به - اندفعت السيدة أتانابي إلى قاعة الرقص عبر الأبواب المزدوجة في آخر القاعة.

قالت وهي مبهورة الأنفاس:

- آسفة جدًّا على التأخير، آسفة جدًّا على التأخير.

كان الجليد يغطيها، فبدت أشبه بتمثال صغير من الثلج وهي تنزل السلم حاملة أربع حقائب ممتلئة.

جرت هيمينا وسمر إلى السلم لمساعدتها، أما أنا فاستدرت وسرت إلى الطُّرقة. تظاهرت أنني أشرب من الصنبور، لكن ما كنت في حاجة إلى تجرُّعه فعلًا هو الهواء، الهواء البارد المتجمد، لأنني كنت أشعر بخدَّي يحترقان، وكأن النار شبَّت فيهما. شعرت كما لو كنت صُفعت على وجهي للتوِّ. رأيت عبر نافذة الطُّرقة أن الجليد كان ينهمر بشدة في ذلك الوقت، وجزء مني يحثني على الخروج إلى العراء لأتزلَّج عليه مبتعدة عن كل شيء.

أهكذا كان يراني **الآخرون**؟ مُدعية ومُنافقة؟ أم أنها هيمينا فقط وروحها التهكُّمية المعهودة؟

أنتِ تكونين ألطف معه أمام المُعلِّمين، وهذا ملحوظ.

أهذا صحيح؟ وهل لُوحظ؟ أعني هل كنتُ لطيفة بصفة خاصة مع أوغي بولمان في بضع مرَّات، لأنني كنت أعلم أن ذلك سيُنقل إلى السيد توشمان فيعلم أنني أحسنت الترحيب به؟ ربما. لا أعرف!

لكن حتى لو كان ذلك ما حدث، يمكنني على الأقل أن أقول إنني كنت **لطيفة** معه. وذلك أكثر مما يمكن أن يقوله أغلب الناس. ذلك أكثر مما يمكن أن تقوله هيمينا. لا زلت أتذكَّر تلك المرَّة التي اختيرت فيها هي وأوغي ليكونا شريكين في حصة الرقص، وبدا عليها كأنها تُوشك أن تتقيأ. أنا لم أفعل شيئًا كهذا بأوغي!

حسنًا، ربما أكون بالفعل ألطف قليلًا مع أوغي في حضور المُعلِّمين. أهذا بشع **إلى هذه الدرجة**؟

هذا ملحوظ. ما الذي يعنيه هذا؟ ومَن **الذي** لاحظ؟ سافانا؟ إيلي؟ أهذا ما كُنَّ يقلنه عني؟ أبتلك الطريقة كُنَّ يتكلَّمن عني في قاعة الغداء بالأمس، حين كان واضحًا تمامًا أنهنَّ يتكلَّمن عني لدرجة أن

مايا نفسها - التي لا تعرف في الأمور الاجتماعية أي شيء - أسفت لحالي؟

أنا التي كنتُ أتصوَّر طوال الوقت أن هيمينا تشين لم تعرف من أكون! الآن يتبين أنني كنت **ملحوظة**، ملحوظة أكثر مما أردت أن أكون.

هكذا تلقيتُ أولى مفاجآت يومي

عُدت إلى قاعة الرقص في اللحظة التي كانت السيدة أتانابي تزيح عن نفسها جميع لفائفها الشتوية، فتبعثر معطفها ووشاحها وسُترتها حولها على الأرض، وكانت مبلولة من الجليد الذي أتت به معها.

ظلَّت تقول وتُكرِّر:

- آه يا إلهي!

وهي ترفرف على نفسها بكلتا يديها:

- إنه الآن يبدأ في الهطول فعلًا.

انهارت جالسة على مقعد البيانو المواجه للمسرح، وبدأت تلتقط أنفاسها.

- يا إلهي! كم أكره أن أتأخَّر.

رأيت هيمينا وسمر يتبادلان نظرات العارفات.

واصلت السيدة أتانابي ثرثرتها بطريقتها التي يحبها البعض ولا يطيقها البعض، إذ تجعلهم يتصورون فيها الجنون:

- في الحقيقة، عندما كنت صغيرة، كانت أمي تُغرِّمني أنا وأختي دولارًا عن كل مرَّة نتأخَّر فيها عن شيء. وفعليًّا، كل مرَّة تأخَّرت فيها عن شيء، وإن يكن العشاء، كنت أدفع دولارًا لأمي.

ضحكتْ وبدأتْ تفك كعكة شعرها، ممسكة بدبوسين بين شفتيها وهي تتكلَّم:

- وحينما يكون مصروفكِ الأسبوعي كله ثلاثة دولارات، تتعلَّمين ضبط مواعيدك. ولذلك فإنني **أكره** فعلًا أن أتأخَّر عن موعدي.

قالت هيمينا وهي تبتسم إحدى ابتساماتها الخبيثة:

- ومع ذلك تأخَّرتِ اليوم أيضًا. ربما يجب أن نُغرِّمك دولارًا بدءًا من الآن.

ضحكت السيدة أتانابي طيِّبة القلب وهي تنفض حذاءها:

- ههههه. نعم تأخَّرتُ يا هيمينا. وهذه في الحقيقة ليست فكرة سيئة. ربما **يجب عليَّ** فعلًا أن أدفع دولارًا لكلٍّ منكن أنتن الثلاث.

ضحكت هيمينا كمن تشير إلى أنها كانت تمزح.

قالت السيدة أتانابي وهي تمد يدها إلى حقيبتها:

- في الحقيقة، أعتقد أنني سأُعطي دولارًا **لكل** واحدة منكن يا بنات عن **كل** مرَّة أتأخَّر فيها عن التدريب، اعتبارًا من الآن! هذا سيُرغمني على الالتزام بالمواعيد.

نظرت إليَّ سمر في تساؤل. وأدركنا أن السيدة أتانابي - التي أخرجت محفظتها - جادة فيما تقول.

قالت سمر وهي تهزُّ رأسها:

- أوه لا يا سيدة أتانابي، لستِ مُضطرَّة إلى هذا!

قالت السيدة أتانابي مبتسمة:

- أعرف، لكنني سأفعله. والآن، إليكن الشرط: سأُعطي كل واحدة منكن دولارًا كلما تأخَّرتُ عن التدريب إذا وافقتن على إعطائي دولارًا عن كل مرَّة تتأخرن فيها عن التدريب.

سألت هيمينا في ارتياب:

- هل مسموح لكِ بهذا؟ أخذ نقود من الطلاب؟

كنت أُفكِّر في الأمر نفسه.

قالت السيدة أتانابي:

- لمَ لا؟ أنتن في مدرسة خاصة، ويُمكنكن تحمُّل هذا، ربما أكثر مما أستطيع أنا.

غمغمت بتلك الجملة الأخيرة، ثم بدأت تُقهقه.

كانت السيدة أتانابي مشهورة بيننا بضحكها على النِّكات التي تُلقيها، وهو أمر عليكم أن تعتادوه.

سحبت ثلاثة دولارات ورقية جديدة من محفظتها ورفعتها في الهواء حتى نراها.

قالت:

- ما قولكن يا بنات؟ اتفقنا؟

نظرت هيمينا إلينا نحن الاثنتين وقالت لنا:

- أنا شخصيًّا أعرف أنني لن أتأخر أبدًا.

قالت سمر:

- أنا أيضًا لن أتأخَّر.

هززت كتفي، ولم أزل عاجزة عن النظر في عينَي هيمينا، وقلت:

- ولا أنا.

قالت السيدة أتانابي وهي تسير في اتجاهنا:

- إذن اتفقنا.

قالت لهيمينا وهي تُعطيها دولارًا جديدًا حادًّا:

- تفضَّلي يا آنسة.

قالت هيمينا وهي تُصوِّب إلينا ابتسامة تظاهرتُ أنني لم أرها:

- شكرًا.

ثم سارت السيدة أتانابي في اتجاهي أنا وسمر، وقالت وهي تعطي كلًّا منا دولارًا:

- تفضَّلي.. تفضَّلي.

وقلنا في الوقت نفسه:

- بارك الرب أمريكا.

لحظة! ما هذا؟

نظرت إحدانا إلى الأخرى، وقد اتسعت أعيننا من الدهشة. سيُصبح كل ما حدث خلال نصف الساعة الماضي أقل أهمية، لو أن ما **أظنه** حدث **قد حدث** فعلًا.

همستُ في عجب:

- عازف الأكورديون؟

شهقت سمر وأومأت في سعادة قائلة:

- عازف الأكورديون.

هكذا ذهبنا إلى نارنيا

ظريف فعلًا أن تعرف شخصًا طوال عمرك، ثم تكتشف أنك لا تعرفه حق المعرفة على الإطلاق. فمثلًا، طوال الوقت، أعيش في عالم موازٍ لسمر داوسون، الفتاة اللطيفة التي عرفتها منذ الحضانة ورأيت دائمًا أنها تُشبه جِنيَّة الخزامى، لكننا لم نصبح قَطُّ صديقتين بمعنى صديقتين، وليس هذا بسبب شيء معين. هذا ما حدث ببساطة. مثلما كان قدرنا أنا وإيلي أن نكون صديقتين لأن السيدة دياموند أجلستنا في مقعد واحد في اليوم الأول لنا في المدرسة، كان قدري أنا وسمر ألَّا تعرف إحدانا الأخرى، لأننا لم نكن قَطُّ في فصل واحد، ولم يتقاطع طريقي وطريقها في المدرسة إلا في الرياضة والسباحة والطابور والحفلات ومثل تلك الأمور. أمي وأمها لم تكونا صديقتين، فلم تُرتِّب لنا مواعيد لعب. أذكر أنني دعوتها إلى حفلة جِنيَّات الزهور في عيد ميلادي ذات مرَّة، لكن ذلك لمجرد أنني أنا وإيلي كنا نرى أنها تُشبه جِنيَّة الخزامى لا أكثر. وأذكر أننا خرجنا معًا قليلًا في حفلات البولينج الخاصة بأولاد آخرين، وفي المبيت في بيوت الأصدقاء وأمثال هذه الأمور. كنا أيضًا صديقتين في فيسبوك، وكان بيننا كثير من الناس المشتركين.

كنا قريبتين تمامًا، لكننا لم نكن قَطُّ صديقتين بالفعل.

عندما قالت سمر «بارك الرب أمريكا»، شعرت فعلًا كأنني أُقابلها للمرَّة الأولى في حياتي. تخيَّل أن تكتشف شخصًا آخر في العالم يعرف سرًّا أنت وحدك من يعرفه. كان ذلك أشبه بجسر

خفي نشأ فورًا ليصل بيني وبينها، أو كأننا صادفنا بابًا صغيرًا في خلفية خِزانة ووجدنا وراءه عفريتًا يعزف البيانو مُرحبًا بنا في أرض نارنيا.

هكذا تلقيتُ مفاجأة يومي الثانية

قبل أن أتمكَّن أنا أو سمر من قول أي شيء آخر في موضوع عازف الأكورديون، فركت السيدة أتانابي يديها، وقالت إن وقت العمل قد «حان». قضينا بقية وقت التدريب، ولم يكن المتبقي إلا نصف ساعة، ونحن نستمع إلى السيدة أتانابي في استعراض سريع للرقصة، وتفحُّص بين الحين والآخر لحالة الطقس من خلال تطبيق على هاتفها. لم نقم في الحقيقة بأي رقص فعلي: مجرد خطوات أساسية، وقليل من التدريب الصارم على تفاصيل الحركة.

طمأنتنا السيدة أتانابي:

- سننغمس فيها فعليًّا في المرَّة المقبلة. وأعدكن أنني لن أتأخَّر. أراكن يوم الجمعة. احترسن وأنتن عائدات إلى البيت.
- إلى اللقاء يا سيدة أتانابي.
- إلى اللقاء.

بعد ذهابها اقتربت أنا وسمر كما لو كنا قطعتي مغناطيس، وبدأنا نتكلم في لهفة في وقت واحد.

قلت:

- لا أُصدِّق أنكِ تعرفين عمَّن أتكلَّم.

قالت:

- بارك الرب أمريكا.
- هل عندكِ أي فكرة عما حدث له؟
- لا، مع أني سألت وفعلت كل شيء.

- أنا أيضًا. لا أحد يعرف ما جرى له.
- كأنه تلاشى عن وجه الأرض!

سألت هيمينا وهي تنظر إلينا في فضول:

- من هذا الذي تلاشى عن وجه الأرض؟

وأعتقد أن الطريقة التي كنا نتكلَّم ونتصرَّف بها، قد أوحت لها بأن أمرًا ذا شأن حدث للتوِّ.

كنتُ أتجنَّبها إلى حدٍّ ما بسبب ما سبق، فتركتُ سمر ترد.

قالت سمر:

- إنه الرجل الذي كان يعزف الأكورديون في شارع «مين»، أمام سوبر ماركت «آيه آند بي»، عند منعطف طريق «مور». كان دائمًا هناك بصحبة كلبته الحارسة. أثق أنكِ قد رأيته. كان كلما ألقى إليه أحدٌ نقودًا في علبة الأكورديون يقول «بارك الرب أمريكا».

قلت معها في الوقت نفسه تمامًا:

- بارك الرب أمريكا.

أكملتْ:

- عمومًا، كان في مكانه ذلك منذ الأزل، ولكن منذ شهرين لم يعد له وجودا!

أضفتُ:

- ولا أحد يعرف ما حدث له، فصار الأمر لُغزًا.

سألت هيمينا وقد ارتسم على وجهها تعبير الامتعاض الذي يظهر أحيانًا على وجه سافانا:

- لحظة، إذن الشخص الذي تتكلَّمان عنه شخص مُتشرِّد.

قالت سمر:

- لا أعرف إن كان غوردي مُتشرِّدًا في الحقيقة.

سألتُ في دهشة تامة:

- تعرفين اسمه؟

قالت مؤكدة:

- نعم. غوردي جونسن.
- وكيف تعرفينه؟

قالت وهي تهزُّ كتفيها:

- لا أعرف. كان أبي يُكلِّمه. كان من قدماء المحاربين. وأبي خدم في البحرية، وكان دائمًا ما يقول: **ذلك الرجل بطل يا سمر، وقد خدم بلده.** كنا أحيانًا نأخذ له القهوة والكعك في طريقنا إلى المدرسة، وأعطته أمي سُترة أبي.

قلتُ مُشيرة إليها:

- لحظة، هل كانت السُّترة برتقالية من كندا جوز؟

قالت سمر في سعادة:

- نعم.

صحتُ وأنا أشد على يدها:

- أنا أتذكَّر تلك السُّترة.

ضحكت هيمينا:

- يا إلهي! كل هذا الجنون من أجل شخص مُتشرِّد يلبس سُترة برتقالية؟!

تبادلتُ النظرات أنا وسمر.

قالت سمر:

- من الصعب أن نشرح.

لكنني كنتُ أشعر أيضًا بما شعرتْ به، أشعر بِصلة بيننا في هذا الأمر، برابط يربطنا، بنسختنا الخاصة من الانفجار الكبير.

قلت وأنا أجذبها من ذراعها:

- يا إلهي يا سمر! ربما يُمكننا أن نتعقَّبه. يمكن أن نكتشف أين هو ونطمئن عليه. ما دُمتِ تعرفين اسمه فبوسعنا أن نفعل ذلك.

سألتني سمر وقد أخذت عيناها تؤديان تلك الرقصة الصغيرة التي تؤديانها حينما تشعر بسعادة غامرة:

- هل ترين أننا نستطيع؟ كم أرغب في هذا!

قالت هيمينا وهي تهزُّ رأسها:

- لحظة، لحظة، لحظة. هل هذا كلام جاد؟ هل ترغبان بالفعل في تعقُّب شخص مُتشرِّد لا تعرفانه تقريبًا؟

كانت تتكلَّم وكأنها لا تُصدِّق ما تسمعه.

- نعم.

قلناها ونحن نتبادل النظرات في سعادة.

- وهو تقريبًا لا يعرفكما؟

قالت سمر في ثقة:

- سيعرفني، خصوصًا إذا قلتُ له إنني ابنة الرقيب داوسون.

سألتني هيمينا وعيناها تضيقان في ريبة:

- وهل سيعرفكِ يا تشارلوت؟

قلتُ بسرعة، لمجرد رغبتي في أن تتوقَّف عن الكلام:

- بالطبع لا. إنه أعمى يا غبية!

لحظة أن قلتُ ذلك، ساد الصمت من حولنا، حتى المدفأة التي كانت تُصدر ضجة صاخبة في قاعة الرقص حتى ذلك الحين، توقفت فجأة وصمتت، وكأنما أرادت قاعة الرقص أن تسمع صدى كلماتي في الهواء!

إنه أعمى يا غبية! إنه أعمى يا غبية! إنه أعمى يا غبية!

وكلمات أخرى كالقيء! فبدوتُ كأنني **أسعى** إلى جعل هيمينا تشين تكرهني!

انتظرتُ أن تنهال عليَّ بأحد ردودها الساخرة، بشيء يصفعني صفعة يد خفية على وجهي، لكن بدلًا من ذلك، وأمام دهشتي العارمة، راحت تضحك.

بدأت سمر تضحك هي الأخرى، وقالت محاكيةً طريقتي بالضبط:

- إنه أعمى يا غبية!

وكرَّرت هيمينا:

- إنه أعمى يا غبية!

وبدأت الاثنتان في الضحك والقهقهة. أعتقد أن نظرة الفزع التي ارتسمت على وجهي هي التي جعلت الجملة أطرف بالنسبة إليهما. فكلما كانتا تنظران إليَّ، كانتا تزدادان ضحكًا.

همستُ بسرعة:

- أعتذر عمَّا قُلته يا هيمينا!

هزَّت هيمينا رأسها، وجفَّفت عينيها براحة يدها، وقالت وهي تتمالك أنفاسها:

- لا بأس. كنتُ أتوقَّع ذلك تقريبًا!

لم تبدُ في صوتها أيُّ نبرة سخرية أو تهكُّم، بل كانت تبتسم. قالت:

- انظري، لم أكن أقصد أن أُهينكِ من قبل فيما قلتُه عن أوغي: **أنتِ تكونين ألطف معه أمام المُعلِّمين**. وأعتذر عن قولي ذلك.

لم أُصدِّق أنها تعتذر!

قلتُ في ارتباك:

- لا عليكِ.

سألتني:

- فعلًا؟ أنا لا أُريدكِ أن تغضبي مني.

- لستُ غضبانة.

قالت في ندم:

- في بعض الأحيان أكون حمقاء تمامًا، لكنني أُريد بالفعل أن نكون صديقتين!

- لا بأس.

قالت سمر وهي تفرد ذراعيها لنا:

- أوووووه! عناق جماعي يا بنات!

وفردتْ جناحَي الجِنيَّة حولنا، وفي ثوانٍ كنا في عناق عجيب، ثم طال أكثر مما يجب، وانتهى بمزيد من القهقهات. لكنني في هذه المرَّة كنت أضحك أنا الأخرى.

تلك كانت كبرى مفاجآت اليوم: ليس اكتشافي أن الناس كانوا **يلاحظونني**، وليس اكتشافي أن سمر تعرف اسم عازف الأكورديون، بل إدراكي أن هيمينا تشين، تحت طبقات وطبقات وطبقات من التهكُّم والسخرية والسخافة، يمكن أن تكون بنتًا لطيفة بالفعل، وذلك حينما لا تكون وضيعة.

هكذا عرفنا بعضنا بعضًا بشكل أفضل

مضت الأسابيع القليلة التالية بسرعة البرق: جنون متتالٍ من العواصف الثلجية، وتدريبات الرقص، ومشاريع معرض العلوم، والمذاكرة استعدادًا للامتحانات، **ومحاولة** حل لُغز ما حدث لغوردي جونسن (والمزيد عن هذا لاحقًا).

تبيَّن أثناء تلك الأسابيع أن السيدة أتانابي أقرب إلى رقيب يُدرِّب جنودًا. هي لطيفة بالطبع، على طريقتها اللذيذة الخرقاء، لكنها لا تكف عن الضغط. فمثلًا، مهما تدرَّبنا، فذلك لم يبدُ كافيًا لها قَطُّ: ضغط ثم ضغط ثم ضغط، **على أطراف الأصابع**، رقصة الشيمي، التركيز على الفخذ، باليه كلاسيكي، رقص حديث، قليل من الجاز، لا رقص إيقاعيًا، مع الإيقاع، على نصف قدم. كل شيء يجري على طريقتها، ولديها الكثير من حِيل الرقص شديدة الدقة، ولديها أشياء تُسيطر عليها في هوس. الرقصات نفسها لم تكن صعبة: التويست، القرد، الواتسو، الحصان، الهيتشهايك، السباحة، الهاكلبك، الشنغالنغ. لكن أداءها بالطريقة الدقيقة التي تريدنا أن نؤديها بها هو الصعب: أداؤها كجزء من تصميم أكبر، وأداؤها متزامنة. وذلك ما كنا نقضي أغلب وقتنا في العمل عليه: كيف نرفع أذرعنا، كيف نصفق بأصابعنا، التفاتاتنا، قفزاتنا. كان علينا أن نعمل بجد لنتعلَّم كيف نرقص متماثلات، لا مترافقات وحسب.

الرقصة التي قضينا أغلب الوقت في التدرُّب عليها هي شنغالنغ. كانت هي الرقصة الأساسية في تصميم السيدة أتانابي كله، وتستعملها

في الانتقال من أسلوب رقص إلى التالي له. لكن هذه الرقصة كانت لها تنويعات كثيرة: اللاتينية، والآر آند بي، والإيقاعية، فكان عدم الخلط بينها صعبًا. وكانت السيدة أتانابي شديدة التدقيق في الطريقة التي ترقص بها كلٌّ واحدة منا. والطريف أنها تكون في منتهى التساهل في بعض الأشياء - لم تحضر إلى أي تدريب في موعده - وتكون في الوقت نفسه شديدة الصرامة بشأن أمور أخرى، مثل: «إيَّاكِ أن تؤدي حركة الشاسيه قُطريًّا لا عَرضيًّا. **أوه أوه! احترسي! قد تنتهي دنياكِ التي تعرفينها!**».

بالمناسبة، لا أقول إن السيدة أتانابي لم تكن لطيفة. لأن هذا ظلم. لقد كانت في منتهى اللُّطف: تُطمئننا كلما واجهنا مشكلة في رقصة جديدة: «خطوات صغيرة يا بنات. كل شيء يبدأ بخطوات صغيرة»، وتُفاجئنا بالكعك بعد يوم عمل مُكثَّف جدًّا، وتقوم بتوصيلنا إلى بيوتنا عندما نتأخَّر كثيرًا في التدريب، وتحكي لنا طرائف عن المُعلِّمين الآخرين، وقصصًا شخصية عن حياتها: كيف نشأت في الحي الإسباني، وكيف انحرفت صديقات لها إلى طريق «خطأ»، وكيف أن مشاهدة برنامج **أمريكان باندستاند** الاستعراضي أنقذت حياتها، وكيف قابلت زوجها، وهو أيضًا راقص، وهما يعرضان مع فرقة سيرك دي سوليه في كويبك بكندا: «وقعنا في الحب ونحن نؤدي الأكروبات على حبل بارتفاع ثلاثين قدمًا».

لكن التدريب كان شاقًّا، وكنت أنام بالليل فأجد الكثير جدًّا من المعلومات تتقافز في رأسي: جمل موسيقية، ومحفوظات، ومعادلات رياضية، وقوائم مهام منتظرة، وقول السيدة أتانابي بلكنة هارلم اللطيفة: «**إنها شنغالنغ يا صغيرتي**». كنت في بعض الأحيان

أضع السماعات لكي يطغى الصوت على ما في عقلي من ثرثرة!

مع ذلك، كنت أعيش الكثير من المرح، فلو أُتيح لي تغيير شيء في تلك الفترة لما غيَّرتُ شيئًا، لأن أجمل ما في التدريب الجنوني وضغوط السيدة أتانابي وغير ذلك - **لا أريد أن أبدو عاطفية** - هو أن هيمينا وسمر وأنا، كنا نتعرَّف فعليًّا على بعضنا البعض بشكل أفضل. يعني، هذا **يبدو** عاطفيًّا، لكنه حقيقي. لا أقول إننا أصبحنا أعز صديقات، فسمر ظلَّت أقرب إلى أوغي، وهيمينا ظلَّت أقرب إلى سافانا، وأنا ظللتُ ألعب لعبة النقاط مع مايا، لكننا كنا نتحوَّل إلى صديقات، أعني صديقات حقيقيات.

بالمناسبة، تبيَّن أن تهكُّم هيمينا محض قناع، شيء بوسعها أن تخلعه كلما أرادت خلعه، مثل وشاح ترتديه إحدانا على سبيل الزينة إلى أن يُشعرها بحكة في رقبتها. كانت مع سافانا ترتدي الوشاح، وتخلعه معنا. لا أقول بهذا إنني لم أعد أشعر أحيانًا بالتوتر في وجودها. يا إلهي! عندما جاءت إلى بيتنا للمرَّة الأولى، كنتُ في منتهى التخبُّط، ومتوترة بسبب خوفي من أن تحرجني أمي، متوترة من أن تبدو الدُّمى الكثيرة حول سريري وردية أكثر مما يجب، متوترة من ملصق فرقة بيغ تايم راش الغنائية على باب غرفة نومي، متوترة من كلبي سوكي الذي ربما يبول عليها.

لكن كل شيء مضى على ما يُرام بالطبع. كانت هيمينا لطيفة جدًّا، وقالت إن غرفتي جميلة، وعرضت أن تغسل الأطباق بعد العشاء، ومزحت كثيرًا على صورة لي وأنا في الثالثة، وكانت مُحقَّة في ذلك، لأنني أبدو فيها مثل الدُّمية بالفعل. ثم جاءت لحظة بعد الظهر، لا أعرف متى بالضبط، توقَّفتُ فيها عن التفكير في أن **هيمينا تشين** في

بيتي! هيمينا تشين في بيتي! وبدأت أستمتع فقط بوقتنا معًا. كان ذلك أمرًا عظيمًا بالنسبة إليَّ، كان نقطة تحوُّل، تلك اللحظة التي توقَّفتُ فيها عن التصرُّف مع هيمينا وكأنني بلهاء. فلا مزيد من قيء الكلام. أعتقد أن ذلك حدث حينما خلعتُ «الوشاح» أنا الأخرى!

على أي حال، كان فبراير شهرًا مشحونًا، ورائعًا أيضًا. وبحلول نهاية فبراير، كنا نقضي الوقت معًا في بيتي، كل يوم بعد المدرسة، فنرقص أمام المرايا، ونصحح لأنفسنا، ونضبط توافق خطواتنا، وكلما تعبنا، أو شعرنا بالإحباط، قالت إحدانا، بلكنة السيدة أتانابي: «إنها شنغالنغ يا صغيرتي»، فيدفعنا ذلك إلى الاستمرار.

كنا في بعض الأحيان نترك التدريب، ونجلس في غرفة معيشة بيتنا بجوار المدفأة لنحل الواجبات، أو نمرح معًا، أو نبحث عن غوردي جونسن.

هكذا أُفضِّل النهايات السعيدة

أكثر ما أفتقده من طفولتي، أن جميع الأفلام التي شاهدتها وأنا صغيرة، كانت ذات نهايات سعيدة: دوروثي ترجع إلى كنساس، تشارلي يصل إلى مصنع الشوكولاتة، إدموندي يرد اعتباره. وهذا يُعجبني. تُعجبني النهايات السعيدة.

لكن مع التقدُّم في العمر، تبدأ إحدانا أحيانًا في رؤية قصص لا تكون ذات نهايات سعيدة، بل تكون لها أحيانًا نهايات محزنة. هذا بالطبع يجعل القصص نفسها أكثر تشويقًا، لأنك لا تعرف ماذا سيحدث، لكنه أيضًا أمر مخيف بعض الشيء.

على أي حال، سِر كلامي عن هذا الآن، هو أننا كلما ازددنا بحثًا عن غوردي جونسن، أصبحت أُدرك أن هذه القصة قد لا تنتهي نهاية سعيدة.

بدأنا ببساطة بالبحث عن اسمه في غوغل، لكن تبيَّن أن هناك المئات من: غوردي جونسن، وغوردن جونسن، وغورديي جونسن، وهناك عازف جاز شهير اسمه غوردي جونسن (رأينا أن هذا قد يُفسِّر الشائعة التي سمعها الرجل في محل النظارات عن غوردي جونسن الخاص بنا)، وهناك السياسي غوردن جونسن، وهناك عامل المعمار غوردن جونسن، ومحاربون قدماء، وكثير من الوفيات. والإنترنت لا تُفرق بين أسماء الأحياء وأسماء الموتى. فكنا كلما نقرنا على أحد هذه الأسماء، نتنفَّس الصعداء حين لا يتبيَّن أن الميت هو غوردي جونسن الخاص بنا، وإن كان مُحزنًا أنه غوردي جونسن الخاص بشخص آخر.

في البداية، لم تنضم إلينا هيمينا فعليًّا في البحث. كانت تحل واجباتها، أو تجلس في ناحية من غرفة النوم لتُرسل رسائل نَصيَّة إلى مايلز، بينما أنكفئ أنا وسمر على اللابتوب، فنستعرض الصفحة تلو الصفحة، ولا نصل إلا إلى طُرق مسدودة. إلى أن جذبت هيمينا يومًا كرسيها واقتربت منا وبدأت تنظر من وراء كتفينا.

اقترحتْ:

- ربما يجب عليكما البحث في الصور.

فعلنا ذلك، ووصلنا أيضًا إلى طريق مسدود. لكن بعد ذلك، أصبحت هيمينا مهتمة بالوقوف على ما حدث لغوردي جونسن بقدر اهتمامي أنا وسمر.

هكذا اكتشفتُ شيئًا عن مايا

في المدرسة، في تلك الأثناء، كان كل شيء كالمعتاد، عملًا يتلوه عمل. كان لدينا معرض العلوم، وحصلت أنا وريمو على درجة جيد جدًّا عن مشروعنا الخاص بنموذج الخلية، وكان هذا أكثر مما كنت أتوقَّع، لأنني لم أُخصص للمشروع إلا وقتًا قليلًا جدًّا. وأقامت هيمينا وسافانا ساعة شمسية. ولعل أكثر المشاريع إثارة للاهتمام هو مشروع أوغي وجاك، وكان عبارة عن مصباح يعمل بطاقة مستمدة من ثمرة بطاطس. خمَّنتُ أن أوغي هو الذي قام على الأرجح بالقدر الأكبر من العمل، لأن جاك لم يكن قَطُّ مَن يُوصف بـ«التلميذ الموهوب»، لكنه كان سعيدًا بالحصول على درجة امتياز في المشروع، وقد بدا جميلًا جدًّا، مثل شخص سعيد بعض الشيء، وقليل الحيلة أيضًا: 🙂

أما شكلي أنا حينما رأيته فكان هكذا: 😍

بحلول نهاية فبراير، كانت حرب الأولاد قد تصاعدت تمامًا، وكانت سمر تُطلعني على ما يجري، لقربها من بواطن كل شيء من وجهة نظر أوغي وجاك. يبدو - وقد أقسمتُ على الكتمان - أن جوليان بدأ يترك رسائل سخيفة على ورق لاصق في خِزانتَي جاك وأوغي.

أسفتُ لهما كثيرًا، وأسفت مايا أيضًا. وكانت قد صارت شديدة الهوس بحرب الأولاد هي الأخرى. ولم أدرِ في البداية سبب ذلك، فهي لم تسعَ قَطُّ لمصادقة أوغي! وكانت تُعامل جاك دائمًا وكأنه أبله! في تلك الأيام التي كنتُ أنا وإيلي نتكلَّم فيها عن ظرفه وشكله

الجميل في قبعة آرتفول دودجر، كانت مايا تضع أصابعها في أذنيها وتقلب عينيها، وكأن مجرد سيرته تُثير اشمئزازها! لذلك خمَّنتُ أن يكون اهتمامها بحرب الأولاد له علاقة بطِيبة قلبها، وإن كان الأمر مُفاجئًا.

رأيتها في أحد الأيام على الغداء وهي مُنهمكة في العمل على ما يُشبه قائمة، ففهمتُ سر اهتمامها الكبير ذلك. في دفترها الذي كانت تُصمِّم فيه ألعاب النقاط، كان لديها ثلاثة صفوف من ورق لاصق صغير عليه أسماء جميع الأولاد في الصف، وكانت تُصنِّفها إلى أعمدة: صف جاك، وصف جوليان، والمحايدون.

أوضحتْ قائلة:

- أعتقد أنني أُساعد جاك ليعرف أنه ليس وحده في هذه الحرب!

وحينها أدركتُ: **مايا مُعجبة بجاك ويل! أوووووه! هذا لطيف جدًّا!**

قلت:

- رائع!

لم أرغب في أن أُشعرها بشيء، فساعدتها في تنظيم القائمة، واختلفنا على بعض المحايدين، ولكنها في النهاية كانت تستسلم لي. ثم نقلت القائمة على ورقة وطوتها نصفين، ثم أرباعًا، ثم أثمانًا، ثم أسداس عشر.

سألتها:

- ماذا تنوين أن تفعلي بها؟

قالت وهي ترفع نظارتها على أنفها:

- لا أعرف. لا أريدها أن تقع في اليد الخطأ.

- تُحبين أن أُعطيها لسمر؟

- نعم.

أعطيت القائمة لسمر لتُعطيها لجاك وأوغي. لا بد أن سمر افترضت أنني أعددتُ القائمة بنفسي، ولم أُصحِّح لها ذلك لأنني **ساعدتُ** مايا في العمل على القائمة بالفعل، ولم يكن في تصوُّرها ذلك بأس.

في ذلك اليوم نفسه سألتني مايا بصوتها الرقيق:

- ما أخبار الرقص؟

كنتُ أعرف أنها تحاول أن تكون مُهذبة معي، لأنه لا يمكن أن يكون أحد أقل اهتمامًا منها بالرقص. لكنها كانت لفتة طيِّبة منها، فقد بذلتْ جهدًا على الأقل لتُبدي اهتمامًا.

قلت وأنا أقضم من الساندويتش:

- جنون! السيدة أتانابي مجنونة رسميًّا!

قالت مايا:

- ههههه، قصدكِ السيدة جنونابي.

قلت:

- هههههه، حلوة!

قالت مايا:

- أشعر أنكِ قضيتِ شهر فبراير كله في بيات شتوي، فأنا لا أكاد أراكِ. أنتِ تقريبًا لم ترجعي معنا من المدرسة في أي يوم.

أطرقتُ قائلة:

- أعرف. وصرنا أخيرًا نتدرَّب في وقت الغداء. لكننا سننتهي قريبا جدًّا. بعد أسابيع قليلة. الحفل الخيري في الخامس عشر من مارس.

قالت:

- احذري منتصف مارس[1].

قلت وأنا لا أعرف إطلاقًا ما الذي تتكلَّم عنه:

- أوه، نعم، أنتِ مُحقَّة.
- ألا تُحبين أن تري مخططات أحدث لعبة نقاط عملاقة أُجهزها؟

قلت وأنا أتنفَّس بعمق:

- بلى.

أخرجت دفترها، وبدأت شرحًا مُفصلًا لتوقُّفها عن استعمال الأشكال الشبكية في رسم النقاط، واستعمالها الآن المخططات الفنية لصُنع جداريات، بحيث إذا ما امتلأت النقاط أصبح لها «تدفُّق ديناميكي في الشكل»، أو شيء من هذا القبيل.

الحقيقة أنني صادفت صعوبة في متابعة ما كانت تقوله، والجزء الوحيد الذي سمعته يقينًا هو قولها:

- لم أُحضِر لعبة النقاط الجديدة إلى المدرسة بعدُ، لأنني أريد أن تكوني موجودة لنلعب معًا.

قلت وأنا أهرش رأسي:

- أوه، رائع!

ولم أُصدِّق مدى شعوري بالضجر في تلك اللحظة.

بدأت تقول شيئًا آخر عن النقاط، حين ألقيتُ نظرة سريعة على مائدة سمر لأُفكِّر في شيء آخر. كانت تضحك هي وجاك وأوغي، وأستطيع أن أؤكد لكم شيئًا واحدًا: أنهم لم يكونوا يتكلَّمون عن

(1) فيه قُتل يوليوس قيصر، فبات يُعدُّ عند الرومان يومًا يُحسب حسابه.

النقاط. مرَّت عليَّ أوقات كنت أتمنى فيها بالفعل لو أن لديَّ الشجاعة فأقوم وأذهب ببساطة لأجلس معهم.

ثم نظرت إلى مائدة سافانا. كن جميعًا يضحكن ويقضين وقتًا لطيفًا أيضًا: سافانا، وإيلي، وغريتشن، و**هيمينا**. كلهن يتكلَّمن مع الأولاد في المائدة المواجهة لهن: جوليان، ومايلز، وهنري، وأموس.

قالت مايا وهي تتابع عينيَّ:

- ألیس هذا فظيعًا؟

سألتها:

- إيلي؟

فقد كنت في تلك اللحظة أنظر إليها.

- لا. هيمينا تشين.

التفتُّ وألقيتُ نظرة على مايا. كنت أعرف أنها تكره هيمينا، ولكن لسببٍ ما، أدهشتني الطريقة التي قالت بها ذلك، بنبرة مفعمة بالحدة.

قلت:

- ما الذي تأخذينه على هيمينا تشين؟ **إيلي** هي التي قاطعتنا، أتذكرين؟ و**سافانا** هي التي لم تكن لطيفة معنا.

قالت مايا:

- غير صحيح. سافانا كانت دائمًا لطيفة معي. كانت لدينا مواعيد للَّعب طوال الوقت ونحن في المدرسة الابتدائية.

هززت رأسي وقلت:

- نعم، لكن مواعيد اللَّعب لا تُحسب يا مايا. ففي نصف الحالات تُرتبها أمَّهاتنا. والآن علينا **نحن** أن نختار من نخرج معهن.

اختارت سافانا ألَّا تخرج معنا، **واختارت** إيلي ألَّا تخرج معنا، تمامًا مثلما **نختار** نحن ألَّا نخرج مع بعض الناس. ليس هذا بالأمر الكبير، لكن من المؤكَّد أنه ليس خطأ هيمينا تشين.

نظرت مايا من فوق نظارتها إلى مائدة سافانا. وفيما كنت أُراقبها، أدركتُ أن شكلها لم يتغيَّر نهائيًّا عما كانت عليه في الحضانة، حينما كنا نلعب معًا بكرة الحبل في الفناء، أو نلعب سباقات الجِنيَّات في الحديقة عند الغروب.

من بعض الجوانب، لم تكبر مايا كثيرًا منذ ذلك الحين، فوجهها، ونظارتها، وشعرها، كلها كانت مماثلة لما كانت عليه من قبل. صارت قامتها أطول بالطبع، لكن كل ما عدا ذلك تقريبًا بقي على حاله بلا تغيير، وخصوصًا تعبيرات وجهها، التي كانت لا تزال على حالها تمامًا.

قالت بيقين تام:

- لا. كانت إيلي لطيفة معي، تمامًا مثل سافانا. أنا لا ألوم إلا هيمينا تشين!

هكذا ربحنا المال في فبراير

بحلول نهاية فبراير، كنا قد كسبنا ستة وثلاثين دولارًا.

لقد تأخَّرت السيدة أتانابي عن مواعيد التدريب كلها تقريبًا.

مواعيد.. التدريب.. كلها.

لدرجة أنها كانت في واقع الأمر تأتي إلى التدريب وفي يدها ثلاثة دولارات جديدة جاهزة لتُعطيها لنا. كان ما يحدث فعليًّا هو أنها تصل، وتبدأ الكلام، وتُعطي كل واحدة منا دولارها، من دون أن تتكلَّم في الأمر، ويبدأ درس الرقص! كان ذلك أشبه بدفع ثمن القبول. مبلغ تدفعه نظير عبورها الباب. أمر في غاية الظرف!

وعند نقطة معينة في منتصف الشهر، اقترحت هي نفسها رفع الغرامة التي تُعطيها لنا من دولار إلى خمسة دولارات. وأكَّدت أن هذا سيمنعها من التأخُّر في المستقبل بلا شك.

وذلك لم ينجح أيضًا بالطبع، فقد صارت بدلًا من أن تدخل بثلاثة دولارات جديدة جاهزة في يدها، تدخل وفي يدها ثلاث خمسات جديدة جاهزة في يدها، فتُلقيها واحدة تلو واحدة فوق حقائبنا من دون أن تقول كلمة. ثمن القبول!

سووووش، سووووش، سووووش!!

- بارك الرب أمريكا.

حتى هيمينا باتت تقولها معنا!

هكذا اكتشفتْ هيمينا أمرًا

صُعودٌ وسُموٌّ

بقلم: ميليسا كروتس، نيويورك تايمز، فبراير 1978

إن «صعود»، في افتتاحه بقاعة مسرح نيلي ريجينا، هو العمل الأول والمُذهل لمصممة الرقصات بيترا إيتشيفاري، الخريجة الحديثة من جوليارد، والفائزة بجائزة برينسيس جريس. وهو عبارة عن رؤية جديدة آسرة لأهم رقصات الستينيات - مثلما تراها عينا المصممة الشفَّافة في طفولتها التي قضتها بالحي الإسباني في مدينة نيويورك. وهذا التصميم هو بمنزلة مديح نافذ ومبهج للمسارات الصاخبة الفاتنة المهددة بالفقدان مما شهده ذلك العقد.

عبْر قفزات تقطع الأنفاس، وخطوات خلَّاقة تكشف عن التدريب الذي خضعت له الآنسة إيتشيفاري على الأسلوب الكلاسيكي، يأخذ العمل رقصة واحدة، هي الشنغالنغ، ويخلق منها سردية بصرية تتماوج فيها بقية العمل.

تُوضِّح إيتشيفاري قائلة: «السبب الذي جعلني أختار شنغالنغ لتكون مركز هذه الرقصة، هو

أنها صرعة الرقص الوحيدة في ذلك العقد، التي تطوَّرت فعلًا بمرور السنوات لتعكس الأساليب والأجناس الموسيقية للموسيقيين والراقصين في تأويلاتهم لها. هناك أنماط كثيرة جدًّا من شنغالنغ: اللاتينية، والروحية، والآر آند بي، والجاز، واللاواعية، والروك آند رول. إنها الرقصة الوحيدة التي تتقاطع مع كل نوع، إنها الخيط المشترك... في أثناء نشأتي في الستينيات، كانت الموسيقى هي كل شيء في حياتي وحياة أصدقائي. لم أكن أملك نقودًا لتلقِّي دروس في الرقص، فتعلَّمتُ الرقص من برنامج **أمريكان بانستاند**، وكانت الرقصات الرائجة في ذلك العقد هي تدريباتي».

لم تبدأ إيتشيفاري دروسًا منتظمة في الرقص إلى أن بلغت الثانية عشرة، لكنها لم تكد تبدأ، حتى لم يعد مجال للنظر إلى الوراء. وتتذكَّر إيتشيفاري: «بمجرد أن التحقتُ بالفنون الأدائية، وبعدها جوليارد، عرفت أنني قادرة على ذلك، وبوسعي أن أتغلَّب على المصاعب. لم تفعل ذلك أيٌّ من صديقاتي في الحي. كان ذلك الحي مكانًا تصعب الحياة فيه».

وبسؤالها عن سر اختيارها لشنغالنغ، لتكون موضوع رقصتها الأساسية، يرتسم الغموض على

وجه إيتشيفاري: «منذ سنتين، وقبل نحو شهر من التخرُّج في جوليارد، حضرتُ جنازة صديقة من الطفولة، واحدة من البنات اللاتي كُن يأتين إلى بيتنا لمشاهدة **بانستاند**. لم أرها منذ سنين، لكنني كنتُ أسمع عنها ما لا يَسرُّ: أنها سارت في ركاب الخاطئين. على أي حال، رأتني والدتها في الجنازة، وقالت إن ابنتها أعدت لي هدية، هدية تخرُّج. ولم يكن بوسعي أن أتخيَّل ماذا تكون».

تمسك إيتشيفاري شريط تسجيل: «هذه الفتاة أعدَّت لي شريطًا بكل أغنية شنغالنغ من طفولتنا، فيه جميع الأغنيات: «الحي الصيني» لجوستي باريتو، «شنغالنغ شنغالنغ» لكاكو وفرقته، «سكَّر هيَّا نرقص شنغالنغ» لشيرلي إيليس، «نلته نلته» للو كورتني، «حان وقت الشنغالنغ يا طفلتي» لليبرتي بيليس، «إل شنغالنغ» للات تينز، «شنغالنغ» لأرثر كونلي، «شنغالنغ» لأودري ونترز، «لا أحد سواي» لهيومان بينز. قائمة أغنيات مذهلة! ولا أعرف أصلًا كيف سجَّلت بعضها. لكنني حينما سمعتُ تلك الأغنيات، عرفت أنني سأنسج حولها رقصة».

الراقصات الثلاث في الرقصة، وجميعهن خريجات حديثات من جوليارد يُدخِلن مفردات مميزة في المونتاج، ويجذبن المشاهدين إلى

تجربة دافئة ومبهجة في آنٍ واحد، من دون تَشدُّق بأي عاطفية فجة. ويرجع غياب الاصطناع أكثر ما يرجع إلى الترتيب التصاعدي للأغنيات التي تندمج معًا في سلاسة مثلما تندمج في سردية إيتشيفاري المثيرة للمشاعر. إنه الرقص الحديث في أفضل صوره.

هكذا تبادلنا الرسائل

الخميس 9:18 مساءً

هيمينا تشين:

هل رأيتنَّ المقالة التي أرسلتها إليكنَّ في البريد الإلكتروني يا بنات؟

تشارلوت كودي:

يا.. إلهي..! أتلك فعلًا السيدة أتانابي؟

هيمينا تشين:

:) جنوني، أليس كذلك؟

تشارلوت كودي:

هل أنتِ متأكدة؟ مَن تكون بيترا إيتشيفاررررارا؟

هيمينا تشين:

اسمها قبل الزواج. تلك هي. ثقي بي. كنت أبحث في غوغل الليلة عن غوردي جونسن ومَللتُ، فبدأت أبحث عن بيترا أتانابي.

سمر داوسون:

قرأتُ المقالة للتوِّ. أمرٌ لا يُصدَّق. هذه هي الرقصة التي نؤديها. «صعود»!

هيمينا تشين:

أعرف. مذهلللللل!

تشارلوت كودي:

تبدو صغيرة وجميلة جدًّا في تلك الصورة.

سمر داوسون:

أوووه! هذا في منتهى الجمال يا هيمينا!

هيمينا تشين:

ماذا؟؟؟

سمر داوسون:

أنكِ كنتِ تبحثين عن غوردي جونسن في غوغل!

هيمينا تشين:

يعني، عندي الآن فضول مثلكما. أريد أن أعرف ماذا حدث له.

تشارلوت كودي:

لا يجب أن أقول هذا، لكن ماما تظن أنه ربما يكون...

سمر داوسون:

أوه لا!!! أظن أن هذا رأي ماما أيضًا!

هيمينا تشين:

آسفة يا بنات! أنا أيضًا تقريبًا أوافق...!!!

تشارلوت كودي:

ارقد في سلام يا غوردي جونسن؟؟؟ ☹

سمر داوسون:

لاااااا!!!

تشارلوت كودي:

لا أعتقد.

سمر داوسون:

ولا أنا.

هيمينا تشين:

حسنًا. انسيا أني قلت أي شيء.

سمر داوسون:

هل قلتِ شيئًا؟

تشارلوت كودي:

😌😌😌😌😌

هيمينا تشين:

حسنًا، بعيدًا عن هذا تمامًا، هل تريدان أن تبيتا عندي غدًا؟

تشارلوت كودي:

بالطبع. سأسأل ماما وأعود حالًا.

سمر داوسون:

يبدو ظريفًا. نحن فقط؟

هيمينا تشين:

نعم. تأتيان على السادسة؟

سمر داوسون:

حسنًا.

تشارلوت كودي:

ماما تقول لا بأس إن كان والداكِ في البيت؟

هيمينا تشين:

بالطبع.

تشارلوت كودي:

العلاقة الأبوية التي تنتهك حاليًّا مساحتي الخاصة وتقرأ هذه الرسالة من وراء ظهري، تريدني أن أُنهي واجباتي حتى أحضر. أراكما غدًا. تصبحان على خير.

سمر داوسون:

تُصبحين على خير.

هيمينا تشين:

إلى الغد. متلهفة جدًّا. قبلاتي.

هكذا ذهبنا إلى بيت هيمينا تشين

كانت المرَّة الأولى التي نذهب فيها إلى بيت هيمينا. فحتى ذلك الحين كنا نقضي أوقاتنا معًا إما في بيتي وإما في شقة سمر.

كانت هيمينا تعيش في بُرج من تلك الأبراج الشاهقة الفاخرة على الجانب الآخر من الحديقة. بُرج له بوَّاب، وشُققه شديدة الاختلاف عن الشُّقق التي اعتدتها في عمارات نورث ريفر هايتس المُكوَّنة من شُقق صغيرة قديمة عمرها مائة سنة. كانت شقة هيمينا عصرية جدًّا، ويفتح المصعد عليها مباشرة.

قالت هيمينا التي كانت تنتظرنا في المدخل:

- هاي.

قلنا:

- هاي.

قالت سمر وهي تنظر حولها وتضع حقيبة المبيت في الطُّرقة:

- واو! جميلة! هل يجب أن نخلع أحذيتنا؟

قالت هيمينا وهي تتناول معطفينا:

- بالتأكيد. شكرًا. لا أُصدِّق أن الجليد ينهمر ثانية.

وضعتُ حقيبة مبيتي بجوار حقيبة سمر، وخلعتُ حذائي طويل الرقبة. وجاءت امرأة لم أرها من قبل من غرفة المعيشة.

قالت هيمينا:

- هذه لويزا، وهذه سمر، وهذه تشارلوت. لويزا هي جليستي.

قلنا معًا:

- هاي.

ابتسمت لنا لويزا، وقالت بإنجليزية متلعثمة قليلًا:

- لطيف جدًّا أن أراكما.

ثم قالت لهيمينا شيئًا ما بإسبانية طلقة سريعة، فأطرقت الأخيرة وقالت:

- **غراسيات.**

قلت مندهشة:

- تتكلَّمين **الإسبانية**؟

وتبعنا هيمينا إلى مائدة المطبخ، فضحكت وقالت:

- أما كنتِ تعرفين؟ هيمينا اسم إسباني. هل تريدان أن تشربا شيئًا؟

قلت صادقةً:

- كنتُ أحسب أنه اسم صيني. ماء يكون عظيمًا.

قالت سمر:

- وأنا أيضًا.

أوضحت وهي تملأ كأسين بالماء من باب الثلاجة:

- أبي صيني، وأمي إسبانية، من مدريد، وهناك وُلدت.

قلت:

- فعلًا؟ هذا جميل!

وضعتْ كأسَي الماء أمامنا في حين أحضرت لويزا صينية مُقبّلات.

قالت سمر للويزا:

- **موتشاس غراسيات.**

وكرَّرتُ بلكنتي الأمريكية الرهيبة:
- **موتشاس غراسيات.**
قالت هيمينا وهي تغمس قطعة جزر في طبق حمص صغير:
- أنتما رائعتان حقًّا!
مكتبة
t.me/t_pdf
سألتها:
- هل نشأتِ إذن في مدريد؟
فضلًا عن الرقص والخيول و**البؤساء**، فإن أكثر ما أُحبه في الدنيا هو السفر. صحيح أنني لم أسافر قَطُّ - حتى الآن لم نسافر إلا إلى البهاماس مرَّة، وفلوريدا، ومونتريال - لكن والديَّ يتكلَّمان دائمًا عن اصطحابنا في يوم من الأيام إلى أوروبا، وأنا أُخطِّط لأن أكون رحَّالة محترفة بعد أن أُصبح نجمة في برودواي.
قالت هيمينا:
- لا، لم أنشأ هناك، أقصد أنني قضيتُ فصول الصيف هناك، باستثناء الصيف الماضي، حيث اشتركت في فصول الباليه المُكثَّفة هنا في المدينة. لكنني لم أنشأ هناك. والداي يعملان في الأمم المتحدة، فيمكن القول إنني نشأت في كل مكان.
قضمت قطعة من الجزر. **كرانش.**
- عشنا في روما سنتين، وقبل ذلك عشنا في بروكسل، وعشنا في دبي سنة حينما كنت في الرابعة تقريبًا، لكنني لا أتذكَّر شيئًا من ذلك.
قالت سمر:
- واو!
قلت:
- هذا رائع!

نقرت هيمينا بقطعة الجزر على الكأس التي كانت تشرب منها، وقالت:

- لا بأس في التنقُّل، لكنه قد يكون صعبًا أيضًا، وهو يجعلني دائمًا التلميذة الجديدة في المدرسة!

قالت سمر في إشفاق:

- نعم.

قالت هيمينا في تهكُّم:

- لكنني نجوتُ، ولا أنوي أن أشكو.

وتناولت قضمة أخرى من قطعة الجزر.

سألتها:

- هل تعرفين لغات أخرى؟

أجابت برفع ثلاث أصابع ونصف إصبع، فقد كان فمها ممتلئًا، وبعدما بلعت أوضحت:

- الإنجليزية لأننا كنا نذهب دائمًا إلى مدارس أمريكية، والإسبانية، والإيطالية، وقليلًا من المندرية بسبب جدتي.

قلت:

- هذا رائع!

نبَّهت هيمينا:

- أنتِ تُكثرين من قول **هذا رائع!**

قلت:

- هذا غير رائع!

فضحكت هيمينا قبل أن تأتي إليها لويزا وتقول لها شيئًا، ترجمته لنا:

- تريد لويزا أن تعرف ماذا تريدان أن تتناولا على العشاء.

تبادلتُ النظرات أنا وسمر، وقالت سمر للويزا في أدب:

- أوه، أي شيء. أرجوكِ لا تجهدي نفسكِ!

رفعت لويزا حاجبها وابتسمت بينما تُترجم لها هيمينا، ثم مدت يدها وقرصت خد سمر في محبة.

قالت:

- **كي موتشاتيتا إيرموسا.**

ثم التفتت إليَّ قائلة:

- **إي إستا سي بارسيآ أونا مونيكيتا.**

ضحكت هيمينا:

- تقول إنكِ جميلة جدًّا يا سمر، وإنكِ يا تشارلوت تُشبهين عروسة صغيرة.

نظرت إلى لويزا فكانت تبتسم مُطرقة، وقلت:

- أووه، هذا لُطف منكِ.

ثم مضت لتبدأ إعداد العشاء لنا.

قالت هيمينا وهي تلوح لنا كي نتبعها:

- والداي لن يحضرا قبل الثامنة مساءً.

أرتنا بقية الشقة التي بدت كأنها خارجة للتوِّ من مجلة. كل شيء كان أبيض: الأريكة، والسجادة، والطاولة البيضاء لتنس الطاولة في غرفة المعيشة. أصابني ذلك ببعض التوتر لأن الأشياء تقع من يدي على الرغم مني - هذا أمر معروف عني - وخشيتُ أن يقع شيء مني هنا.

مضينا عبر الصالة إلى غرفة هيمينا التي ربما كانت أكبر غرفة نوم

(غير رئيسية) رأيتها في حياتي. كانت غرفة نومي - التي أشترك فيها مع بياتريكس - في مثل رُبع مساحة غرفة نوم هيمينا تقريبًا.

مضت سمر إلى منتصف الغرفة، ودارت ببطء حول نفسها وهي تتأملها كلها، ثم قالت:

- حسنًا، هذه الغرفة فعليًا في مثل حجم غرفة المعيشة والمطبخ في شقتنا.

قلت وأنا أسير إلى النوافذ الممتدة من الأرض إلى السقف:

- أوه واو! يمكنكِ أن تري عمارة الإمباير ستيت من هنا!

قالت سمر وهي تجلس إلى كرسي طاولة هيمينا:

- هذه تقريبًا أجمل شقة رأيتها في حياتي!

قالت هيمينا وهي تنظر حولها مُطرقةً، وقد بدت مُحرجة بعض الشيء:

- شكرًا. نعم، أعني، لقد انتقلنا إلى هنا هذا الصيف فقط، فلا أشعر بعدُ أنني في بيتي، لكن...

وارتمت على السرير.

اندفعت سمر على الكرسي ذي العجلات مُتجهةً إلى اللوحة العملاقة وراء طاولة هيمينا، وكانت مغطاة بالكامل بصور فوتوغرافية وصور من مجلات ومقتطفات وأقوال.

قالت وهي تشير إلى قصاصة:

- آه، ها هي وصية السيد براون في سبتمبر.

قالت هيمينا:

- هو تقريبًا أحب المُعلِّمين لديَّ على الإطلاق.

قلت:

- وأنا أيضًا.

قالت سمر:

- صورتكِ أنتِ وسافانا هذه جميلة فعلًا.

مضيتُ لأرى الصورة التي تتكلَّم عنها. بين عشرات الصور الصغيرة لأشخاص تعرفهم هيمينا، ولم نعرف أغلبهم، ثمة صور لهيمينا وسافانا من التي تُلتقط ذاتيًا في الأكشاك، وصور لهيمينا ومايلز، وسافانا وهنري، وإيلي وأموس. ويجب أن أعترف أنه بدا لي غريبًا أن أرى صورة إيلي هنا. كما لو كنتُ رأيتها في ضوء جديد. لقد أُتيحت لها فعلًا تلك الحياة الجديدة كلها.

قالت هيمينا:

- لا بد أن أُعلِّق لكما صورة على جداري.

- أوه! ما هذا يا هيمينا؟!

قالتها سمر بطريقة اعتراضها اللذيذة الجميلة وهي تشير إلى صورة على اللوحة.

مضت ثانيةٌ قبل أن أُدرك أن قولها لم يكن ردًّا على ما قالته هيمينا.

قالت هيمينا وقد ظهر على وجهها الإحساس بالذنب:

- أوه، آسفة!

في البداية لم أدرِ أين الخطأ، فلم تكن الصورة أكثر من صورتنا المدرسية الجماعية، ثم أدركت أن على وجه أوغي مُلصقًا أصفر صغيرًا لوجه حزين.

نزعت هيمينا الملصق عن الصورة، وقالت معتذرة:

- كانت سافانا تعبث هي وبقية البنات.

قالت سمر:

- هذا مُحزنٌ بقدر حذف والدة جوليان لوجه أوغي بالفوتوشوب!

قالت هيمينا:

- إنه موضوعٌ منذ وقت طويل لدرجة أنني نسيتُ وجوده أصلًا.

كنتُ قد اعتدت غمازة هيمينا في خدها الأيسر فلم أعد أخلط بين جدها ومزاحها. كان بوسعي أن أعرف يقينًا أن ما شعرتْ به آنذاك هو الندم.

- الحقيقة أنني أعتقد أن أوغي مذهل.

قالت سمر:

- لكنكِ لا تُكلِّمينه مُطلقًا!

أوضحت هيمينا:

- كوني لا أشعر بالارتياح بالقرب منه لا يعني أنني لستُ منبهرة به.

في تلك اللحظة سمعنا نقرة وانفتح الباب. كانت لويزا تحمل ولدًا صغيرًا بدا واضحًا أنه استيقظ من قيلولته. لعله في الثالثة أو الرابعة من العمر، وهو يُشبه هيمينا تمامًا، باستثناء أنه مُصاب بمتلازمة داون، كما هو واضح تمامًا.

قالت هيمينا وقد أشرق وجهها:

- **أولا إدواrديتو!**

وفتحت ذراعيها لأخيها الصغير فوضعته لويزا بينهما.

- هاتان صديقتاي، **ميس أميجاس**. هذه تشارلوت، وتلك سمر. قل هاي. **دي أولا**.

وتناولت يد إدوارديتو ولوَّحت بها في اتجاهنا، فلوَّحنا نحن أيضًا. ونظر إلينا إدوارديتو - الذي لم يكن قد أفاق بعدُ تمامًا - نظرة ناعسة بينما تغرق هيمينا وجهه كله بالقُبلات.

هكذا لعبنا «الحقيقة أو التحدي»

قالت سمر:

- اليوم الذي اكتشفتُ فيه أن أبي قد مات!

كنا نحن الثلاث مُستلقيات في حقائب النوم على أرضية غرفة نوم هيمينا، وقد أُطفئت مصابيح السقف، لكن إضاءات الكريسماس الحمراء المُعلَّقة في أنحاء الغرفة كانت تُضفي وهجًا ورديًّا على عتمة الغرفة، وعلى بيجاماتنا، وعلى وجوهنا. وتلك كانت الإضاءة المُثلى للبوح بالأسرار، والحديث في أمور لا يمكن أن تتكلَّم فيها إحدانا في الضوء الواضح. كنا نلعب لعبة **الحقيقة أو التحدي**، وبطاقة الحقيقة التي سحبتها سمر كان مكتوبًا فيها: **ما أسوأ يوم في حياتك؟**

أول ما خطر لي هو إعادة البطاقة وإخبارها بأن تسحب بطاقة أخرى، لكن لم يبدُ أنها تُمانع في الإجابة عن السؤال.

واصلت بهدوء:

- كنتُ في فصل السيدة بوب حينما جاءت أمي وجدتي لإخراجي. ظننتُ أنهما جاءتا لاصطحابي إلى طبيب الأسنان، ففي صباح ذلك اليوم كنتُ قد فقدتُ إحدى أسناني، لكن في الثانية التي ركبنا فيها السيارة، بدأت جدتي تبكي، وحينذاك قالت لي أمي إنهما عرفتا للتوِّ أن بابا قُتل في اشتباك. قالت: **بابا الآن في السماء.** ثم بدأنا نبكي نحن الثلاث، نبكي ونحن جالسات في السيارة، تلك الدموع الكبيرة التي لا تتوقف.

كانت تُزحزح بمشقة سحاب حقيبة نومها وهي تتكلَّم، غير ناظرة إلينا:

- على أي حال، ذلك كان أسوأ يوم!

هزَّت هيمينا رأسها، وقالت بهدوء:

- لا أستطيع أصلًا أن أتخيَّل وقع أمر كهذا!

قلت:

- ولا أنا.

قالت سمر وهي لم تزل تحاول إغلاق السحاب:

- الذكرى كلها غائمة الآن، كما أنني لا أتذكَّر كيف كانت جنازته. إطلاقًا. الشيء الوحيد الذي أتذكَّره من ذلك اليوم هو هذا الكتاب المصوَّر عن الديناصورات الذي كنت أقرأه. كانت فيه رسمة لنيزك يمرق في السماء فوق رؤوس ديناصورات الترايسيراتوبس. وفكَّرت - فيما أتذكَّر - أن وفاة أبي شبيهة بذلك. شبيهة بانقراض الديناصورات. نيزك يضرب قلبكِ ويُغيِّر كل شيء إلى الأبد، ومع ذلك تبقين موجودة، وحياتكِ مستمرة.

استطاعت أخيرًا أن تُغلق سحاب حقيبة نومها حتى النهاية، ثم قالت:

- لكن على أي حال...

قلت:

- أنا أتذكَّر والدكِ.

قالت مبتسمة:

- فعلًا؟

قلت:

- كان طويلًا، وصوته كان عميقًا جدًّا.

أطرقت سمر فرحةً.

قلت:

- قالت لي أمي إن الأُمهات جميعًا كُنَّ يرينه وسيمًا **جدًّا**.

اتسعت عينا سمر في دهشة وقالت:

- أووه!

مرت ثوانٍ قليلة ونحن صامتات، وأعادت سمر ترتيب البطاقات، ثم سألت:

- حسنًا، الدور على أيكما؟

قلت وأنا أُدير السبينر:

- أظن أنا.

توقف السبينر على **الحقيقة**، فسحبتُ بطاقة من كومة **الحقيقة**.

قلت:

- هذه شديدة الحماقة!

وقرأتها بصوت عالٍ:

- **ما القوة الخارقة التي تودين امتلاكها؟ ولماذا؟**

قالت سمر:

- سؤال طريف.

قلت:

- أريد أن أطير بالطبع، وأذهب حيثما أريد، وأرى العالم، وأزور كل الأماكن التي عاشت فيها هيمينا.

قالت هيمينا:

- أظن أني أُحب أن أكون خفية.

قلت:

- لا أحب ذلك. لماذا؟ لأسمع ما يقوله الجميع عني من وراء ظهري؟ وأعرف أن الجميع يعتقدون أنني منافقة؟

ضحكت هيمينا:

- أوه، لا، ليس مرَّة ثانية.
- أغيظكِ فقط.

قالت:

- أعرف، لكن بالمناسبة، لا أحد يظن أنكِ منافقة.
- شكرًا.
- مزيفة لا أكثر.
- ههههه!

قالت في شيء من الجدية:

- لكنكِ مهتمة برأي الناس فيكِ أكثر من اللازم.

أجبت بمثل جديتها:

- أعرف.

قالت سمر:

- حسنًا، دوركِ.

أدارت هيمينا السبينر، فأشار إلى **الحقيقة**، فتناولت بطاقة، وقرأتها بينها وبين نفسها، ثم تنهَّدت وقرأتها بصوت مرتفع:

- **إذا أُتيح لكِ الخروج مع ولد واحد من مدرستك، فمَن يكون؟**

غطَّت وجهها بيدها.

قلت:

- ماذا؟ ألن يكون مايلز؟

بدأت هيمينا تضحك وهي تهزُّ رأسها في حرج.

قلت أنا وسمر ونحن نشير إليها:

- أوووه! مَن يكون؟ مَن؟ مَن؟

كانت هيمينا تضحك. ومع أنه كان يصعب رؤية وجهها في الضوء الشاحب، فقد كنتُ على يقين من أن خدَّها تورَّد.

قالت:

- إذا قلتُ لكما، فلا بد أن تُخبرني كلٌّ منكما بمَن يُعجبها سرًّا.

قلت:

- هذا ظلم! هذا ظلم!

قالت:

- بل عدل.

- حسنًا.

تنهَّدت وقالت:

- أموس.

قالت سمر وقد فغرت فمها:

- مستحيل! وهل تعرف إيلي؟

قالت هيمينا:

- لا بالطبع. هو مجرد إعجاب، ولن يجعلني أفعل أي شيء. ثم إنه ليس مهتمًّا بي على الإطلاق. هو معجب فعلًا بإيلي.

فكَّرتُ في ذلك: كيف أنني أنا وإيلي قبل أشهُر قليلة جدًّا كنا نتكلَّم عن جاك، وكان وجود «صديق» يبدو أمرًا بعيد المنال في ذلك الوقت.

نظرت هيمينا إليَّ، وقالت بطريقة ذات نغمة:

- أعتقد أنني أعرف مَن الذي يُعجب تشارلوت سرًّا.

غطيت وجهي وقلت:
- الجميع يعرفون، بفضل إيلي.
قالت هيمينا وهي تلكز يد سمر:
- وماذا عنكِ يا سمر؟
سألت أنا أيضًا:
- نعم يا سمر، ماذا عنكِ؟
كانت سمر تبتسم، لكنها هزَّت رأسها، بما يعني **لا**.
قالت هيمينا وهي تشد خنصر سمر:
- هيَّا هيَّا، لا بد أن هناك أحدًا.
قالت في تردد:
- حسنًا، ريد.
قالت هيمينا:
- ريد؟ مَن ريد؟
قلت:
- هو معنا في صف السيد براون، ويتسم بالهدوء الشديد، ويرسم أسماك القرش.
قالت سمر:
- لا أقول إنه معروف، لكنه لطيف بالفعل، وأعتقد أنه رائع جدًّا.
قالت هيمينا:
- أوووه! أعتقد أنني أعرف حقًّا مَن يكون ريد، وهو رائع بالفعل.
قالت سمر:
- هو هكذا، أليس كذلك؟
قالت هيمينا:
- يمكن أن تكوِّنا ثنائيًّا عظيمًا.

قالت سمر:

- ربما، في يوم ما، لا أريد **الآن** أن أُكوِّن ثنائيًّا مع أحد.

سألت هيمينا:

- لذلك لم ترغبي في الخروج مع جوليان؟

قالت سمر بسرعة:

- لم أرغب في الخروج مع جوليان لأن جوليان مُغفل!

قالت هيمينا:

- ولم تكوني مريضة فعلًا في الهالوين، أليس كذلك؟ في حفلة سافانا؟

هزَّت سمر رأسها:

- لم أكن مريضة.

أومأت هيمينا:

- لقد قلتُ هذا.

قلتُ لهيمينا:

- حسنًا، عندي سؤال لكِ، وهو ليس من البطاقات.

قالت هيمينا وقد رفعت حاجبيها وابتسمت:

- أوه، حسنًا.

تردَّدتُ:

- حسنًا، عندما تقولين إنكِ «تخرجين» مع مايلز، ما الذي يعنيه ذلك بالفعل؟ يعني، ماذا تفعلان؟

صاحت سمر وضربت ذراعي بظاهر يدها:

- تشارلوت!

وبدأت هيمينا تضحك.

قلت:

- لا، أنا فقط أقصد...

قالت هيمينا وهي تشد أصابعي:

- أعرف ماذا تقصدين. كل ما يعنيه خروجنا معًا هو أن مايلز يقابلني عند خِزانتي بعد انتهاء اليوم الدراسي، ويمشي معي حتى محطة الحافلات في بعض الأحيان، ويمسك أحدنا يد الآخر.

سألتها:

- هل قبَّلتِه؟

ارتسم على وجه هيمينا تعبيرٌ، كما لو أنها تمص ليمونة. لم تكن ترتدي في ذلك الوقت عدستيها اللاصقتين، بل نظارة كبيرة إطارها من عظم السلحفاة، ومُقوِّم أسنان تضعه ليلًا، فلم تكن تُشبه هيمينا التي كنا نراها في المدرسة مُطلقًا.

- مرَّة واحدة، في حفلة الهالوين.

سألت:

- وأعجبتكِ؟

قالت مُبتسمة:

- لا أعرف. كانت كأن تُقبِّلي ذراعكِ. هل فعلتِ ذلك؟ هل قبَّلتما ذراعيكما؟

تبيَّن أننا قبَّلنا ذراعينا، وتعالت حينذاك قهقهاتنا جميعًا.

قلت وأنا أُقبِّل معصمي قُبلات صاخبة:

- أوه جاك! جاك!

قالت سمر وهي تفعل مثلي:

- أوه ريد! ريد!

وقالت هيمينا وهي تُقبِّل معصمها:

- أوه مايلز! قصدي أموس!

كنا غارقات في الضحك.

- ميخا!

قالتها والدة هيمينا وهي تطرق على الباب، وتسللت برأسها.

- لا أريد أن يستيقظ الولد، هل يمكن أن تهدأن قليلًا؟

قالت هيمينا:

- آسفة يا مامي!

قالت برقة:

- تُصبحن على خير يا بنات.

همسنا:

- تُصبحين على خير. معذرة.

قلت بصوت خافت:

- هل يجب أن ننام الآن؟

قالت هيمينا:

- لا، لكن يمكن أن نُخفض أصواتنا قليلًا. هيَّا، الدور عليكِ الآن يا سمر. الحقيقة أم التحدي؟

قالت سمر:

- عندي سؤال آخر، من خارج البطاقات.

وأشارت إلى هيمينا:

- لكِ أنتِ مرَّة أخرى.

ضحكت هيمينا وقالت:

- أوه أوه! أنتما عصابة ضدي!

تدخَّلتُ:

- حتى الآن لم يظهر لنا **التحدي**.

قالت سمر:

- حسنًا، ها هو **التحدي**. عليكِ أن تجلسي إلى مائدتي في الغداء يوم الاثنين، ولا تقولي لأحد سبب ذلك.

قالت هيمينا:

- أوه! ما هذا؟ لا يمكن أن أنفصل عن مائدتي من دون أن أذكر السبب!

قالت سمر:

- بالضبط. اختاري إذن **الحقيقة**.

قالت هيمينا:

- حاضر. ما **الحقيقة**؟

نظرت سمر إليها:

- إليكِ **الحقيقة**، لو لم تذهب سافانا وإيلي وغريتشن للتزلُّج على الجليد في عطلة الأسبوع الحالية، هل كنتِ ستعرضين عليَّ أنا وتشارلوت أن نبيت هنا الليلة؟

قلبت هيمينا عينيها، وزمت شفتيها كالسمكة:

- أووووه!

قلتُ:

- أنتِ تُشبهين السيدة أتانابي الآن.

أصرَّت سمر:

- هيَّا، الحقيقة أم التحدي؟

قالت هيمينا أخيرًا، وهي تُخفي وجهها بيديها:

- حاضر، حاضر. هذا صحيح. ربما ما كنت لأدعوكما. آسفة!

واختلست النظر إلينا من بين أصابعها:

- كان يُفترض أن أذهب للتزلُّج معهن في عطلة الأسبوع الحالية، لكن رأيتُ أن الأمر لا يستحق احتمال أن يلتوي كاحلي أو يقع حادث قبل الرقصة، فألغيتُ الاتفاق في اللحظة الأخيرة، ثم دعوتكما إلى هنا.

قالت سمر وهي تلكز هيمينا في كتفها:

- أها، كنتُ أعلم. كنا خطتكِ البديلة لعطلة الأسبوع الحالية!

ولكزتها أنا الأخرى.

قالت هيمينا وهي تضحك بعد أن بدأنا ندغدغها:

- آسفة! لكن هذا لا يعني أنني لا أُحب أن أقضي الوقت معكما أنتما أيضًا يا بنات.

سألت سمر:

- هل أقمتِ أي مبيت جماعي في آخر الشهر الماضي؟

كنا في تلك اللحظة ندغدغها بقوة.

قهقهت قائلة:

- نعم. أنا آسفة! لم أدعكما إليه أيضًا! أنا لستُ ماهرة في الجمع بين جماعات الأصدقاء، لكن سأتحسَّن في السنة المُقبلة، هذا وعد.

قلت وأنا ألكزها لكزة أخيرة:

- هل أنتِ مُعجبة أصلًا بسافانا؟

ارتسم على وجه هيمينا تعبير عرفت أنه تقليد مثالي لتعبير التقزُّز عند سافانا.

وبدأتُ أنا وسمر في الضحك آنذاك.
قالت هيمينا وهي تفرد يديها في الهواء لكي نُهدِّئ صوتنا:
- هسسس!
قلت:
- هسسس!
وهدأنا جميعًا.
قالت هيمينا بهدوء:
- حسنًا، لا بد أن أعترف أنها أصبحت مُزعجة فعلًا منذ أن بدأتُ في قضاء الوقت معكما في التدريب. أصابها الجنون بعدم اختيارها للرقصة!
قالت سمر:
- ربما غضبت لاختياري بدلًا منها.
- في الحقيقة لا، لقد غضبت بسبب اختيار تشارلوت.
هكذا قالت هيمينا وهي تشير بإبهامها إليَّ.
قلت:
- كنت أعرف.
أمالت هيمينا رأسها على كتفها وقالت:
- قالت، وهي الآن التي تتكلَّم وليس **أنا**، إنكِ دائمًا تحصلين على أفضل الأدوار في عروض بيتشر الإعدادية لأن المُعلِّمين يعرفون أنكِ ظهرتِ في إعلانات تلفزيونية وأنتِ صغيرة، وإنكِ تبذلين أقصى طاقتكِ لتكوني المُدللة عند المُعلِّمين.
قلت في دهشة:
- ما.. هذا.. الهراء؟! لم أسمع كلامًا في مثل هذا الجنون من قبل!

هزَّت هيمينا كتفيها:

- أقول لكِ فقط ما قالته لإيلي.

قلت:

- لكن إيلي تعرف أن هذا غير صحيح!

قالت هيمينا:

- صدِّقيني، إيلي لا تقول أي شيء يُعارض سافانا أبدًا.

قلت وأنا أهزُّ رأسي:

- لا أعرف لماذا تكرهني دائمًا!

قالت سمر:

- سافانا لا تكرهكِ.

ومدت يدها فخلعت نظارة هيمينا عن وجهها:

- في اعتقادي، إذا كانت لديها أي مشاعر تجاهكِ فهي قليل من الغيرة بسبب صداقتكِ أنتِ وإيلي.

قلت:

- فعلًا؟ لماذا؟

هزَّت سمر كتفيها، ووضعت نظارة هيمينا على عينيها:

- يعني، أنتِ تعرفين، أنتِ وإيلي كنتما أقرب إلى فريق. أعتقد أن سافانا شعرت أنها مستبعدة بعض الشيء.

لم يخطر لي هذا على **الإطلاق**.

قلت:

- لم أُدرك قَطُّ أن هذا شعور أحد. أعني، **بصدق**، لم أُدرك هذا مُطلقًا. هل أنتِ واثقة؟ هل شعر آخرون بهذا؟ أنتِ مثلًا؟

تركت سمر النظارة تسقط إلى طرف أنفها:

- قليلًا، لكنني لم أكن معكما في أي فصل، فلم أهتم. أما سافانا فكانت معكما في جميع فصولكما.

قلت وأنا أعض باطن خدي، وهي عادةٌ تُصاحبني عند التوتر:

- واو!

قالت سمر وهي تضع نظارة هيمينا على وجهي:

- لو كنتُ مكانكِ لما أقلقني الأمر. لم يعد مُهمًّا. شكلكِ جميلٌ جدًّا في النظارة.

قلت:

- لا أريد أن تكرهني سافانا!

سألتْ هيمينا:

- لماذا تهتمين كثيرًا برأي سافانا تجاهكِ؟

سألتُ:

- وأنتِ، ألا تهتمين برأيها؟ لنكن صريحات، أنتِ تكونين مختلفة تمامًا في حضورها.

قالت سمر وهي تخلع النظارة عن وجهي، وتنظفها بطرف بيجامتها العلوي:

- هذا صحيح.

قلتُ:

- تكونين ألطف كثيرًا حين لا تكونين معها!

كانت هيمينا تلف شعرها على إصبعها حين قالت:

- يتَّصف الجميع بشيء من الوضاعة في المدرسة الإعدادية، ألا ترين هذا؟

قالت سمر وهي تُعيد النظارة على وجه هيمينا:

- لا.

قالت هيمينا وهي ترفع حاجبها الأيمن:

- ولا حتى قليلًا؟

قالت سمر وهي تضبط النظارة لتستقيم على وجه هيمينا:

- لا. ليس هناك أحدٌ مُضطر إلى أن يكون وضيعًا. على الإطلاق.

وتراجعت بظهرها لتتحقق من اعتدال النظارة.

قالت هيمينا مستفزة إياها:

- يعني، هذا ما ترينه لأنكِ قديسة.

ضحكت سمر وقالت:

- يا إلهي! لو قلتِ لي هذا مرَّة أخرى...

ورمت الوسادة على هيمينا.

قالت هيمينا وهي تنهض ببطء:

- سمر داوسون! أنتِ لم تضربيني حالًا بوسادتي المُفضَّلة، الوسادة البيضاء الأوروبية الوثيرة، أليس كذلك؟

وتناولت وسادتها الممتلئة فرفعتها في الهواء.

سألت سمر:

- هل تتحدينني؟

ووقفت هي الأخرى متمترسة بوسادتها.

ووقفتُ في تحفُّز، رافعةً وسادتي في الهواء، وقلتُ وقد ارتفع صوتي قليلًا بسبب التحفُّز:

- معركة وسائد إذن؟

قالت هيمينا وهي تضع إصبعها على فمها:

- هسسس!

همستُ بصوت مرتفع:

- هي إذن معركة وسائد صامتة.

قضينا لحظات طويلة نتبادل النظرات بيننا، لنرى من التي ستبدأ بالضرب، ثم بدأنا جميعًا في ذلك. هوت هيمينا بوسادتها على سمر، فضربتها سمر من أسفل، ونزلت أنا على هيمينا بضربة عَرضية بطيئة، ثم اعتدلت هيمينا وهاجمتني من اليسار، لكن سمر دارت حول نفسها وهوت على كلتينا من أعلى. وسرعان ما صرنا نلطم بعضنا بعضًا بما هو أكثر من الوسائد: بدُمى الحيوانات الصغيرة على سرير هيمينا، والمناشف، وثيابنا المبرومة. وعلى الرغم من محاولتنا أن نكون صامتات تمامًا، أو ربما بسبب ذلك - لأنه ما من شيء أطرف من محاولة عدم الضحك في أثناء الضحك - فقد كانت تلك هي أفضل معركة بالوسائد في حياتي كلها!

الشيء الوحيد الذي أوقف المعركة، وإلا لطالت أكثر من ذلك، هو ذلك الصوت الانفجاري الغامض الذي خرج من إحدانا كأنه نغمة ترومبيت طويلة. أوقفنا جميعًا، كل واحدة في مسارها، ونحن نتبادل النظرات، بأعين متسعة، ثم بدأنا نضحك في هِستيريا حين لم تُعلن أيٌّ منا أنها صاحبة الفضل فيه.

على أي حال، بعد ثوانٍ، نقرت والدة هيمينا الباب مرَّة ثانية، ولم تزل يبدو عليها الصبر، لكن كان واضحًا أيضًا أنها بدأت تضيق بعض الشيء. كنا قد تجاوزنا منتصف الليل كثيرًا.

وعدناها أن ننام على الفور، وألَّا نُصدر أي ضوضاء أخرى.

كانت أنفاسنا قد انقطعت من فرط الضحك، وأنا شخصيًّا كنت أشعر بوجع في بطني.

استغرقنا بعض الوقت لنفرد حقائب نومنا، ونُعيد دُمى الحيوانات إلى حيث كانت. وطوينا ملابسنا وأعدنا المناشف إلى الخِزانة.

فردنا وسائدنا، واستلقينا في حقائبنا وأغلقنا سحَّاباتها، ثم قالت كلٌّ منا للأُخريين تُصبحان على خير. أعتقد أننا كان يمكن أن ننام على الفور، لولا أن الضحك استولى عليّ مرَّة أخرى، فانطلقت سمر وهيمينا في القهقهة أيضًا. حاولت كل منا أن تُسكت الأُخريين بوضع أيدينا على أفواه بعضنا بعضًا.

وأخيرًا، بمجرد أن انتهت القهقهات وهدأنا من جديد، بدأت هيمينا تُغني بصوت خافت جدًّا في الظلام. في البداية، لم أُدرك أصلًا أنها كانت تُغني، كانت تُغني بهمس شديد:

لا لا، لا، لا لا، لا لا لا لا.

ثم أكملت سمر الغناء:

لا، لا لا، لا، لا، لا لا، لا لا، لا لا.

وأخيرًا أدركتُ ما كانتا تغنيان، فغنيتُ:

لا لا لا لا، لا لا، لا، لالا، لا!

ثم بدأنا جميعًا نغني هامسات معًا:

لا أحد يرقص شنغالنغ
مثلما أرقصها...
لا أحد يرقص السكيت
مثلما أرقصها...
لا أحد يرقص البوغالو
مثلما أرقصها...

كنا مستلقيات على ظهورنا جنبًا إلى جنب ونحن نغني، راقصات بأذرعنا وأيدينا في تناغم فوق رؤوسنا.

غنينا الأغنية كلها، من البداية إلى النهاية، بأكبر قدر ممكن من الهدوء كما لو كنا نؤدي صلاة في كنيسة.

هكذا نحن في أشكال «فين»

أعرف أنني أُضيِّع وقتًا كبيرًا في التفكير في هذه الأمور.

هكذا لم نتكلّم في الأمر قطّ

لم يشهد يوم الاثنين أي إشارة إلى مبيتنا معًا. بدا كأننا عرفنا نحن الثلاث، بالفطرة، ومن دون أن يلزم قول ذلك بالفعل، أنه بعودتنا إلى المدرسة، يجب أن يعود كل شيء إلى طبيعته المعتادة: هيمينا مع مجموعة سافانا، وسمر مع مجموعتها الصغيرة، وأنا ألعب النقاط مع مايا على مائدة غدائي.

ما كان لأحد أن يُخمِّن أنني أنا وسمر وهيمينا صِرنا صديقات مُقرَّبات، أو أننا قبل مجرد أيام قليلة كنا نخوض معركة صامتة بالوسائد، ونتبادل الأسرار تحت الوهج الوردي من أضواء الكريسماس الحمراء في غرفة نوم هيمينا.

هكذا فشلتُ في منع كارثة اجتماعية

في الليلة السابقة على الحفلة الخيرية طلبت منا السيدة أتانابي أن نأخذ اليوم إجازة لننال قسطًا من الراحة. أرادت أن تتأكَّد من حصولنا على وجبة عشاء صحية، وليلة من النوم الهادئ. ثم أعطتنا ملابسنا التي استطاعت بطريقة ما أن تحيكها بنفسها. كنا قد ضبطنا مقاسها في الأسبوع السابق، لكنني كنتُ متلهفة جدًّا إلى الرجوع إلى البيت وتجربة فستاني مرَّة أخرى، بعد أن صار مقاسه مضبوطًا. كان الفستان مُستوحى من صورة ليبرتي بيلز:

هكذا عُدت عند العصر من المدرسة أنا ومايا ولينا، مثلما اعتدت في الأيام السابقة على بداية خروجي مع سمر وهيمينا طوال الوقت.

كان أحد الأيام الأولى من مارس، حينما ننال لمحة من الربيع بعد طول انتظار أثناء الشتاء البارد الجنوني الطويل. اقترحت لينا فجأة أن نتوجَّه إلى كارفل في طريقنا إلى البيت، فبدا لنا ذلك أمرًا «ربيعيًّا»

جدًّا، وسرنا على الفور في الاتجاه المعاكس نحو أمسفورت قاصدين الحديقة. وفيما كنا نسير، حكيتُ لهما ما سمعت أن سافانا تقوله للجميع عن أن سبب حصولي على دور في رقصة السيدة أتانابي هو أنني ظهرت في إعلان تلفزيوني حينما كنت صغيرة.

قالت لينا في تعاطف، وهي تركل كرة قدم أمامها:

- لا أحد يُصدِّق ذلك.

قالت مايا:

- هذا فظيع!

وأظنني فرحتُ بغضبها هذا.

ثم قالت:

- لا يُمكنني أن أُصدِّق! سافانا! لقد كانت لطيفة جدًّا في المدرسة الابتدائية!

قلت:

- سافانا لم تكن بهذا اللطف معي قَطُّ!

أصرت مايا وهي ترفع نظارتها على أنفها:

- كانت لطيفة معي أنا. هي الآن شريرة. المجموعة كلها شر!

أطرقتُ، ثم هززتُ رأسي:

- يعني، لستُ متأكدة من ذلك.

قالت مايا:

- والآن جعلوا إيلي تتغيَّر تجاهنا! أتعرفين؟ إيلي الآن لا تكاد تُسلِّم عليَّ. هي الآن شريرة أيضًا!

هرشتُ أنفي. إن مايا شديدة الحدة تجاه كل شيء، ولا تعرف لونًا بين الأبيض والأسود.

- يمكن.

قالت مايا:

- أنا أقول لكِ، الذنب ذنب هيمينا تشين. كل هذا بسببها. لو لم تنضم إلينا هذا العام، لمضى كل شيء مثلما كان. تأثيرها سلبي جدًّا.

كنت أعرف أن مايا ترى الأمور على ذلك النحو. وكان ذلك من أسباب عدم تطرُّقي مُطلقًا إلى الكلام عن تفاصيل العرض الراقص الذي كنت أشارك فيه. فهي لم تستوعب قَطُّ أن العرض عبارة عني أنا وسمر وهيمينا تشين الكريهة. ولم أكن أجد مشكلة في ذلك. لم أكن أريد أن أُدافع عن صداقتي مع هيمينا ومايا! فأنا بصدق لا أعتقد أنها كان يمكن أن تفهم.

قالت مايا:

- أتعرفين أكثر ما أكرهه؟ أنها يُحتمل في نهاية المطاف أن تكون الفتاة التي تُلقي كلمة الصف الخامس في حفل التخرُّج هذا العام.

قلت وأنا أحاول أن أبدو على أكبر قدر ممكن من الحياد:

- يعني، هي صاحبة أعلى الدرجات في الصف.

قالت لي لينا:

- كنت أظنكِ صاحبة أعلى الدرجات يا تشارلوت.

تدخَّلت مايا قائلة:

- بل هيمينا.

وبدأت تعد على أصابعها:

- هيمينا، تشارلوت، سيمون، أنا، ثم أوغي أو ريمو. أوغي في الحقيقة درجاته أعلى من ريمو في الرياضيات، لكنه لم يُجب جيدًا في امتحانات الإسبانية القليلة الأخيرة، وذلك يُقلل من متوسط درجاته.

كانت مايا تعرف دائمًا درجات كل واحد في كل امتحان. وكانتَ تراقب تكليفات الواجبات، ودرجات المقالات. وأي مادة مهما تكن، بشرط أن تكون مُدرجة في المجموع، فإن مايا ستسألك عنها. وكانت لديها ذاكرة مذهلة تتذكَّر بها تلك التفاصيل.

قالت لينا:

- أمر جنوني أنكِ تستطيعين تذكُّر درجات الجميع.

قالت مايا، وهي لا تقصد المزاح:

- موهبة.

سألتها لينا:

- صحيح، هل أخبرت تشارلوت بأمر الرسالة؟

قلت:

- أي رسالة؟

ومثلما ذكرتُ، كنت بعيدة عن المجموعة ولا أتحرك معهما كثيرًا خلال الأسابيع القليلة السابقة.

قالت مايا:

- أوه، لا شيء.

قالت لينا:

- كتبت رسالة إلى إيلي.

رفعت مايا عينيها نحوي مقطبة، وقالت، وهي تنظر من فوق نظارتها:

- أبوح لها فيها بمشاعري.

انتابني الغم فجأة بسبب تلك الرسالة، وسألتها:

- ماذا كتبتِ؟

هزَّت كتفيها قائلة:

- مجرد رسالة.

لكزتها لينا:

- دعيها تقرأها.

قالت مايا وهي تعض طرف شعرها الطويل المتماوج:

- ستطلب مني ألَّا أُعطيها لها!

قلت وقد ثار فضولي:

- أريني إيَّاها على الأقل، هيَّا يا مايا.

كنا قد توقفنا عند تقاطع أمسفورت مع شارع 222 في انتظار إشارة المرور الخضراء.

قالت مايا:

- حسنًا، سأُريكِ إيَّاها.

وبدأت تفتش في جيب معطفها، وأخرجت ظرفًا باليًا عليه صورة دُمية «أُغلي دول»، وقد كتبت عليه من الخارج اسم «إيلي» بقلم عريض فضي.

- يعني، في الأساس، أردتُ فقط أن تعرف إيلي مشاعري تجاه تغيُّرها هذا العام.

أعطتني الظرف، ثم أطرقت وهي تشير لي أن أفتحه وأقرأ الرسالة الموجودة بداخله.

عزيزتي إيلي،
أكتب إليكِ بوصفي واحدة من أقدم صديقاتكِ، لأُخبركِ أنكِ تتصرَّفين في الفترة الأخيرة بطريقة مختلفة أرجو أن تتراجعي عنها. أنا لا ألومكِ، بل ألوم الشريرة هيمينا تشين التي تؤثر عليكِ سلبًا. في البداية غيَّرتْ تفكير سافانا، والآن تُحوِّلكِ إلى زومبي حقيقية مثلها هي. أرجو ألَّا تستمري في صداقتكِ معها، وتذكَّري الأوقات السعيدة التي كنا نقضيها معًا، وتذكَّري وصية السيد براون في نوفمبر: «لا تُصاحب من لا يرقى إلى مستواك».
هل يمكن أن نعود صديقتين مرَّة أخرى؟

صديقتكِ المُقرَّبة الحقيقية السابقة

مايا

طويتُ الرسالة وأعدتها داخل الظرف.
كانت مايا تنظر إليَّ في ترقُّب، وسألتني:
- أهي غبية؟
أعدت إليها الظرف ثم قلت:
- لا، ليست غبية. لكن بوصفي صديقتكِ أظن أنكِ يجب ألَّا تُرسليها.
قالت في ضيق وخيبة أمل بسبب ردي:
- كنتُ أعرف أنكِ ستحاولين إقناعي بالتراجع عنها!
قلت:
- لا، أنا لا أحاول إقناعكِ بالتراجع عنها. عليكِ أن تُعطيها لها إذا كنتِ ترغبين **فعلًا** في ذلك. أنا أعرف أنكِ **تقصدين** خيرًا يا مايا.

قالت في غضب:

- لا أحاول أن أقصد خيرًا. أنا فقط أحاول أن أكون صادقة!

قلت:

- أعرف.

في ذلك الوقت كنا قد عبرنا الشارع، ووصلنا إلى كارفل، لنُفاجأ بازدحامه الشديد بالداخل. كان صف الواقفين إلى النضد يمتد وصولًا إلى الباب، والموائد كلها مشغولة، وأغلبها يجلس إليها أولاد من بيتشر الإعدادية.

قالت لينا في أسف:

- الجميع خطرت لهم الفكرة التي خطرت لنا!

قلت:

- المكان مزدحم أكثر من اللازم، فلننسَ الأمر.

جذبت مايا ذراعي، وقالت:

- انظرا، ها هي إيلي.

تتبعتُ نظرتها، فرأيت إيلي جالسة مع هيمينا وسافانا وغريتشن، فضلًا عن مايلز وهنري وأموس، إلى مائدة أمام نضد كعكة عيد الميلاد، وهي في الطرف الآخر تمامًا من المكان.

قلت وأنا أجذب مايا من ذراعها:

- لنذهب.

بدأت لينا بالفعل في ركل الكرة في الشارع، لكن مايا بقيت حيث كانت.

قالت مايا ببطء، وقد ارتسمت الجدية على وجهها:

- سأُعطيها الرسالة.

كانت تمسك الرسالة التي أرجعتها إليها للتوِّ في يدها اليسرى، ومضت تلوح بها كأنها علم صغير.

قلت بسرعة وأنا أُنزل ذراعها:

- أوه، لا، لا تفعلي. الآن على الأقل.

- ولمَ لا؟

سارت لينا باتجاهنا، وقالت وهي لا تُصدِّق:

- انتظري، هل ستُعطين الرسالة لها **الآن**؟ أمام **الجميع**؟

قالت مايا في عناد:

- نعم.

قلت:

- لا.

وأغلقتُ يدي على الرسالة. كل ما فكرتُ فيه هو أنها ستجعل من نفسها أضحوكة إذا فعلت ذلك. فإيلي ستفتح الرسالة أمام الجميع على المائدة، وسيغضبون غضبًا شديدًا منها بسبب كلامها عن هيمينا وسافانا. والحقيقة أنها أشياء لا تُغتفر. لكن الأسوأ أنهم سينطلقون في السخرية منها بسبب هذا.

حذَّرتها:

- هذا أمر لن ينساه الآخرون يا مايا! ستندمين على ذلك بالتأكيد! لا تفعلي هذا!

شعرت أنها تُفكِّر في الأمر، فجبهتها كانت مغضنة تمامًا.

أكملتُ وأنا أشدها من طرف كُم معطفها مثلما تفعل سمر معي أحيانًا وهي تُكلِّمني:

- يمكنكِ أن تُعطيها لها في وقت آخر، عندما تكون وحدها، بل يمكنكِ أن ترسليها إليها بالبريد إن شئتِ، لكن **لا** تعطيها لها

الآن أمام الجميع! أتوسل إليكِ! صدِّقيني يا مايا، ستكون هذه كارثة اجتماعية!

رأيتها تفرك وجهها. مشكلة مايا أنها لا تُبالي مُطلقًا بالشعبية بين الناس أو الكوارث الاجتماعية. هي ماهرة في متابعة درجات امتحانات التلاميذ وتقديراتهم، لكنها ترتبك وتضطرب أمام فهم الأمور الاجتماعية. عندها الأساسيات بالطبع، لكن في عالمها الواضح الملوَّن بالأبيض والأسود فقط، فالأولاد إما لُطفاء أو أشرار، ولا شيء بينهما.

من جهة، يبدو ذلك دائمًا ألطف ما فيها: تتوجَّه إلى أي شخص وتفترض أنه صديق، وتفعل شيئًا لطيفًا لشخص ما فجأة وبلا سابق إنذار، مثلما فعلت الأسبوع الماضي حينما أعطت أوغي بولمان سلسلة مفاتيح عليها صورة دُمية «أُغلي دول».

ومن جهة أخرى، يبدو ذلك أمرًا سيِّئًا جدًّا، لأنها لا تمتلك دفاعات جاهزة حينما **لا يكون** الناس لُطفاء معها، وليست لديها طُرق للرجوع، وتأخذ الأمور كلها بجدية، والأسوأ من ذلك أنها لا تُدرك دائمًا متى لا يشعر الناس برغبة في الحديث معها، فتظل تُثرثر ببساطة، أو تطرح الأسئلة إلى أن يبتعد عنها من تُكلِّمه. الحقيقة أن إيلي حدَّدت المشكلة ببراعة قبل أشهُر قليلة حين كنا نتكلَّم عن مايا، وكيف أنها تكون مزعجة في بعض الأحيان، فقالت: «مايا تُسهِّل على الناس أن يكونوا وضعاء معها!».

والآن تُسهِّل مايا ماركوفيتس فعلًا على إيلي أن تتصرَّف معها بوضاعة - أمام مجموعة كاملة من الأولاد آكلي الآيس كريم - لأنها، على الرغم من كلماتي، وعلى الرغم من توسلي إليها فعليًّا لكي لا

تفعل هذا، مضت إلى داخل المتجر، وشقَّت طريقها وسط زحام المنتظرين في الصف، متقدمة إلى المائدة الخلفية التي كانت إيلي والمجموعة كلها جالسين إليها.

وقفتُ أنا ولينا نشاهد على الرصيف المحاذي لكارفل. كانت للمتجر واجهة زجاجية من الأرض إلى السقف، وهي بالنسبة إلينا النقطة المُثلى لمشاهدة تطوُّر الأحداث. شعرتُ لوهلة كما لو أنني أشاهد أحد فيديوهات الطبيعة في قناة بي بي إس، بل كدتُ أسمع في أذنيَّ صوت رجل يروي ما يجري بلكنة بريطانية.

تأملوا ما يجري الآن، وقد انشق هذا الغزال المجنون عن قطيعه...

رأيتُ مايا تقول شيئًا لإيلي، فتوقَّف جميع الجالسين حول المائدة عن الكلام، ونظروا إلى مايا.

حيث يلفت انتباه الأسود التي قضت أيامًا عديدة لم تتناول فيها طعامًا...

رأيتُ يدها تُسلِّم الظرف إلى إيلي التي بدا عليها الارتباك.

قالت لينا وهي تُغمض عينيها:

- لا أستطيع أن أُشاهد هذا!

والآن نرى الأسود، التي تتضوَّر جوعًا، وتشتاق إلى اللحم الطازج، وهي تبدأ القنص!

هكذا بقيتُ على الحياد مُجدَّدًا

حدث بالفعل، إلى حدٍّ كبير، كلُّ ما تنبأتُ بحدوثه. بعدما أعطت مايا الرسالة لإيلي أمام الجالسين حول المائدة، استدارت وبدأت تبتعد، فتبادلت إيلي ومجموعة سافانا نظرات ضاحكة، وقبل أن تصل مايا إلى المائدة التالية، كانت سافانا وهيمينا وغريتشن قد نهضن من كراسيهن وتحلَّقن حول إيلي وهي تفتح الظرف. كنت أرى وجوههن بوضوح وهن يقرأن الرسالة. وعند لحظة معينة شهقت هيمينا، بينما كان واضحًا أن سافانا ترى الأمر مسخرة!

سارت مايا عبر القاعة في اتجاه المخرج، ناظرة إليَّ أنا ولينا أثناء سيرها. وصدِّقوا أو لا تُصدِّقوا، كانت تبتسم لنا. شعرتُ أنها سعيدة جدًّا بالفعل. فمن وجهة نظرها، كانت قد تخففت من عبء تضيق بحمله، وبما أنها لم تكن تُبالي برأي جماعة أصحاب الشعبية فيها، فهي لم تكن ترى أن هناك ما تخسره. الحقيقة أن مايا لم تكن في متناول قدرتهم على الإيذاء، فهي لم تكن غاضبة إلا من إيلي لأنها كانت صديقتها، أما أولئك البنات فإيلي لم تكن مهتمة برأيهن فيها، أو احتمال أن يسخرن منها في تلك اللحظة.

ولا بد أن أعترف أنني أُعجبت بشجاعة مايا.

ومع هذا، كان آخر ما أُريده في العالم هو أن يروني معها، لذلك بدأتُ أسير مبتعدةً عن واجهة المتجر قبل أن تخرج هي منه. لم أكن أُريد أن تراني هيمينا، بصفة خاصة، منتظرةً خروج مايا. لم أُرد أن يتصوَّر أحدٌ أن لي علاقة بهذا الجنون!

ومثلما أمكنني أن أبقى على الحياد في حرب الأولاد، أردتُ أن أبقى على الحياد فيما قد ينتهي إلى حرب أخرى بين البنات.

هكذا كان ردُّ فعل هيمينا

في عصر ذلك اليوم أرسلت إليَّ سمر رسالة نَصيَّة:

هل سمعتِ بما فعلته مايا؟

رددت:

نعم.

قالت:

أنا الآن مع هيمينا. عندي في البيت. هي حزينة تمامًا. هل يمكن أن تحضري؟

كنا نستعد للعشاء، فقلت لماما:

- هل يمكن أن أذهب إلى بيت سمر؟

هزَّت ماما رأسها:

- لا.
- أرجوكِ! الأمر طارئ نوعًا ما!

نظرت إليَّ:

- ماذا حدث؟

قلت بسرعة وأنا أرتدي معطفي:

- لا أستطيع أن أشرح الآن. أرجوكِ يا ماما، سأعود بسرعة، وعد.

سألت:

- هل الأمر له علاقة بفقرة الرقص؟

قلت مراوغةً:

- تقريبًا.

- حسنًا، لكن أرسلي إليَّ رسالة عند وصولك، وأريدك هنا قبل السادسة والنصف.

كانت سمر تعيش على بُعد أربعة شوارع من بيتنا، فوصلتُ إلى هناك في عشر دقائق. وفتحت لي والدة سمر القفل الإلكتروني في باب العمارة، ثم قالت لي بعدما فتحت الباب الأمامي وأخذت معطفي:

- أهلًا تشارلوت، إنهما في الخلف.

مضيتُ إلى غرفة نوم سمر في الخلف، حيث كانت هيمينا - مثلما قالت سمر تمامًا في رسالتها - تبكي في سرير سمر، بينما تمسك سمر علبة مناديل وتواسيها.

حكتا لي القصة كلها، فتظاهرتُ أنني لا أعرف الكثير عنها.

- أعطت مايا لإيلي رسالة أمام الجميع، والرسالة مليئة بـ«السموم» تجاه هيمينا.

هكذا وصفتاها لي.

قالت هيمينا وهي تمسح دموعها عن وجهها:

- وصفتني بـ«الشريرة»! ولا أعلم ما الذي فعلتُه لمايا؟ أنا أصلًا لا أعرفها!

قالت سمر وهي تربت على ظهر هيمينا كما تفعل الأم مع ابنتها:

- كنت أقول لهيمينا إن مايا قد تكون جاهلة اجتماعيًّا في بعض الأحيان.

قالت هيمينا:

- جاهلة اجتماعيًّا؟ هذا ليس جهلًا اجتماعيًّا، هذه وضاعة! هل تعرفين ما معنى أن يقرأ الجميع تلك البشاعة المكتوبة عنكِ؟ لقد

أداروا رسالتها حول المائدة وتناوبوا على قراءتها، حتى الأولاد. ورأوا جميعًا أنها **مسخرة**! وضحكت سافانا بالفعل حتى سعلت من الضحك، ورأت أنها في غاية الطرافة، وتظاهرتُ **أنا** أيضًا أنها طريفة. ههههه. أليست مسخرة أن يلومني شخص لا أكاد أعرفه على تحويل الناس إلى **زومبي**؟

ووضعت بأصابعها أقواسًا صغيرة في الهواء حول كلمة «زومبي»، ثم مضت تبكي من جديد.

قلت وأنا أعض باطن خدي:

- شيء بشع يا هيمينا! يؤسفني فعلًا أنها فعلت ذلك!

قالت لي سمر:

- قلت لها إننا سنُكلِّم مايا.

ألقيتُ عليها نظرة طويلة ثم سألتُ:

- من أجل ماذا؟

قالت سمر:

- لنقول لها إن ما كتبته مؤسف جدًّا. بما أننا صديقتان لمايا، أظن أنه بوسعنا أن نشرح لها كم آذت مشاعر هيمينا.

قلت بسرعة:

- مايا لن تهتم، لن تفهمنا يا هيمينا صدِّقيني!

كيف أُفسر لها هذا.

- في الحقيقة يا هيمينا، أنا أعرف مايا منذ سنوات، وفي رأيها، هذا الأمر كله لا يخصك أنتِ، بل يخص إيلي. هي فقط غاضبة من إيلي التي ابتعدت عنها.

قالت هيمينا:

– واضح، لكن هذا ليس ذنبي!

قلت:

– أعرف هذا، لكن مايا لا تعرفه، وهي تريد أن تلوم أحدًا. تريد أن يرجع كل شيء مثلما كان في المدرسة الابتدائية، وتظن أن التغيير كان بسببك أنتِ.

قالت هيمينا:

مكتبة
t.me/t_pdf

– وهذه ببساطة حماقة!

قلت:

– أعرف. ذلك مثل غضب سافانا تجاهي لأنني ظهرت في إعلان تلفزيوني ذات مرَّة. شيء بلا معنى.

سألت هيمينا:

– كيف تعرفين كل هذا؟ هل حكت لكِ؟

قلت:

– لا.

– هل كنتِ تعرفين بأمر الرسالة من قبل؟

قلت:

– لا.

أنقذتني سمر بسؤالها لهيمينا:

– وماذا قالت إيلي حينما قرأت رسالة مايا؟

قالت هيمينا:

– غضبت جدًّا، وأرادت هي وسافانا أن تردَّا بمنتهى القوة على مايا، بكتابة شيء وضيع جدًّا على فيسبوك مثلًا، أو أي شيء من

هذا القبيل، ثم رسم مايلز ذلك الكاريكاتير، وأرادوا أن ينشروه على إنستغرام.

أومأتْ هيمينا لسمر لتُسلِّمني قصاصة مطوية من ورقة. فتحتها، فإذا هي مرسوم فيها رسمٌ فجٌّ لفتاة (تُشبه مايا تمامًا) تُقبِّل ولدًا (يُشبه أوغي بولمان تمامًا)، وقد كُتب تحته: «مسوخ متحابة».

سألتْ سمر في انفعال:

- لحظة، لماذا يُدخلون أوغي في الموضوع؟!

قالت:

- لا أعرف. كان مايلز يحاول أن يُضحكني فقط. وكان الجميع يضحكون، كأن الأمر كله نكتة كبيرة، لكنني لا أرى الأمر طريفًا.

قلت:

- أنا آسفة جدًّا يا هيمينا!

سألتني في حزن:

- لماذا تكرهني مايا؟

قلت ناصحةً:

- عليكِ ألَّا تُفكِّري في هذا، ولا تعتبريه مسألة شخصية. تذكَّري أنكِ نصحتني أن أتوقف عن التفكير كثيرًا في رأي الناس تجاهي! عليكِ أن تفعلي مثل هذا. انسي رأي مايا تجاهكِ.

قالت هيمينا:

- لم أطلب أن أنضم إلى مجموعة سافانا حينما التحقتُ ببيتشر الإعدادية! لم أكن أعرف أحدًا، ولا أعرف مَن صديق مَن، أو مَن غاضب ممَّن. كانت سافانا أول بنت شعرتُ أنها لطيفة معي. هذا كل ما في الأمر.

قلت رافعة ذقني وكتفي:

- يعني، هذا ليس صحيحًا تمامًا، فقد كنتُ لطيفة معكِ!

بدت على هيمينا الدهشة.

أضافت سمر:

- وأنا كنتُ لطيفة معكِ!

قالت هيمينا:

- ما حكايتكما؟! هل ستنقلبان عليَّ أيضًا؟!

قالت سمر:

- لا، لا، إطلاقًا. نحن نحاول فقط أن نُريكِ الأمر من وجهة نظر مايا. هذا كل ما في الأمر. هي ليست فتاة وضيعة يا هيمينا. مايا ليست بداخلها جينات الوضاعة أصلًا. هي غاضبة من إيلي، وإيلي كانت وضيعة بعض الشيء معها في الفترة الأخيرة. هذا كل ما في الأمر.

قلت:

- في الحقيقة، لم تكن إيلي وضيعة. لقد انفصلت عنا وانضمت إليكن، وهذا شيء عادي. أنا لا أهتم. أنا لستُ مايا.

غطَّت هيمينا وجهها بيديها، وقالت وهي تنظر إلينا من بين أصابعها:

- هل الجميع يكرهونني؟

قلنا معًا:

- لا!

قالت سمر وهي تمد علبة المناديل إلى هيمينا:

- نحن بالقطع لا نكرهكِ!

تمخَّطت هيمينا، وقالت بهدوء:

- أظن أنني لم أكن لطيفة بالدرجة الكافية معها بشكل عام.

قالت سمر وهي تُعيد رسمة مايلز إلى هيمينا:

- ورسمة كهذه لا تحل شيئًا!

أخذتها هيمينا ومزَّقتها قطعًا صغيرة كثيرة، وقالت:

- لعلمكما فقط، ما كنتُ لأنشر شيئًا كهذا أبدًا! وقد حذَّرتُ سافانا وإيلي من قول أي شيء وضيع عن مايا على فيسبوك أو ما شابه. أنا لن أكون متنمِّرة على الإنترنت مهما حدث!

قالت سمر:

- أعرف.

وأوشكت أن تقول شيئًا آخر، لكننا سمعنا نقرًا على الباب، ثم أدخلت والدة سمر رأسها، وقالت متسائلةً:

- هاي يا بنات، هل كل شيء على ما يُرام؟

قالت سمر:

- نحن بخير يا ماما. إن هي إلا بعض دراما البنات.

قالت والدة سمر:

- تشارلوت، والدتكِ اتصلت، وتقول إنكِ وعدتِ بالعودة بعد عشر دقائق من الآن.

نظرت في هاتفي، وكانت الساعة السادسة وثلث بالفعل.

قلت لوالدة سمر:

- شكرًا.

ثم التفت إلى هيمينا وسمر:

- من الأفضل أن أذهب. هل ستكونين بخير يا هيمينا؟

أومأتْ، وقالت:

- شكرًا لحضورِكِ، شكرًا لكما، شكرًا لأنكما كنتما في منتهى اللطف. لقد أردت فقط أن أُكلِّم أحدًا في الأمر، ولم أكن أستطيع أن أُكلِّم سافانا أو إيلي، كما تعرفان!

أومأنا. فقالت وهي تقف:

- من الأفضل أن أذهب أنا أيضًا.

سرنا نحن الثلاث في الطُّرقة نحو باب الشقة، حيث كانت والدة سمر واقفة وبدا أنها تُرتب المعاطف.

سألتْ في ابتهاج:

- لماذا أنتن مبتئسات هكذا يا بنات؟! كنت أنتظر أن أراكن تتقافزن من البهجة استعدادًا لليوم الموعود غدًا، بعد كل تلك التدريبات والعمل الجاد من أجله. أنا متلهفة تمامًا لرؤيتكن ترقصن.

قلت مومئة وناظرة إلى سمر وهيمينا:

- أوه، نعم. الأمر مثير فعلًا.

ابتسمت سمر وهيمينا.

قالت هيمينا:

- نعم.

وقالت سمر:

- في الحقيقة، أنا متوترة قليلًا، فلم أرقص أمام جمهور من قبل.

قالت هيمينا وكأنها لم تكن تبكي قبل دقيقتين فقط:

- كل ما عليكِ هو أن تتخيَّلي أنهم غير موجودين.

قالت والدة سمر:

- هذه نصيحة رائعة.

قلت:

- ذلك ما قلته أنا أيضًا.

سألت والدة سمر:

- هل سيحضر والداكِ يا هيمينا؟ أتمنى أن أُقابلهما في الحفل.

قالت في أدب، وابتسامتها تُظهر غمازة خدِّها واضحة جلية:

- نعم.

وقلت:

- جميع الآباء والأُمهات سيجلسون إلى مائدة واحدة، ومعهم السيدة أتانابي وزوجها.

قالت والدة سمر:

- أوه، جميل! أتطلَّع إلى مقابلة الجميع.

قالت هيمينا:

- إلى اللقاء يا سمر، إلى اللقاء يا سيدة داوسون.

قلت:

- إلى اللقاء.

نزلتُ أنا وهيمينا معًا الدرج في اتجاه البهو، ثم سِرنا مسافة شارع إلى طريق «مين»، حيث كان يجب أن تسير هي يسارًا، وأسير أنا يمينًا.

قلت عندما وقفنا عند المنعطف:

- أنتِ أفضل الآن؟

قالت مبتسمة:

- نعم. شكرًا يا تشارلوت. أنتِ فعلًا صديقة مُقرَّبة.

- شكرًا لكِ. وأنتِ كذلك.

هزَّت رأسها، ومدَّت أصابعها إلى وشاحي، ثم نظرت إليَّ طويلًا وقالت:

- أعرف أنني كان يُمكن أن أكون ألطف مما كنتُ في بعض الأحيان، معكِ يا تشارلوت.

ثم عانقتني قائلة:

- أنا آسفة!

يجب أن أقول إن كلامها ذلك بدا رائعًا.

قلت:

- لا عليكِ.

- أراكِ غدًا.

- إلى اللقاء.

سِرتُ محاذية المطاعم في طريق أمسفورت، وقد بدأت تزدحم من جديد مع الجو الآخذ في الدفء. لم أستطع التوقف عن التفكير في هيمينا وما قالته لتوِّها. نعم، كان يمكن أن تكون ألطف في بعض الأحيان. فهل كنت أستطيع أنا أيضًا أن أكون ألطف مع البعض؟

وقفتُ عند التقاطع الكبير في انتظار الإشارة. وفي تلك اللحظة رأيتُ رجلًا في سُترة برتقالية يركب حافلة، وبجواره كلبة سوداء، حول عنقها شريط أحمر.

صحتُ وأنا أجري وراءه بمجرد أن تغيَّر لون الإشارة:

- غوردي جونسن!

التفت حينما سمع اسمه، لكنَّ باب الحافلة أُغلق خلفه.

هكذا تمنّت لنا السيدة أتانابي الخير

في استديوهات الطابق العلوي من قاعة كارنيجي، التي اصطحبتنا إليها السيدة أتانابي لنستعد للعرض، ثمة طُرقة فيها إطارات صور وبرامج لبعض عظماء الرقص الذين عرضوا هناك على مدى السنوات. فيما كنا نسير في تلك الطُّرقة إلى حيث سنُغيِّر ملابسنا، أشارت السيدة أتانابي إلى إحدى الصور، وكانت صورة للراقصات دنكان، بنات إيزادورا دنكان، وقد وقفن وقفة استعراضية جدًّا في ثياب فضفاضة بيضاء، وكانت الصورة بتاريخ 3 نوفمبر 1923.

قالت في جذل:

- أترين؟ هُن مثلكن تمامًا! تعالين أُصوركن يا بنات أمام صورتهن.

وأخرجت هاتفها ووجَّهته نحونا.

وقفنا نحن الثلاث على الفور بجوار الصورة، بمثل وقفة الراقصات أنفسهن: أنا على اليسار، ويداي إلى أعلى ناظرةً إلى اليمين، وسمر على اليمين، ويداها إلى أعلى ناظرةً إلى اليسار، وهيمينا في المنتصف فاردةً ذراعيها أمامها في مواجهة الكاميرا.

التقطت السيدة أتانابي لقطات عديدة إلى أن رضيت عن واحدة، ثم هرولنا في خفة نحن الأربع - فقد كانت السيدة أتانابي تشعر في تلك الليلة بمثل الإثارة التي شعرنا نحن بها - إلى الغرفة الخلفية لتغيير ملابسنا.

لم نكن وحدنا العارضين في تلك الليلة، فقد كانت هناك بالفعل فرقة جاز المدرسة العليا، وفرقة كورال الغرفة بالمدرسة العليا. كنا نسمع أصوات آلات الترومبيت والساكسفون وغيرها من الآلات تتردَّد أصداؤها عبر الطُّرقات، وأصوات أعضاء الكورال أثناء الإحماء في غرفة كبيرة مجاورة لغرفة تغيير الملابس.

ساعدتنا السيدة أتانابي في تصفيف الشعر وفي التجمُّل. بدت ذات قدرة رائعة حين حوَّلت تسريحة كلٍّ منا إلى تصفيفة مدورة وكبيرة ومتماوجة وذات أطراف مدببة، وفي أعلاها غيمة من مُثبِّت الشعر. وعلى الرغم من اختلاف شعر كلٍّ منا عن الأخرى، فقد جعلتنا السيدة أتانابي بطريقة ما متناغمات تناغمًا مثاليًّا.

كان عرضنا هو العرض الأخير، فاستثقلتُ وقت الانتظار الطويل.

ظللنا متماسكات الأيدي، نتكلَّم معًا، لكي لا تُصاب إحدانا بنوبة ذُعر.

وعندما حان الوقت أخيرًا لكي نتقدَّم، أخذتنا السيدة أتانابي وأنزلتنا إلى خلفية المسرح في قاعة شتيرن. اختلسنا النظر عبر الستائر إلى الجمهور لحظة أن كان كورال الغرفة بالمدرسة العليا يُنهي أغنيته الأخيرة. كان الجمهور كثيرًا جدًّا، ولم نستطع تبيُّن وجه أيٍّ منهم، حيث كانت العتمة شديدة، لكن القاعة كانت أكبر قاعة رأيتها في حياتي، بشرفات وأقواس مذهبة، وجدران مكسوة بالقطيفة.

طلبت منا السيدة أتانابي أن نتَّخذ مواقعنا وراء الستائر: هيمينا في المنتصف، وأنا على اليسار، وسمر على اليمين. ثم نظرت إلينا، وهمست وصوتها مملوء بالأحاسيس:

- اسمعن يا بنات، لقد تعبتن كثيرًا، ولا أستطيع أن أفيكن حقكن من الشكر على كل الوقت الذي قمتن بتخصيصه لإحياء هذه الرقصة، والطاقة، والحماس...

تهدَّج صوتها، ومسحت دمعة طفرت من فرط الابتهاج. لو لم نقرأ تلك المقالة عنها، ربما ما استوعبنا أهمية تلك الرقصة بالنسبة إليها. لكننا كنا نعرف. لم نقل لها إننا اكتشفنا تلك المقالة عنها، وإننا عرفنا بأمر صديقة طفولتها، فقد خمَّنا أنها لو كانت تريدنا أن نعرف لحكت لنا. لكن معرفتنا بذلك الجزء البسيط من قصتها جعل الرقصة وكل ما سبق الرقصة يعني شيئًا شديد الخصوصية. من الطريف جدًّا أن تتضافر قصصنا جميعًا بتلك الطريقة. قصة كل واحدة تتشابك مع قصص غيرها.

همست وهي تُقبِّل كلًّا منا على جبهتها:

- أنا فخورة بِكُنَّ يا بنات!

كان الجمهور يصفق للكورال الذي أنهى فقرته للتوّ. وفيما تراجع المغنون عن المسرح عبر الجانبين، شقَّت السيدة أتانابي طريقها إلى مُقدِّمة الخشبة منتظرة أن يُقدِّمها السيد توشمان، واتخذنا مواقعنا، وكنا نسمع السيدة أتانابي وهي تُقدِّم الفقرة التي نوشك أن نُقدِّمها، وتقدَّمنا نحن.

همست لنا هيمينا والستارة تُوشك أن ترتفع:

- حان الوقت يا بنات!

انتظرنا حتى تبدأ الموسيقى. خمسة. ستة.

خمسة. ستة. سبعة. ثمانية!

إلى شنغالنغ يا صغيرتي!

ليتني أستطيع وصف كل ثانية من الدقائق الإحدى عشرة على الخشبة، وكل حركة، وكل قفزة، وكل اهتزازة والتفافة. لكنني لا أستطيع بالطبع. كل ما يمكنني قوله هو أن كل شيء كان على **أكمل وجهٍ يمكن أن يكون!** لم تفلت خطوة أو حركة أو خلجة! طوال إحدى عشرة دقيقة، بدونا كأننا نرقص ونحن أعلى بعشر أقدام عن الدنيا وما فيها! كانت أكثر تجارب حياتي روعةً وعظمةً وإجهادًا وامتلاءً بالمشاعر والبهجة والجمال! وفيما كنا نقترب من النهاية الكبيرة، مقتربات من **لا أحد يرقص شنغالنغ مثلما أرقصها**... وقبل أن ننطلق في لمسة السيدة أتانابي في شنغالنغ، وهي التنويعة التي اخترعتها بنفسها، كنتُ أشعر بطاقة الحاضرين جميعًا وهم يصفقون بمصاحبة الأغنية.

لا أحد، لا أحد

لا أحد، لا أحد

لا أحد، لا أحد...

وحينذاك انتهينا. انتهيتُ. لاهثةً، مبتسمةً من الأذن إلى الأذن. وسط تصفيق كالرعد!

انحنينا نحن الثلاث انحناءة مشتركة، ثم انحنت كل واحدة انحناءتها، وسط صفير الجمهور وتهليله!

كان آباؤنا جاهزين بالزهور من أجلنا، وأعطتني أمي باقة إضافية، قدَّمناها إلى السيدة أتانابي حينما صعدت إلى الخشبة لتنحني

للجمهور. تمنيتُ لوهلة لو أن كل طلاب الصف الخامس الذين كانوا يسخرون من السيدة أتانابي من وراء ظهرها حاضرون ليروها في تلك اللحظة مثلما أراها أنا. في تنورتها الجميلة، وشعرها المجموع في كعكة مثالية، وهي أشبه ما تكون بملكة!

هكذا قضينا بقية الليلة

بعد قليل، وبعدما انتهينا من تغيير ملابسنا، انضممنا إلى آبائنا لتناول العشاء في قاعة الطعام بالطابق الأسفل. وفيما نحن ماضيات وسط الموائد المستديرة المُحاطة بالمُعلِّمين، والآباء الآخرين، وكثير من الكبار الذين لم نكن نعرفهم، كان الناس يهنئوننا ويُبدون إعجابهم برقصنا. وخطر لي أن **هذا إذن هو إحساس الشهرة!** وأحببت ذلك.

كان آباؤنا قد جلسوا جميعًا إلى مائدة واحدة عندما وصلنا إليهم، ومعهم السيدة أتانابي وزوجها. صفقوا لنا تصفيقة إضافية صغيرة قبل أن نجلس لنقضي بقية الأمسية ونحن نتكلَّم معًا، في حديث لا يتوقَّف، نُفتت كل ثانية من الرقصة أصابنا فيها التوتر خوفًا من عدم القيام بخطوة معينة، أو أنهيناها مُصابات بقليل من الدوار بعد دوراننا حول أنفسنا.

قبل تقديم العشاء، ألقى الدكتور جانسن مدير بيتشر كلمة قصيرة وجَّه فيها الشكر إلى كل مَن حضر الحفل الخيري، ثم طلب من السيدة أتانابي، وكذلك المُعلِّم المسؤول عن الكورال، والمُعلِّم المسؤول عن فرقة الجاز، أن يقفوا لتحيتهم مرَّة أخرى. وهلَّلتُ أنا وهيمينا وسمر بأقوى ما استطعنا. ثم تكلَّم الدكتور جانسن عن أشياء أخرى، مثل: الأهداف المالية، وتوفير التبرعات، وأمور كانت مُضجرة لدرجة أنني لم أقوَ على انتظاره إلى أن ينتهي.

فيما بعد، وبعدما انتهينا من تناول السلاطة، ألقى السيد توشمان خطبة عن أهمية دعم الفنون في بيتشر الإعدادية، بحيث تستطيع

المدرسة أن تستمر في رعاية نوعية «الموهبة» التي شُوهدت في تلك الليلة. وفي هذه المرَّة طلب من جميع الطلاب المشاركين في عروض الليلة أن يقفوا مرَّة أخرى لتلقِّي جولة أخرى من التحية. فوقف في مختلف أنحاء القاعة الأولاد المشاركون في فريقي الجاز والكورال بدرجات مختلفة من الثقة والحياء، أما نحن الثلاث فلم نكن الأقل خجلًا من الوقوف لتلقِّي تلك الجولة الإضافية من التحية. ماذا أقول؟

ليكن! هاتوا ما عندكم.

بحلول الوقت الذي قُدِّمت فيه القهوة، كانت جميع الخُطب قد انتهت، وبدأ الناس يتكلَّمون بعضهم مع بعض ويختلطون، ورأيتُ رجلًا وامرأة آتيين إلى مائدتنا، لكنني لم أتذكَّر مَن هما، إلى أن قفزت سمر من كرسيها وعانقتهما، وعند ذلك عرفت. إنهما والدا أوغي. قبَّلا والدة سمر، ثم استدارا إليَّ أنا وهيمينا.

قالت والدة أوغي برقة:

- كنتن مذهلات يا بنات!

قلت مبتسمة:

- شكرًا جزيلًا.

قال والد أوغي للسيدة أتانابي التي كانت تقف بجوار سمر:

- يجب أن تفخري بهن كثيرًا!

قالت السيدة أتانابي مبتسمة ابتسامة عريضة:

- أنا فخورة بهن! لقد تعبن كثيرًا!

قالت والدة أوغي وهي تشد على كتفي قليلًا قبل أن تعود مرَّة أخرى إلى والدة سمر:

- تهانينا مرَّة أخرى!

صحتُ:

- أبلغا أوغي سلامي!
- سنفعل.

قالت هيمينا:

- لحظة، هل هذان هما والدا أوغي؟ إنهما يُشبهان نجوم السينما!

همستُ:

- صحيح.

حشرت سمر نفسها بيننا:

- عن أي شيء تتهامسان؟

قلت:

- لم تكن تعرف أنهما والدا أوغي.

قالت سمر:

- أوه! هما في منتهى اللطف!

قالت هيمينا:

- أمر غريب جدًّا! شكلهما جميل فعلًا!

قلت:

- هل رأيتِ أخت أوغي الكبيرة من قبل؟ إنها في منتهى الجمال. تصلح للعمل كموديل. أمر يبعث على الجنون!

قالت هيمينا:

- واو! أظن، كنت أظن، لا أعرف، كنت أحسب أنهم جميعًا يُشبهون أوغي!

قالت سمر برقة:

- لا. الأمر يُشبه حال أخيكِ الصغير. وُلد هكذا وحسب.

أومأت هيمينا ببطء.

شعرتُ أنها، على الرغم من ذكائها الشديد، لم تُفكِّر في الأمر من هذه الزاوية قَطُّ.

هكذا نِمتُ... أخيرًا

لم نرجع إلى البيت إلا في وقت متأخر من تلك الليلة. كنتُ مُجهدة إلى أقصى حد وأنا أُزيل آثار التجميل عن وجهي وأستعد للنوم. ثم حدث، لا أدري لماذا، أن عجزتُ عن النوم. ظلّت جميع أحداث الليلة ترتطم بي ارتطام مويجات خافتة، وانتابني ذلك الإحساس الذي قد ينتاب المرء في قارب يهتز إلى الأمام وإلى الخلف، كأن سريري يطفو على محيط.

بعد قرابة نصف الساعة من التقلُّب على جنبيَّ، تناولتُ هاتفي الذي كنت أشحنه على المنضدة المجاورة للسرير:

هل أحد مُستيقظ؟

أرسلتُ تلك الرسالة إلى سمر وهيمينا.

كان ذلك بعد منتصف الليل، وكنت متأكدة أنهما نائمتان.

أردت فقط أن أُخبركما يا بنات أنني أشكركما.
أنتما أروع مَن عرفت في العالم! وأنا سعيدة أننا
أصبحنا صديقات مُقرَّبات!
سأتذكَّر هذه الليلة دائمًا.
إنها شنغالنغ يا صغيرتي.

أعدتُ الهاتف إلى المنضدة، وضربت وسادتي بكفي ضربة ثنتها، فإذا هي وسادة وثيرة منتفخة. وأغمضت عينيَّ، راجيةً أن يزورني النوم. وفي اللحظة التي كدتُ أشعر بنفسي فيها أنجرف إليه، سمعتُ رنين هاتفي.

لم تكن هيمينا أو سمر!
الغريب، أنها كانت رسالة من إيلي:

هاي تشارلي،
أثق أنكِ نائمة، لكنَّ والديَّ عادا من الحفلة للتوِّ،
وقالا إنكن كُنتن رائعات جدًّا.
أنا فخورة بكِ! ليتني حضرتُ ورأيتُ الرقصة.
أنتِ تستحقين هذا.
تعالي نُجرِّب الخروج معًا بعد المدرسة الأسبوع
المُقبل. أشتاق إليكِ.

أعرف أن هذا يبدو غباءً، لكنه ما حدث: فرحتُ برسالتها فرحًا عظيمًا، واغرورقت عيناي بالدموع.
رددتُ عليها:

شكرًا جزيلًا يا إيلي.
ليتكِ حضرتِ فعلًا. أرجو أن نخرج الأسبوع
المُقبل.
أشتاق إليكِ. تُصبحين على خير.

هكذا اندهشتْ مايا وأدهشتنا

استيقظتُ في الصباح التالي، وأنا ما زلت أشعر بالإرهاق الشديد، وقد سمحت لي ماما بالذهاب متأخِّرة إلى المدرسة.

علمتُ أن هيمينا وسمر ردَّتا على رسالتي بمجرد أن استيقظتا.

هيمينا تشين:

أنا أيضًا أشعر بما تشعرين به يا تشارلوت.

يا لها من ليلة!

سمر داوسون:

أنا أيضًا أُحبكِ!

لم أرد على رسالتيهما لأنني كنت أعرف أنهما في الفصل. ضاعت مني الحصص الثلاث الأولى، ولم أرَ أيًّا منهما حتى موعد الغداء. كانت سمر تجلس كالعادة مع أوغي وجاك، وكانت هيمينا كالعادة على مائدة سافانا. لجزء من الثانية، كدتُ أذهب وأُحيي هيمينا، لكن صورة مايا وهي واقفة أمام تلك المجموعة بالأمس كانت لا تزال ماثلة في رأسي، ولم أشأ أن أمنح هيمينا أقل فرصة يمكن أن تُحبطني فيها بأي شيء عدا تحية لطيفة صادقة.

لوَّحتُ أثناء سيري لسمر الجالسة على مائدتها المعهودة، وجلستُ بجوار مايا. سألتني بنات مائدتي عن ليلة أمس، وكان بعضهن قد سمعن من آبائهن، فأعفيتهن من التفاصيل لأنني كنت أعرف أنهن سيفقدن الاهتمام بعد ثلاثين ثانية على أقصى تقدير، وذلك ما حدث بالضبط.

والحقيقة أنني لا ألومهن.

كان الشيء الأساسي في رؤوسهن، بل الشيء الوحيد الذي يرغبن في الكلام عنه في حقيقة الأمر، هو الرسالة التي أعطتها مايا لإيلي بالأمس في كارفل. تبيَّن أن تلك الرسالة - التي كان نصف طلاب الصف الخامس في ذلك الوقت قد قرأوها أو سمعوا أجزاء منها - أصبحت بطاقة مرور مايا الأولى إلى شهرة لم تعرفها من قبل. كان الجميع يتكلَّمون عنها، والأولاد يشيرون إليها لطلاب الصف السادس الذين سمعوا أيضًا عن الرسالة فأثارت فضولهم.

قالت مايا نفسها:

- أنا اليوم ملكة الأحصنة السوداء!

رأيت أنها تشعر بالنصر، وأن انتباه الناس إليها قد راق لها.

كنتُ أنوي أن أُخبرها كم تألمت هيمينا بسبب رسالتها لدرجة البكاء، لكن الغريب أنني لم أشأ أن أكون المطر الذي يُدمِّر لمايا موكب انتصارها.

- هاي، أنتِ!

هكذا قالت سمر وهي تلكزني لأُفسح لها.

قلت:

- هاي.

نظرتُ إلى مائدتها، وأنا مُندهشة من رؤيتها عند مائدتي، فأدركتُ أن أوغي وجاك قد غادراها بالفعل.

قالت مايا في حماس:

- هاي يا سمر، هل سمعتِ عن رسالتي؟

ابتسمت سمر وقالت:

- نعم سمعتُ.

قالت مايا:

- وهل أعجبتكِ؟

أدركتُ أن سمر هي الأخرى لم تشأ أن تُؤذي مشاعر مايا، وتردَّدت في الإجابة.

تدخلتُ قائلة:

- أين أوغي وجاك؟

قالت:

- يعملان على بعض الرسائل السِّرية جدًّا التي سيتركانها في خِزانة جوليان.

قالت مايا:

- مثل رسالتي؟

هزَّت سمر رأسها:

- لا أعتقد. إنها رسائل غرامية من شخص يُدعى «بيولا».

قلت:

- مَن يكون بيولا؟

ضحكت سمر:

- الأمر يصعب تفسيره.

لاحظتُ أن هيمينا كانت تنظر إلينا من أقصى المطعم. ابتسمتُ لها، فردَّت لي الابتسامة. ثم أدهشني أنها نهضت وسارت في اتجاه مائدتنا.

توقَّف كل الجالسين إلى المائدة عن الكلام بمجرد أن رأوها تقف عندنا. ومن دون أن يُطلب منهما شيء، أفسحت ميغان وراند

بينهما مكانًا لهيمينا كي تجلس، فجلست في مواجهتي أنا ومايا وسمر مباشرة.

ذهلت مايا تمامًا، واتسعت عيناها، وبدا عليها شيء من الخوف. لم أدرِ ماذا سيحدث بعد ذلك.

شبكت هيمينا أصابع يديها أمامها، ومالت ناظرة مباشرة إلى مايا، وقالت:

- مايا، أريد فقط أن أعتذر لكِ إذا كنتُ قد قُلتُ أو فعلتُ أي شيء مُهين لكِ. إذا كان ذلك قد حدث، فأنا لم أقصده نهائيًّا. رأيي في الحقيقة أنكِ شخصية لطيفة حقًّا وشديدة الذكاء ومثيرة للاهتمام، وأرجو فعلًا أن نكون صديقتين بدءًا من الآن.

رمشت مايا، لكنها لم تقل شيئًا، وإن انفتح فمها قليلًا.

قالت هيمينا وقد بدا عليها شيء من الخجل:

- على أي حال، هذا كل ما أردتُ قوله.

قالت سمر مبتسمة:

- هذا لُطف كبير منكِ يا هيمينا.

نظرت هيمينا إلينا وقد ارتسم على وجهها تعبير الغمزة المعهود لديها، وقالت:

- إنها شنغالنغ يا صغيرتي.

فابتسمتُ أنا وسمر.

وبمثل سرعتها في الجلوس معنا، نهضت وعادت إلى مائدتها. نظرتُ بطرف عيني فرأيت إيلي وسافانا تُتابعانها، ولم تكد تجلس إلى مائدتها حتى اقتربتا منها وأعطتاها آذانهما.

قالت سمر لمايا:

- كان هذا لُطفًا كبيرًا منها، أليس كذلك؟

قالت مايا وهي تخلع نظارتها لتمسحها:

- أنا مذهولة! مذهولة تمامًا!

نظرت إليّ سمر نظرة سريعة مدركة.

قلت:

- مايا، ماذا حدث للعبة النقاط العملاقة التي كنتِ تعملين عليها؟

قالت في حماس:

- أوه! معي هنا. قلتُ لكِ إنني أنتظر أن تفرغي لكي نلعبها معًا. لماذا تسألين؟ تريدين أن تلعبيها الآن؟

قلت:

- نعم أريد.

قالت سمر:

- وأنا أيضًا.

شهقت مايا، وتناولت حقيبتها، فأخرجت منها أنبوبًا ورقيًّا مثنيًّا إلى مثلثات، ومُعوجًّا قليلًا في طرفه العلوي. تابعناها وهي تفرده بحرص إلى أن أصبح أمامنا فرخًا ورقيًّا استولى على المائدة كلها طولًا وعرضًا. وعندما فُرد أمامنا، نظرنا إليه جميعًا مبهوتين.

لم تكن في الورقة العملاقة بوصة مربعة واحدة غير مغطّاة بالنقاط. مرسومة على أتم نحو ممكن، بمسافات متساوية بينها. لكنها لم تكن نقاطًا وحسب، بل أنماط شبكية جميلة متصلة بمنحنيات. موجات من الخطوط تنتهي بلوالب أو زهور أو شموس. بدت أقرب

إلى فن الوشم، فكأنها اللون الأزرق عندما يغمر ذراع شخص فلا يترك فيها مكانًا، ولا تعرف أين ينتهي وشم ليبدأ وشم.

كانت أجمل لعبة نقاط رأيتها في حياتي، جمال لا يمكن أن تُصدِّقه.

قلت ببطء:

- مايا، هذا مذهل!

قالت في سعادة:

- نعم، أعرف.

مكتبة
t.me/t_pdf

هكذا تغيَّرت أمور، وبقيت أمور على حالها

تلك كانت المرَّة الأولى، والأخيرة، التي جلستُ فيها أنا وسمر وهيمينا إلى مائدة غداء واحدة، أو إلى أي مائدة في الحقيقة. عادت كلٌّ منا إلى مجموعتها: هيمينا مع سافانا، وسمر مع أوغي، وأنا مع مايا.

والحقيقة أن ذلك كان جيدًا بالنسبة لي.

بالتأكيد، ربما كان جزء مني - ذلك الجزء المُحب للنهايات السعيدة - يتمنى لو تغيَّرت الأمور. فتُبدِّل هيمينا وإيلي المائدة فجأة لتجلسا إلى مائدتي، مع سمر أيضًا. أو ربما نُكوِّن مائدة غداء جديدة معًا، مع جاك وأوغي وريد - وأموس! - في المائدة المجاورة لنا.

لكن الحقيقة أنني كنت أعرف أن الأمور لن تتغيَّر إلى هذه الدرجة. كنت أعرف أنها ستكون دائمًا مثلما كانت عليه بعد الليلة التي بتنا فيها في شقة هيمينا. كأننا قمنا برحلة سِرية معًا، رحلة لم يدرِ بها أحد، فلما أنهينا رحلتنا وعُدنا، مضت كلٌّ منا إلى بيتها. وهكذا هي بعض الصداقات، بل لعل أفضل الصداقات تكون هكذا. تبقى الروابط قائمة دومًا، لكنها خفية عن العيون.

هكذا لم تدرِ سافانا أنني أنا وسمر أصبحنا نعرف صديقتها هيمينا بقدر ما عرفناها. وهكذا لم تدرِ مايا أثر رسالتها عليَّ أنا وسمر. وهكذا لم يدرِ أوغي أي شيء عن كل ما كان يجري، فقد «كانت لديه أموره ليهتم بها»، مثلما قالت لي سمر مرَّة مُفسرةً عدم إخبارها لأوغي باختيارها لرقصة السيدة أتانابي: «لا داعي لأن يعرف كل دراما البنات هذه».

هذا لا ينفي أن بعض التغيرات قد وقعت بالفعل.

مع بداية الشهور القليلة الأخيرة لنا في الصف الخامس، لاحظتُ تمامًا أن هيمينا بذلت مزيدًا من الجهود لتوسيع علاقاتها وسط طلاب صفنا. وصارت حينما تلقاني في الطُّرقة تحييني دائمًا بحرارة سواء أكانت برفقتها سافانا أم لم تكن. فضلًا عن أنه على الرغم من أن إيلي ومايا لم تُصلحا ما بينهما، فقد خرجتُ أنا وإيلي معًا بضع مرَّات بعد المدرسة. صحيح أن ذلك لم يكن شبيهًا بالأيام الماضية، لكنه تغيير، وسوف أرضى به.

خطوات بسيطة مثلما تقول السيدة أتانابي. كل شيء يبدأ بخطوات بسيطة.

والحقيقة أنه حتى لو دعتني هيمينا وسافانا وإيلي فجأة إلى الجلوس معهن إلى المائدة، فلن أقبل الدعوة الآن. لأنه ببساطة لن يكون لائقًا، فأنا لا أُحب أن أتلقَّى رسالة غاضبة من مايا أو أحتملها وهي تكز لي على أسنانها من الطرف الآخر من القاعة. لكن الأهم من ذلك أنني أدركت شيئًا يوم فردت لعبة النقاط البديعة على مائدة الغداء، أدركت أن مايا كانت دائمًا صديقتي في الأفراح والأحزان، صديقتي الحقيقية، طوال كل تلك السنين، بطريقتها الخرقاء الوفية التي لا تخلو من إزعاج. لم تحكم عليَّ يومًا، بل قبلتني دائمًا كما أنا. وهؤلاء البنات الجالسات معي إلى مائدة الغداء، اللاتي ليس بيني وبينهن شيء مشترك؟ لكم أن تتخيلوا، نحن مشتركات في مائدة غداء واحدة، وفي لعبة نقاط جميلة نلعبها في وقت الغداء، بأقلام مختلفة الألوان خصصت مايا واحدًا منها لكلٍّ منا، فيجب علينا أن نستعملها وإلا فإن ثائرتها تثور علينا. ولكن هذه هي مايا، وهذا ما لن يتغيَّر.

هكذا تحدَّثتُ مع السيد توشمان

في اليوم الدراسي الأخير، جاءتني السيدة جارسيا مساعدة السيد توشمان في الحصة السابعة، وسألتني إن كان بوسعي أن أذهب لمقابلة السيد توشمان بعد انتهاء اليوم الدراسي. وسمعتها مايا، فبدأت تضحك، وتُغني:

- أوه.. أوه.. تشارلوت وقعت في مشكلة.

ومع ذلك، كنت أعلم أنا وهي أن هذا غير صحيح، وأن الأمر له علاقة غالبًا بالجوائز التي كانت المدرسة تعتزم توزيعها في اليوم التالي. كان الجميع يظنون أنني سأحصل على ميدالية بيتشر عن تنظيمي حملة التبرُّع بالمعاطف، فقد كانت الميدالية تُمنح عادةً لأكثر التلاميذ مشاركة في الخدمة الاجتماعية.

طرقت باب السيد توشمان بعد جرس الحصة الأخيرة.

قال في حماس:

- ادخلي يا تشارلوت.

وأشار لي أن أجلس على الكرسي المواجه لطاولته.

كثيرًا ما أحببتُ مكتب السيد توشمان، فعلى حافة طاولته ألعاب كثيرة، وأعمال فنية نفَّذها الأولاد مُعلَّقة في أطر على الجدران. وقد لاحظتُ على الفور الصورة التي رسمها أوغي لنفسه على شكل بطة، وهي مُعلَّقة وراءه.

عرفت فجأة الهدف من ذلك اللقاء.

سألني وقد عقد ذراعيه أمامه على الطاولة:

- هل تشعرين بالإثارة تجاه حفل التخرُّج في الغد؟

أومأت، وقلت وأنا غير قادرة على كبت سعادتي:

- لا أُصدِّق أن الصف الخامس أوشك على الانتهاء!

قال:

- يصعب تصديق هذا، أليس كذلك؟ هل لديكِ خطط للصيف؟
- سأذهب إلى معسكر للرقص.

قال:

- أوه! ما ألطف هذا! أنتن الثلاث كُنتن بديعات في حفل مارس الخيري، مثل الراقصات المحترفات. والسيدة أتانابي فرحت بكن، وباجتهادكن، وحسن عملكن معًا.

قلت في ابتهاج:

- نعم، كان وقتًا ظريفًا جدًّا.

قال مبتسمًا:

- هذا عظيم! أنا سعيد لأنكِ قضيتِ عامًا جيدًا يا تشارلوت! أنتِ تستحقين، فقد كنتِ مصدر بهجة هنا، وأنا أشكركِ على لُطفكِ مع الجميع. لا تتصوري أن هذه الأمور تغيب عن الملاحظة.
- شكرًا لك يا سيد توشمان.

قال:

- السبب الذي جعلني أرغب في الحديث إليكِ قبل الغد، وأرجو أن يبقى هذا سِرًّا بيني وبينكِ، هو أنني أعرف **أنكِ** تعلمين أن من بين التكريمات التي سأمنحها في الغد ميدالية بيتشر.

قلت فجأة:

- ستمنحها لأوغي، أليس كذلك؟

بدت عليه الدهشة، وسألني:

- لماذا تقولين ذلك؟!

- الجميع يتصورون أنني سأحصل عليها.

نظر إليَّ مبتهجًا، ثم ابتسم قائلًا برقة:

- أنتِ بنت شديدة الذكاء يا تشارلوت!

قلت:

- هذا لا يُضايقني يا سيد توشمان.

أصرَّ قائلًا:

- لكنني أردتُ أن أُفسِّر الأمر. فالحقيقة أن هذه لو كانت سنة عادية كأي سنة أخرى، لكان يُحتمل أن تفوزي أنتِ بتلك الميدالية يا تشارلوت، وأنتِ تستحقينها، لا بسبب عملكِ الشاق في حملة التبرُّع بالمعاطف، بل لأنكِ مثلما قلتُ من قبل كنتِ لطيفة مع الجميع، ولم أزل أتذكَّر كيف أنكِ منذ البداية عندما طلبتُ منكِ أن تكوني ضمن فريق الترحيب بأوغي، تقبَّلتِ الأمر بحماس وبلا مواربة.

هل أشرتُ من قبل إلى مدى حبي لاستعماله الكلمات ذات المعنى الكبير وافتراضه أننا سنفهمها؟

قال:

- لكن، كما تعلمين، هذه السنة كانت أبعد ما يمكن عن أن تكون سنة عادية. وحينما كنت أُفكِّر في هذه الجائزة، وفيما تُمثله، أدركتُ أنها يمكن أن تتعلَّق بما يفوق خدمة المجتمع، بغير تهوين من قيمة ذلك على الإطلاق.

وافقته قائلة:

- لا بالطبع، أنا أفهم ما تقصده تمامًا.

قال وهو يربت على قلبه:

- حينما أنظر إلى أوغي وجميع التحديات التي كان عليه أن يُواجهها بصورة يومية، فإنني أنظر بإجلال إلى مجرد ظهوره هنا كل يوم، بابتسامة على وجهه. وأريد أن أُعطيه حقه بأن تكون هذه السنة انتصارًا له، وتأكيدًا على أنه ترك أثرًا. أعني، التفاف الأولاد حوله بعد الحادثة البشعة التي وقعت في مخيم العودة إلى الطبيعة! لقد كان ذلك بسببه، فهو الذي أشاع هذه الطِّيبة.

قلت:

- إنني أفهم تمامًا ما ترمي إليه.

واصل حديثه قائلًا:

- وأريد لهذه الجائزة أن تكون جائزة للطِّيبة، الطِّيبة التي نضيفها إلى العالم.

وافقته قائلة:

- بالطبع.

بدا سعيدًا بي سعادة عميقة، ومرتاحًا بعض الشيء وفق ما بدا لي.

قال:

- أنا سعيد لأنكِ تفهمينني يا تشارلوت. لقد أردتُ أن أُخبركِ مُسبقًا، لكي لا تشعري بالإحباط في حفل الغد، خصوصًا أن الجميع كما تقولين يتوقَّعون حصولكِ على الميدالية. لكنكِ لن تُخبري أحدًا، أليس كذلك؟ لا أريد أن أُفسد المفاجأة على أوغي وأسرته.

- هل يمكن أن أُخبر **والديَّ**؟

- بالطبع. مع أنني أُخطط للاتصال بهما الليلة لأقول لهما كم أنا فخور بكِ في هذه اللحظة.

ونهض مادًّا يده عبر الطاولة ليصافحني فصافحته.

قال:

- شكرًا لكِ يا تشارلوت.
- الشكر لك يا سيد توشمان.
- أراكِ غدًا.
- إلى اللقاء.

وبدأتُ أسير في اتجاه الباب، ثم قفزت في رأسي تلك الفكرة، وبدت فكرة مكتملة، لا أعرف من أين خطرت لي.

سألته:

- لكن **يمكن** أن تُمنح الجائزة لاثنين، أليس كذلك؟

رفع رأسه، ولوهلة أظن أنني رأيتُ في عينيه قدرًا ضئيلًا من الإحباط.

قال وهو يهرش جبهته:

- حدث في مرّات **قليلة** أن مُنحت الميدالية لاثنين من الطلاب ممن قاموا **معًا** بخدمة للمجتمع، لكن في حالتكِ أنتِ وأوغي، أعتقد أن الأسباب مختلفة تمامًا عن أسباب إعطائها من قبل...

قاطعته قائلة:

- لا، أنا لا أتكلَّم عني أنا وأوغي، بل أُفكِّر في أن **سمر** تستحق الجائزة.
- سمر؟!

أوضحتُ قائلة:

- لقد كانت صديقة **رائعة** لأوغي طوال العام، وليس ذلك لأنكَ **طلبتَ** منها أن تكون من بين المُرحِّبين به، كما طلبتَ مني أنا

وجاك، بل فعلت ذلك وحسب، بوازع من الطِّيبة التي كنت تتكلَّم عنها الآن!

أومأ السيد توشمان، مُصغيًا في تركيز لما أقوله.

قلت:

- أقصد أنني كنتُ **لطيفة** مع أوغي، أما سمر فكانت **طَيِّبة**. والطِّيبة هي اللُّطف مضروب في عشرة مثلًا. هل المعنى واضح؟

قال مبتسمًا:

- أعرف بالضبط ما تقصدينه.

أومأت قائلة:

- جميل!

قال:

- إنني أُقدِّر تمامًا ما قلته لي يا تشارلوت. لقد أعطيتني فكرة تستحق النظر كثيرًا.

- رائع!

نظر إليَّ، ثم أطرق ببطء، كأنه يجادل فكرة في رأسه، ثم قال:

- لكنني أطرح عليكِ سؤالًا.

وتمهَّل كمن يبحث عن الكلمات المناسبة:

- في رأيك، هل سترغب سمر في الحصول على جائزة لمجرد أنها كانت صديقة لأوغي؟

لحظة أن قال ذلك، فهمت تمامًا ما كان يعنيه، فقلت:

- أوه! لحظة! حضرتك مُحقٌّ تمامًا. لن ترغب في ذلك بالطبع.

لسببٍ ما، خايلتني صورة مايا وهي تكز على أسنانها ناظرةً إلى مائدة سافانا من طرف القاعة الآخر.

الصداقات فعلًا لا علاقة لها بالميداليات والأوسمة.

نهض وهو يقول:

- لكن دعيني أُفكِّر الليلة في الأمر.
- لا، حضرتك مُحقٌّ، الأمر أفضل وفقًا لترتيبك الأول.
- هل أنتِ متأكدة؟

أومأتُ، ثم قلتُ:

- أشكرك مرَّة ثانية يا سيد توشمان. أراك غدًا.
- أراكِ غدًا يا تشارلوت.

تصافحنا مرَّة أخرى، لكنه هذه المرَّة صافح يدي بكلتا يديه.

قال:

- كما تعلمين، اللُّطف هو الخطوة الأولى نحو الطِّيبة، هو بدايتها الرائعة. أنا فخور بكِ يا تشارلوت إلى أقصى درجة!

لعله كان يعلم ذلك أو لا يعلمه، لكن بالنسبة إلى شخصية مثلي، كانت تلك الكلمات أغلى من كل ميداليات وأوسمة الدنيا!

هكذا ألقتْ هيمينا كَلِمَتها

صباح الخير على الدكتور جانسن، وعلى السيد توشمان، وعلى السيدة روبين، وعلى زملائي الطلاب، وعلى الكلية، وعلى المُعلِّمين، وعلى الآباء.

شرفٌ لي أن يُطلب مني إلقاء كلمة التخرُّج نيابةً عن الصف الخامس في العام الحالي. إنني إذ أنظر حولي فأرى كل هذه الوجوه السعيدة، أشعر أن الحظ أسعدني كثيرًا بوجودي هنا. مثلما يعرف البعض منكم، كانت هذه السنة هي السنة الأولى لي في بيتشر الإعدادية. ولن أكذب: كنت متوترة بعض الشيء عند مجيئي إلى هنا في أول الأمر. كنت أعرف أن بعض الأولاد تلاميذ في هذه المدرسة منذ الحضانة، وكنت خائفة ألّا يكون لي أصدقاء، لكن تبيَّن أن كثيرًا من زملائي هم أيضًا تلاميذ جُدد في المدرسة، مثلي. وحتى الأولاد الذين كانوا هنا منذ فترة، فإن المدرسة الإعدادية عمومًا تكون نقلة جديدة تمامًا بالنسبة إلى الجميع. لقد كانت بلا شك تجربة مفيدة لنا جميعًا، مع بعض العثرات في الطريق، وبعض الضربات والكبوات، لكنها إجمالًا كانت رحلة رائعة.

لقد طُلب مني في وقت سابق من هذه السنة أن أُشارك في رقصة من تصميم السيدة أتانابي لحفلة بيتشر الإعدادية الخيرية، وأذهلتني التجربة. عملتُ أنا وزميلتاي الراقصتان بجِد شديد لنتعلَّم كيف نرقص معًا رقص راقصة واحدة. وذلك يستغرق الكثير من الوقت، والثقة. والآن، لعلكم لا تعرفون هذا عني، ولكن بوصفي شخصية ترددت على كثير من المدارس الجديدة المختلفة على مدى السنوات، لم يكن يسهل عليَّ أن أمنح الآخرين ثقتي. لكنني تعلَّمت فعليًّا أن أثق في هاتين الفتاتين، وأدركت أن بوسعي أن أكون على طبيعتي معهما، وسأبقى إلى الأبد ممتنة من أجل ذلك.

أظن أن أكثر ما أنتظره في السنة المُقبلة، يا زملائي في الصف الخامس، هو أن أبني الثقة معكم جميعًا. أملي ونحن نبدأ الصف السادس، ونزداد عُمرًا وحكمةً، أن نتعلَّم كيف يثق بعضنا في بعض، بحيث يمكننا أن نكون أنفسنا بحق، وأن نقبل بعضنا بعضًا على حقيقتنا.

شكرًا لكم.

هكذا قدّمتُ نفسي أخيرًا

كنتُ قد أرسلتُ رسائل إلى سمر وهيمينا في اليوم الذي رأيتُ فيه غوردي جونسن يركب حافلة شمال المدينة. وفرحنا جميعًا لأنه لم يزل حيًّا وبخير. كانت تلك الفترة مزدحمة جدًّا، فلم يُتح لنا الوقت للكلام في أمره كثيرًا. شعرنا بالإثارة، وحرصنا أن تنتبه أعيننا، عسى أن تقع عليه مرَّة أخرى في الحي، ولكن ذلك لم يحدث، فقد اختفى، مرَّة أخرى.

المرَّة التالية التي رأيته فيها تأخَّرت حتى بداية يوليو. حيث رأيته فجأة، في مكانه، جالسًا أمام مظلة سوبر ماركت «آيه آند بي»، يعزف أغنياته المعهودة على الأكورديون، وكلبته اللابرادور رابضة أمامه.

شاهدته لدقائق قليلة، وتأملت عينيه المفتوحتين، مُتذكِّرة كيف كانتا تبعثان الخوف في نفسي. شاهدت أصابعه تنقران مفاتيح الأكورديون. كم هي آلة غامضة بالنسبة لي. كان يعزف «تلك كانت الأيام»، أغنيتي المفضَّلة.

ذهبت إليه بمجرد أن انتهى، وقلت:

- هاي.

ابتسم ملتفتًا في اتجاهي:

- أهلًا.

قلت:

- أنا سعيدة بعودتك!

قال:

- شكرًا لكِ يا آنستي.

- أين ذهبت؟

قال:

- أوه، يعني، ذهبت لأُقيم عند ابنتي في الجنوب لفترة. الشتاء في نيويورك أصبح صعبًا على عظامي الهَرِمة.

قلت:

- كان شتاء قاسيًا، هذا أكيد.
- هذا أكيد.
- اسم كلبتك جوني، أليس كذلك؟
- بلى.
- واسمك غوردي جونسن؟

أمال رأسه ثم سأل ضاحكًا:

- تراني مشهورًا لدرجة أن تعرفي اسمي؟

قلت:

- صديقتي سمر داوسون تعرفك.

رفع رأسه محاولًا أن يتذكَّر مَن تكون تلك التي أتكلَّم عنها.

أوضحتُ قائلة:

- والدها خدم في البحرية، مات قبل سنوات قليلة، الرقيب داوسون.

قال:

- الرقيب داوسون. أتذكَّره بالطبع. إنه رجل عظيم. خبر مؤسف! أتذكَّر تلك الأسرة جيدًا. أبلغي سلامي لتلك البنت، اتفقنا؟ كانت طفلة لذيذة!

قلت:

- سأفعل. لقد حاولنا العثور عليك. قلقتُ أنا وسمر عليك عندما لم تعد تظهر هنا.

قال:

- آه يا حبيبتي! لا داعي لقلقكما عليَّ. أنا أتحرَّك طوال الوقت، ولستُ مُتشرِّدًا أو أي شيء، فعندي سكني الخاص في شمال المدينة. كل ما في الأمر أنني أُحب أن أفعل شيئًا بنفسي، وأن أخرج برفقة جوني، وأركب الحافلة السريعة في الصباح من أمام عمارتي مباشرة، وأنزل في المحطة الأخيرة. رحلة ظريفة. أحضر إلى هنا بحكم العادة، أتفهمين؟ الناس هنا لُطفاء، مثلما كان الرقيب داوسون، وأنا أُحب أن أعزف لهم. هل تُحبين عزفي؟

قلت:

- نعم.

مكتبة
t.me/t_pdf

قال مبتهجًا:

- حسنًا. لذلك أجلس هنا وأعزف يا فتاتي. لأجعل أيام الناس أكثر إشراقًا.

أومأت في سعادة، وقلت:

- حسنًا، شكرًا لك يا سيد جونسن.
- يمكنكِ أن تناديني غوردي.
- بالمناسبة، اسمي تشارلوت.
- سعدتُ بمقابلتك يا تشارلوت.

مد يده فصافحته، وقلت:

- سأذهب الآن. سعدتُ بمقابلتك والحديث معك.
- إلى اللقاء يا تشارلوت.
- إلى اللقاء يا سيد جونسن.

مددتُ يدي في جيبي، وأخرجتُ دولارًا، وأسقطته في علبة الأكورديون.

سووووش!!

قال غوردي جونسن:

- بارك الرب أمريكا.

تصوير: Russell Gordon

آر. جي. بالاسيو، مؤلفة «أعجوبة» الرواية الأكثر مبيعًا في العالم، والتي ترجمت إلى ٤٥ لغة وبيع منها حوالي ٥ ملايين نسخة حول العالم، وفازت الرواية بجوائز فاقت ٢٠ جائزة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتبنتها مدارس كثيرة حول العالم، ثم تحولت إلى فيلم سينمائي. وتحكي الرواية قصة أوغي بولمان، الصبي العادي المولود بوجه غير عادي والبالغ عمره ١٠ سنوات.

ولدت آر. جي. بالاسيو وترعرعت في مدينة نيويورك حيث تعيش مع زوجها وولديها وكلبيها. عملت لأكثر من ٢٠ عامًا مديرة تحرير، ومديرة فنية، ومصممة غرافيك لكتب الآخرين في انتظار أن تؤاتيها فرصة تأليف روايتها الخاصة. وكان لقاؤها ذات يوم منذ عدة سنوات بطفل غير عادي أمام محل لبيع الآيس كريم فرصة لإدراك أنّ الوقت قد حان لكتابة روايتها الأولى. وللكاتبة بالاسيو عدة مؤلفات منها «أعجوبة» و «كلنا أعجوبة» و «٣٦٥ أعجوبة – كتاب إرشادات السيد براون». للاطلاع على المزيد حول آر. جي. بالاسيو يمكنكم زيارة الموقع الإلكتروني: RJPalacio.com.

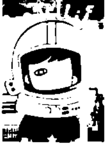

مكتبة

فصل جوليان

بلوتو

شنغالنغ

استمتعوا بقضاء مزيد من الوقت مع عالم أوغي!

هذه ٣ قصص جديدة من «أعجوبة» محبوبكم أوغي بولمان؛ الصبي العادي بوجه غير عادي.

قالوا عن «أعجوبة»

«بمرور الوقت تنتهي رواية آر. جي. بالاسيو الأولى، الغنية بالأحداث والشخصيات التي تستعصي على النسيان؛ فالكتاب ليس عن أوغي فقط بل عن كل شخص تغيرت حياته نتيجة تأثير أوغي بولمان».

ملحق مراجعة الكتب بمجلة نيويورك تايمز.

«رواية شيقة جدًا، مليئة بالشخصيات، ولا يسعك إلا أن تخوض غمار قراءتها».

مجلة «إنترتينمنت ويكلي» الأمريكية.

«أوغست بولمان هو الشخصية التي سوف يتذكرها القراء إلى الأبد».

نيكولاس سباركس، من أكثر الكتّاب المعاصرين مبيعًا في العالم.

«أتحدى ألا تقع في غرام أوغي بولمان».

ريبيكا ستيد، حائزة على جائزة نيوبري لأدب الطفل.

telegram @t_pdf

www.hbkupress.com
ISBN: 978-9927137730
90100
9 789927 137730

دار جامعة حمد بن خليفة للنشر
HAMAD BIN KHALIFA UNIVERSITY PRESS